مع العدد هدية الفردوس ـ مجلة الطفل المسلم

منبر الإسلام

السنة (٦١) العدد (٥) جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ
يوليو ٢٠٠٢ م الثمن ١٠٠ قرش

قراءة فى معجزات الخلق والخالق

■ مناقشة منكرى السنة

■ أباطيل الاستشراق حول الأذان فى الإسلام

من يحمى شعب فلسطين من الإبادة؟!!

من محتويات العدد

* تفسير سورة المنافقون
أ. د. محمد سيد طنطاوى
* حديث الشهر: «من يحمى شعب فلسطين من الإبادة؟
أ. د. عبدالصبور مرزوق
* دروس من فقه السنن الإلهية: من قصص القرآن الكريم
أ. د. محمد السيد الجليند
* معالجة الإسلام لسلبيات التقدم العلمى
أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة
* الإجهاض بين الإسلام والطب الحديث
أ. د. عبدالمعبود عمارة
* حقيقة الخلق تكشف كذب نظرية التطور
أ. د. حسنى حمدان الدسوقى
* حوار الحضارات لماذا وكيف؟
الشيخ منصور الرفاعى عبيد

غلاف الشهر

• غلاف هذا الشهر يضم صورتين تذكرنا بدور الأزهر الشريف فى التصدى للحملات الظالمة والاتهامات الباطلة التى توجه للإسلام والمسلمين، وما تتعرض له المقدسات الإسلامية والشعب الفلسطينى من اعتداءات قوات الاحتلال الإسرائيلى.

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٩ ش النباتات ـ بجاردن سيتى ـ القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ١٣ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى ـ «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة: ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى ـ القاهرة ـ تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ ـ ٧٩٤١٦٢٧ ـ ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام ـ القاهرة

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالقاهرة

منبر الإسلام

تصدرها وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور : **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور : **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور : **صوفى أبو طالب**

الدكتور : **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور : **أحمد هيكل**

كلمة التحرير

بين يديك عزيزى القارئ عدد جديد من مجلة «منبر الإسلام» وكما تعودنا أن نضع أمامك قضايا الأمة الإسلامية والتحديات التى تواجهها لتعيش معنا الأحداث والمتغيرات لكى تكون على بصيرة بالواقع ومتغيرات العصر، فبالإضافة إلى الأبواب الثابتة من علوم القرآن والسنة المطهرة والحضارة والعلوم نعرض قضية الشعب الفلسطينى الذى شهد العالم كله بتضحياته دفاعا عن حقه المشروع وعن تاريخه وأرضه ومقدساته بل وشهد عطاء الانتفاضة مالم يعرف له نظير عبر تاريخ المسلمين.

كما عرضنا لمشكلات دينية اجتماعية مثل موقف الدين والطب من الإجهاض، وجنسية أبناء المصريات من الأزواج الأجانب حيث أثارت الإحصاءات إلى وجود أربعة ملايين من أبناء المصريات آباؤهم أجانب، ومناقشة علمية لحقيقة الخلق التى كشفت كذب نظرية التطور، وأباطيل المستشرقين ومحاولاتهم للنيل من عقيدة الإسلام. كما عرضنا لهموم الأمة الإسلامية وسبل معالجتها.

كل هذا أردنا أن نضعه أمام القارئ إلى جانب الحوارات التى تكشف واقع المسلمين فى المجتمعات غير الإسلامية، إضافة إلى الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

من يحمى شعب فلسطين من الإبادة؟

لا أطلب لهم السلاح بل أطالب بالطعام

أ.د. عبدالصبور مرزوق

محزن ومؤلم أن تضاءل حجم الإيمان بأهم قضايانا العربية والإسلامية فيهوى إلى هذا المنحدر المخزى من حالة الاحتشاد للجهاد والاستشهاد إلى حالة أن يتكففوا العالم ليمدهم بالقوت!!

أليست هذه قمة المأساة؟! أن يتحول الصراع بيننا نحن العرب والمسلمين وبين إسرائيل من صراع لإحقاق الحق وإزاحة الباطل الذى تظاهرت له قوى الصهيونية والصليبية والذى استشهد فيه مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال، وأنفقت عليه المليارات من الدولارات والذى تجمدت بسببه - كل مشاريعنا التنموية والاقتصادية - وتعطلت معه خطط ومشروعات لا تحصى للبناء والعمران والتطور؟!

أليست هذه قمة المأساة أن يتحول الصراع من أجل هذه الأهداف والمعانى الكبار إلى صراع من أجل الحفاظ على مجرد الحياة بتوفير رغيف الخبز؟

***

كيف حدث هذا الانحدار المخيف؟ وعلى يد من؟

يقينا: ليس على أبناء الانتفاضة!!

فقد أثبت أبناء فلسطين - أنهم كانوا على مستوى الموقف والقضية وشهد العالم كله تضحياتهم فداء للقضية، ودفاعا عن التاريخ والأرض والأقصى وكل المقدسات من المساجد والكنائس.

***

بل وشهد عطاء الانتفاضة نماذج من استشهاد البنات والنساء مالم يعرف له نظير عبر تاريخ العرب والمسلمين.

وكانت هذه الظاهرة - أعظم نماذج العمل

الفلسطينيون يهددهم الجوع فأنقذوهم

الفدائى - الذى لا يعلن فقط عن مجرد بطولة - وإنما يعلن عن ميلاد جديد لجيل جديد من أبناء فلسطين كان ظهوره إيذانا بمرحلة جديدة ومختلفة فى مسلسل الصراع بين الحق والباطل أراه تطبيقا لإحدى سنن الله فى تعاقب الأجيال وفق مالهم فى صفحة الأقدار من مهام يشير إليها ويؤكدها قول الحق سبحانه: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** محمد: آية ٣٨.

فلم تشهد أمتنا فى تاريخها الحديث مثل هذه النماذج الاستشهادية التى استعصت على التركيع والإخضاع، وأطارت الصواب من قلوب وعقول القوى المتجبرة فى إسرائيل وفى الغرب وهم يرون أناسا قرأوا قول القرآن: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** فتقدم هؤلاء الاستشهاديون وقالوا: ونحن قد بعناها لك.

ولو قد امتلأت الأمة بروح الاستشهاد وبهؤلاء الاستشهاديين لتغير وجه التاريخ ولكنا على أعتاب عالم جديد يولد فيه من جديد المقداد بن الأسود، والقعقاع بن عمرو، وسعد بن أبى وقاص، وخالد ابن الوليد، وغيرهم وغيرهم من استشهاديّى عصر النبوة والراشدين يقهرون الطغاة ويدحرون الباطل ويخضعون أقدام جحافل الكفر والوثنية.

***

وإذا كان الشعب الفلسطينى من خلال شباب الانتفاضة وشاباتها قد برهنوا للعالم أنه رغم الجوع والحصار والاغتيالات والاعتقالات ورغم الدعم القوى الذى تقدمه أمريكا لإسرائيل فى مختلف المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية.

إذا كان هذا الشعب من خلال شباب الانتفاضة وشاباتها قد بيضوا وجه الإسلام والعروبة وأعلنوا للعالم كله أن الإرادة الفلسطينية لم تهزم ولن تهزم.. فمن العار ومن الخزى أن تتدهور الأحوال المعيشية لهؤلاء المجاهدين حتى ليفقدون كسرة الخبز للرجال وقطرة اللبن للأطفال بينما نعيش نحن فى أوطان العروبة والإسلام من حواليهم نمضغ التخمة من شهوات الحياة التى يعيشها هؤلاء الأبطال.

***

أليست هذه قمة المأساة؟ أو ليست هذه أتعس أيام تاريخنا البعيد والقريب؟ وإلى متى تظل تسيطر على أوضاعنا حالة اللامبالاة والاسترخاء وإدارة الظهر للخناجر المسمومة التى يطعننا بها من يصفهم البعض بأنهم الأصدقاء الأوفياء الذين لا يمكن أن يعكر صفو علاقتنا بهم شىء حتى لو أزيلت فلسطين من خرائط الجغرافيا وأزيل الأقصى وأقيم بدله «الهيكل»؟!

***

هل ندعو إلى قمة تكون قمة «الإنقاذ»؟ إنقاذ الشعب الفلسطينى من الإبادة المنتظرة؟

أم نناشد العرب والمسلمين كل العرب والمسلمين أن يتبرع كل بيت بطعام يوم من أيامه يقدمه لإخوانه فى فلسطين المرابطين فى سبيل الله وفى سبيل كرامة وشرف الإسلام والعروبة؟

أم ماذا أقول؟ وبماذا أطالب؟

فقط أذكر بمن نزل فيهم قول الحق سبحانه: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا* إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾** الإنسان: الآيتان ٨، ٩.

أذكر بأسرة الصحابى الجليل على بن أبى طالب رضي الله عنه وزوجه السيدة فاطمة الزهراء بنت سيد الخلق ﷺ وبولديه الحسين والحسن - رضى الله عنهما - أسرة نزلت فيها الآيات المشار إليها التى تحكى واقعا حدث بالفعل وتحفظه كتب التفاسير وكتب أسباب النزول بأن أفراد هذه الأسرة أمضوا ثلاث ليال متتابعات يجلسون فيها كى يتناولوا طعام العشاء فيطرقهم مسكين فى ليلة ويتيم فى ليلة أخرى وأسير فى الليلة الثالثة فإذا أفراد هذه الأسرة الطاهرة يرفعون أيديهم عن الطعام وهم لجوعهم محتاجون إليه - يرفعون أيديهم عن الطعام ليضعوه فى أيدى المسكين واليتيم والأسير.

ويصنعون بذلك مثلا أعلى ونموذجا للبذل الحقيقى وللإيثار العظيم على أنفسهم ابتغاء مرضاة الله.

ومن كانت مرضاة الله سبحانه تحيط بهم وتسجل لهم هذا الجزاء الكريم من الحق سبحانه فى قوله: **﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا* إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا* فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا* وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا* متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا* ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا﴾** الإنسان الآيات ٩ - ١٤.

***

ياأبناء الإسلام والعروبة..

شعب فلسطين يتعرض للإبادة..

والهيكل سيبنى مكان المسجد الأقصى..

والاستشهاديون يموتون جوعى..

فهل تتبرعون لهم؟

القرآن الكريم وعلومه

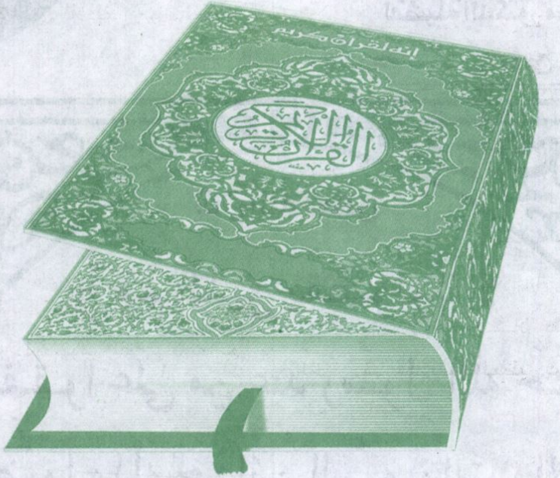

- تفسير سورة المنافقون
- خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (القبض والبسط)
- قراءة فى معجزات الخلق والخالق
- دروس فى فقه السنن الإلهية
- من قصص القرآن الكريم
- من أباطيل الاستشراق: الأذان فى الإسلام

نظرات في كتاب الله تعالى

تفسير سورة المنافقون

لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨) ﴾

المنافقون :٧ ـ ٨

١ ـ فى هاتين الآيتين ذكر القرآن الكريم ما تفوه به المنافقون من أقوال باطلة، ومن تهديدات سافرة للمؤمنين، وكيف أن الله ـ تعالى ـ قد رد عليهم بما يخرس ألسنتهم، وبما يزيد المؤمنين إيمانا على إيمانهم، وثباتا على ثباتهم.

وقد ذكر المفسرون روايات فى سبب نزول هاتين الآيتين، منها ما ذكره الإمامان ابن جرير وابن كثير ـ رحمهما الله ـ فقد قال ابن كثير ما ملخصه:

«وذكر ابن اسحاق فى حديثه عن غزوة بنى المصطلق ـ وكانت فى شهر شعبان من السنة الخامسة من الهجرة ـ أن غلاما لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه «الجهجاه بن سعيد النفارى ـ تزاحم على ماء مع رجل من الأنصار اسمه «سنان بن وَبَر»،

فقال سنان: يا معشر الأنصار. وقال الجهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبدالله بن أُبَى ـ زعيم المنافقين ـ وكان عنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ـ وقال ابن أُبَى: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش ـ يعنى المهاجرين ـ إلا كما قال القائل **«سمن كلبك يأكلك»** والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فذهب زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله: مُرْ **«عباد بن بشر»** فليضرب عنق عبدالله بن أبى بن سلول، فإنه قد آذى الله ورسوله.

فقال ﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا: إن محمدا يقتل أصحابه؟!!! لا، لن آمر بذلك، ولكن ناد يا عمر فى الناس بالرحيل.

فلما بلغ عبدالله بن أبى بن سلول أن ما قاله قد بلغ النبى ﷺ أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال الذى قاله عنه زيد بن أرقم.

وراح رسول الله ﷺ مهجرا فى ساعة كان لايروح فيها، فلقيه **«أسيد بن حضير»**. فقال له: يارسول الله، لقد رحت فى ساعة ما كنت تروح فيها.

فقال رسول الله ﷺ: أما بلغك ما قال صاحبك عبدالله بن أبى؟ لقد زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعزُّ منها الأذل.

فقال أُسَيد: يارسول أنت العزيز وهو الذليل.

وإنما خرج رسول الله ﷺ فى هذا الوقت الذى لم يتعود السفر فيه، ليشغل الناس عن الحديث الذى كان من عبدالله بن أبى بن سلول.

٢ ـ قال ابن اسحاق: نزلت سورة «المنافقون» فى ابن أُبى وأتباعه، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال: هذا الذى أوفى الله بأذنه.

وفى رواية أنه ﷺ بعث إلى زيد فقرأها عليه ثم قال: **«إن الله قد صدقك»**.

ثم قال ابن اسحاق: وبلغنى أن عبدالله بن عبدالله بن أبى، بلغه ما كان من أمر أبيه، فأتى إلى رسول الله ﷺ فقال له: يارسول الله بلغنى أنك تريد قتل أبى، فإن كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر غيرى بقتله، فلا تدعنى نفسى أن أرى قاتل أبى يمشى على الأرض فأقتله، فأكون قد قتلت مؤمنا بكافر فأدخل النار.

فقال ﷺ: **«بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا»**.

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما: أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبدالله بن عبدالله بن أبى على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه قال له: وراءك. فقال له أبوه: ويلك ما شأنك؟ فقال له: والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل.

فلما جاء رسول الله ﷺ وكان يسير على مؤخرة الجيش - شكا إليه عبدالله بن أبى ما فعله معه ابنه عبدالله.

فقال ابنه: والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ.

فقال عبدالله لأبيه: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن(١).

٣ - وقوله تعالى: **﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾**: كلام مستأنف، جار مجرى التعليل لفسقهم، وحكاية لجانب من أقوالهم الفاسدة، والقائل هو عبدالله ابن أبى بن سلول - زعيم المنافقين - كما جاء فى بعض روايات أسباب النزول.

ونسب - سبحانه - هذا القول إلى جميع المنافقين، لأنهم وافقوه عليه، ورضوا به وقبلوه منه، ومرادهم بالذين هم عند رسول الله ﷺ: المهاجرون الذين تركوا ديارهم فى مكة، واستقروا بالمدينة المنورة.

أى: أن هؤلاء المنافقين لن يغفر الله - تعالى - لهم، لأنهم فسقوا عن أمره، ومن مظاهر فسوقهم وفجورهم، أنهم أيدوا زعيمهم فى النفاق عندما قال لهم: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ من فقراء المهاجرين، ولا تقدموا لأحد منهم عونا أو مساعدة، حتى ينفضوا من حوله. أى: حتى يتفرقوا من حوله، يقال: انفض القوم، إذا فنيت أزوادهم. ويقال: نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفض، إذا انتهى زاده، وليس مرادهم حتى ينفضوا ويتفرقوا عنه، وإنما مرادهم: استمروا على عدم مساعدتكم للمهاجرين، حتى يتركوا المدينة، ويعودوا من حيث أتوا، أو يخرجوا من المدينة إلى أى مكان آخر، وتبقى المدينة خالصة لكم.

وقوله - سبحانه -: **﴿ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾** رد على هؤلاء المنافقين بما يكبتهم ويفضحهم.

والخزائن: جمع خزانة، وهى ما يخزن فيها المال والطعام وما يشبههما. والمراد بها: أرزاق العباد التى يمنحها الله - تعالى - لعباده.

أى: ولله - تعالى - وحده لا لأحد غيره، ملك أرزاق العباد جميعا، فيعطى من يشاء، ويمنع من يشاء، ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك ولا يدركونه لجهلهم بقدرة الله - تعالى - ولاستيلاء الجحود والضلال على نفوسهم.

٤ - ثم حكى سبحانه - قولا آخر من أقوالهم القبيحة فقال: **﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾**.

والقائل هو زعيم المنافقين عبدالله بن أبى بن سلول، ولكن القرآن نسب القول إليهم جميعا لأنهم رضوا بقوله، ووافقوه عليه.

وجاء الأسلوب بصيغة الفعل المضارع، لاستحضار هذه المقالة السيئة، وتلك الصورة البغيضة لهؤلاء المنافقين.

والأعز: هو القوى لعزته، بمعنى أنه يغلب غيره.
والأذل: هو الذى يغلبه غيره لذلته وضعفه.

وأراد عبدالله بن أبى بالأعز نفسه وشيعته من المنافقين، وأراد بالأذل: الرسول ﷺ ومن معه من المهاجرين وغيرهم من المؤمنين الصادقين.

والمقصود بالرجوع فى قوله: **﴿لئن رجعنا﴾**: الرجوع إلى المدينة بعد انتهاء غزوة بنى المصطلق.

أى: يقول هؤلاء المنافقون على سبيل التبجح وسوء الأدب - لئن رجعنا إلى المدينة المنورة بعد انتهاء هذه الغزوة، ليخرجن الفريقُ الأعز منا، الفريقَ الأذل، من المدينة حتى لا يبقى فيها أحد من هذا الفريق الأذل، بل تصبح خالية الوجه لنا.

وقد رد الله - تعالى - على مقالتهم الباطلة هذه بما يخزيهم فقال: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾**.

أى: ولقد كذب المنافقون فيما قالوه، من أنهم

لطائف وأسرار

خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف (١٨)

القبض والبسط (١)

ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ	البقرة: آية ١٧٨
أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	البقرة: آية ٢١٨
قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ	الحجر: آية ٥٦
ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ	مريم: آية ٢
يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ	الزمر: آية ٥٣
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ	الزخرف: آية ٣٢

د. عبدالعظيم المطعنى

كان حديثنا عن لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف، فى الحلقات السبع عشرة الماضية - ما عدا الأولى - حول حذف وإثبات أو زيادة ونقص ثلاثة أحرف، هى: الياء والواو، والألف، وعلى كثرة ما ذكرناه حول هذه الأحوال، فإننا لم نبلغ إلا قدرا يسيرا مما ينبغى أن يقال. ويكفينا أننا أمطنا اللثام قليلا عن بعض تلك الخصوصيات، وأصبح الطريق ممهدا لمن يريد أن يواصل السير فيه. والموضوع جدير بعناية الدارسين؛ لأن هذا الفرع من الدراسات القرآنية ظل مهجورا ردحا من الزمن، على كثرة الدراسات التى حظى بها كتاب الله العزيز من القدماء والمحدثين.

ومما أثلج صدورنا أن بعض طلاب الدراسات العليا فى الجامعات المصرية بدأوا يسجلون موضوعات فى مرحلتى الماجستير والدكتوراه حول لطائف وأسرار الرسم العثمانى للمصحف الشريف ومنهم من تحدث معنا حول هذه اللطائف والأسرار، على ضوء القواعد التى سارت على هداها هذه الدراسة فى الحلقات التى نشرتها «منبر الإسلام» وما عُرض منها فى إذاعة القرآن الكريم (أكثر من ثلاثمائة حلقة) فى برنامج لغة القرآن.

سيتمكنون من إخراج المهاجرين من المدينة، وكذبوا - أيضا - فى زعمهم أنهم هم الأعز وغيرهم الأذل، والحق الذى لا ريب فيه، والذى لا يختلف عليه عاقلان، أن العزة المطلقة، والقوة التى لا تقهر، هى لله - تعالى - ولرسوله محمد ﷺ، وللمؤمنين الصادقين الذين يحبون خالقهم، ويحبهم خالقهم. لأنهم أخلصوا له العبادة والطاعة.

وقال - سبحانه - ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ بإعادة حرف الجر، لتأكيد أمر هذه العزة، ولبيان أنها متمكنة منهم، لأنها مستمدة من إيمانهم بالله - تعالى - وحده.

وقوله - سبحانه - ﴿**ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾: استدراك قصد به تجهيل هؤلاء المنافقين. أى: ليست العزة إلا لله - تعالى - ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك. ولا يعرفونه لاستيلاء الجهل والغباء عليهم، لأنهم لو كانت لهم عقول تعقل، لعلموا أن العزة لدعوة الحق، بدليل انتشارها فى الآفاق يوما بعد يوم، وبدليل انتصار أصحابها على أعدائهم حينا بعد حين، وازدياد سلطانهم وقتا بعد وقت.

٥ - قال صاحب الكشاف - رحمه الله - قوله - تعالى - : ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ أى: الغلبة والقوة لله - تعالى -، ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك، كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين.

وعن الحسن بن على - رضى الله عنهما - أن رجلا قال له: إن الناس يزعمون أن فيك تيها!! فقال: ليس بى من تيه أو كبر، ولكنها العزة، ثم قرأ قوله - تعالى - : ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾(٢). وقال الإمام الرازى - رحمه الله -: «العزة غير الكبر، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله. فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، وإكرامها عن أن يضعها فى غير موضعها اللائق بها، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه، وإنزالها فوق منزلتها، فالعزة تشبه الكبر من حيث الصوت، وتختلف من حيث الحقيقة، كاشتباه التواضع بالضعة. فالتواضع محمود، والضعة مذمومة، والكبر مذموم والعزة محمودة»(٣).

٦ - هذا، وإن المتدبر فى هذه الآيات الكريمة، وفى أسباب نزولها، ليرى فيها ألوانا من العظات، يرى فيها التصرف الحكيم من الرسول ﷺ إذ أنه بمجرد أن بلغته تلك الأقوال التى قالها زعيم المنافقين عبدالله بن أبى بن سلول، لكى يثير الفتنة بين المسلمين، ما كان منه إلا أن أمر عمر بن الخطاب، بأن ينادى فى الناس بالرحيل، لكى يشغل الناس عما تفوه به ابن أبى، حتى لايقع بينهم مالا تحمد عقباه.

كما يرى كيف أنه ﷺ عالج تلك الأحداث بحكمة حكيمة، فعندما أشار عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتل زعيم المنافقين ابن أُبى، ما كان منه ﷺ إلا أن قال له: يا عمر، كيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟!! وأبى ﷺ أن يأمر بقتله بل ترك لعشيرته من الأنصار تأديبه وتوبيخه.

ولقد بلغ الحال بابنه عبدالله رضي الله عنه وهو أقرب الناس إليه، أن يمنعه من دخول المدينة، حتى يأذن له ﷺ بدخولها.

كما يرى المتدبر لهذه الآيات، والأحداث التى نزلت فيها، أن النفوس إذا جحدت الحق، واستولت عليها الأحقاد، أبت أن تسلك الطريق المستقيم.

كما يرى المتدبر لهذه الآيات - أيضا - أن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، ضحى الإنسان من أجله بكل شىء.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا جميعا على الحق.

الهوامش:

١ - راجع تفسير ابن جرير جـ٢٨ ص٧١. وتفسير ابن كثير جـ٨ ص١٥٢.

٢ - تفسير الكشاف جـ٤ ص٥٤٣.

٣ - تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص١٥١.

وبدءا من هذه الحلقة (الثامنة عشرة) نودع الحديث عن الحذف والإثبات، أو النقص والزيادة، إلى الحديث عن سمات أخرى تتصل برسم بعض الحروف فى رسم المصحف الشريف.

وحديثنا فى هذه الحلقة نبدؤه مع كلمات قرآنية. مختومة بـ«تاء» التأنيث. فعلى الرغم من أن الكلمة واحدة فى مبناها ومعناها، تجد «تاء» التأنيث التى هى فى نهاية الكلمة تأتى على صورتين:

إحداهما: أن تكون «التاء» مربوطة (= مغلقة) وهو الأصل، مثل: رحمة - نعمة - امرأة - كلمة - سنة، وهكذا.

الثانية: أن تكون «التاء» مبسوطة (= مفتوحة) وهو خلاف الأصل، مثل:

رحمت - نعمت - امرأت - كلمت - سنت، وهكذا وهذه ظاهرة لافتة للنظر، مثيرة للتساؤل، لماذا ربطت «التاء» فى ماربطت فيه؟ ولماذا فتحت فى ما فتحت فيه؟

ومحال محال أن يكون الربط والفتح خاليا من الدلالة والمقتضى للربط أو الفتح والبسط، إذ لابد من معنى وراء كل منهما. وهذا ما نعرض له - الآن - بعون الله وتسديده.

ولنأخذ فى سَوْق الشواهد وتحليلها، بما يزيل كل لبس بإذن الله، الهادى لأقوم سبيل.

الرحمة مقبوضة ومبسوطة

من الكلمات القرآنية، التى ورد رسمها فى المصحف الشريف بقبض «التاء» وبسطها كلمة الرحمة، ولها حالتان من حيث البناء الصرفى:

إحداهما: قطعها عن الإضافة، سواء كانت معرفة أو نكرة. وفى هذه الحالة تكون «التاء» فيها مقبوضة أو مربوطة، والقبض والربط بمعنى واحد، ومن أمثلتها قوله تعالى: **﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة..﴾** البقرة: آية ١٧٨.

وقوله تعالى: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾** آل عمران: آية ٨.

وقوله تعالى: **﴿كتب على نفسه الرحمة..﴾** الأنعام: آية ١٢.

ثم قوله تعالى: **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة..﴾** الإسراء: آية ٢٤.

هذه أربعة أمثلة فى أربع آيات من أربع سور، مثالان منها وردت كلمة «رحمة» نكرة، ومثالان وردت معرفة «الرحمة» وكلها كانت «التاء» فيها مقبوضة مربوطة مع ملاحظة أنها كلها مقطوعة عن الإضافة.

أما الحالة الثانية: فوردت كلمة «رحمة - رحمت» مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى؛ إما إلى «الله» وإما إلى «ربك» بكاف الخطاب واختلاف رسم «التاء» فيها بين القبض والبسط (=ربط التاء وفتحها) هكذا: رحمة - رحمت. له دلالات ولطائف. ولم يأت خاليا من الدلالة على معنى قط.

ومن مواضع قبض «التاء» قوله تعالى: **﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾** آل عمران: آية ١٠٧.

وقوله تعالى: **﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾** الحجر: آية ٥٦.

وقوله تعالى: **﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا﴾** الإسراء: آية ١٠٠.

وقوله عزوجل: **﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾** ص: آية ٩.

ثم قوله تعالى: **﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾** الزمر: آية ٥٣.

هذه خمسة أمثلة وردت فيها كلمة **«رحمة»** مضافة إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى، وقد رسم فيها حرف «التاء» مربوطا أى مقبوضا مغلقا، غير مفتوح ولا مبسوط.

وهذا هو منهج لغة القرآن الكريم فى رسم هذه الكلمة، سواء كانت معرفة أو نكرة، أو حتى مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى.

يقول الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى المعروف: «حدثنا محمد بن أحمد. قال: حدثنا محمد بن القاسم النحوى. قال: «وكل مافى كتاب الله عز وجل من ذكر الرحمة فهو بـ«الهاء» - يعنى التاء المربوطة، التى تنطق فى الوقف هاء تأنيث - فهو بـ«الهاء» إلا سبعة أحرف»(٢).

يعنى أن هذه الكلمة «رحمة - الرحمة» الأصل فيها ربط تائها لا فتحها، إلا فى سبع مواضع من القرآن الكريم، رسمت فيها كلمة «رحمت» بتاء مفتوحة، أو مبسوطة أو ممدودة، وهذه المصطلحات تعنى عند علماء علوم القرآن الكريم معنى واحدا.

وقبل أن نبين لطائف وأسرار هذا الاختلاف فى رسم هذه الكلمة، نذكر أولا المواضع السبعة التى وردت فيها كلمة **«رحمت»** بالتاء المفتوحة وهى على ترتيب المصحف كما يلى:

الموضع الأول، الآية (٢١٨) من سورة البقرة: **﴿أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم﴾.**

الموضع الثانى، الآية (٥٦) من سورة الأعراف: **﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾.**

الموضع الثالث: الآية، (٧٣) من سورة هود: **﴿قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.**

الموضع الرابع، الآية (٢) من سورة مريم: **﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾.**

الموضع الخامس، الآية (٥٠) من سورة الروم: **﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾.**

الموضع السادس، الآية (٣٢) من سورة الزخرف: **﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾.**

الموضع السابع، الآية نفسها من سورة الزخرف: **﴿ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾.**

هذه هى المواضع السبعة التى وردت فيها كلمة «رحمت» مبسوطة «التاء» غير مربوطة وهنا يأتى السؤال المهم: عرفنا أن الأصل فى رسم هذه الكلمة فى كل مواضع ورودها فى القرآن أن يكون «التاء» فيها مغلقا. فلأى شىء خولف هذا الأصل فى المواضع السبعة المذكورة؟

أما كان الأولى هو توحيد رسمها. إما مربوطة «التاء» على الأصل؟

وإما مفتوحة «التاء»؟

فلماذا - إذن - جىء بها مربوطة «التاء» فى الأعم الأغلب؟

ثم جىء بها مفتوحة «التاء» فى المواضع السبعة المتقدم ذكرها؟

والجواب: إن مجىء «التاء» مربوطا فى الأعم الأغلب على الرغم من أنه الأصل، فإن له معنى اقتضى ربط أو غلق «التاء» ذلك المعنى هو الدلالة على مجرد الاسمية دون اعتبار - آخر زائد - على مجرد الاسمية، أى المعنى العام للرحمة المقابل لمعنى العذاب.

أما المفتوح «التاء» فإن معناه مختلف عن معنى مربوط «التاء» لأنه أخص منه، وذاك أعم. لأن المراد منه معنى الفعل لا معنى الاسم، أو بعبارة أشد وضوحا.

المراد من مربوط «التاء» المعنى العام للرحمة وهو يشمل الرحمة المدخرة عند الله إلى أبد الآبدين.

ثم الرحمة الواقعية التى يتمتع الناس واقعا ملموسا فى حياتهم.

أما معنى المفتوح «التاء» فإن المراد منه الرحمة الواقعية فحسب، أى التى ينعم بها الناس الآن.

إذن فما كان مدخرا عند الله غير مستعمل فهو «رحمة» بربيط «التاء».

وما كان مستعملا فى حاضر الناس، وآثاره

مدركا لهم كالماء الذى يشربونه، والطعام الذى يأكلونه وصحة الأبدان، والحواس التى يميزون بها بين المدركات، فهذه «رحمت» بفتح «التاء».

وما كان عند الله من الرحمة الواسعة، التى سينعم الناس بها فى أوقات لاحقة فهو «رحمة» بالتاء المغلقة المربوطة. وتفصيل ذلك وتوضيحه أكثر فأكثر، يتوقف على المقارنة بين ما كان «التاء» فيه مغلقا مربوطا هكذا «رحمة» وما كان «التاء» فيه مفتوحا هكذا «رحمت».

على أننا فى هذه المقارنة سنستبعد الأمثلة التى وردت فيها الرحمة، معرفة أو نكرة. ونقصر المقارنة على ما ورد مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى. لأنه هو المقصود لنا من هذه الدراسة، فنقول مستمدين الهداية والتوفيق من الله عز وجل.

ولنبدأ بالمقارنة بين الموضعين الأولين مما ذكرناه قبلا من أمثلة مقبوض «التاء» و«مفتوحها» وهما:

● ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾.

● ﴿أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم﴾.

قبضت «التاء» فى الأولى ﴿ففى رحمة الله﴾، لأن الرحمة هنا المراد بها الجنة، والجنة سيدخلها أهلها فى الحياة الآخرة، لا فى الحياة الدنيا، فهى - إذن - رحمة مدخرة عند الله، غير مستعملة الآن.

وفتحت «التاء» فى نظيرة الآية الأولى ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ لأنها رحمة عاجلة فى المقام الأول فهى رحمة مهيئة للاستعمال والتمتع بها فى الدنيا موصولا التمتع بها فى الآخرة.

فجاء قبض «التاء» رمزا على الرحمة الآجلة، وفتحها رمزا على الرحمة العاجلة.

الموضع الثانى مع نظيره:

● ﴿قال ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون﴾.

● ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾.

قبضت «التاء» فى الأولى ﴿ومن يقنط من رحمة الله﴾ لأنها وردت فى سياق حديث عن الضالين الذين يئسوا من رحمة الله، فهم محرومون منها، وهى رحمة ممتنعة فى حقهم، ليس لهم فى رحمة الله نصيب. إنها رحمة مغلقة أبوابها فى وجوههم، فناسب هذا غلق «التاء».

أما فى نظيرتها فقد جاءت كلمة «رحمت» مفتوحة «التاء» لأنها وردت فى سياق الحديث عن المحسنين ورحمت الله قريب منهم. فهى رحمة مبذولة لهم فى الدنيا «رحمة عاجلة» ليتمتعوا بها فى هذه الحياة الدنيا.

رحمة مفتوحة أبوابها للمحسنين من الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ فاطر: آية ٢.

فقبض «التاء» رمز به إلى معنى لطيف، هو حرمان الضالين من ألطاف الله ورحمته فى الدنيا موصولا هذا الحرمان بمصيرهم فى الآخرة.

أما مع المحسنين، فإن رحمت الله مبذولة لهم كما قال عز وجل: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ الأعراف: آية ١٥٦.

الموضع الثالث مع نظيره:

● ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا﴾.

● ﴿وقالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.

قبضت «التاء» أو أغلقت وربطت فى الآية الأولى من كلمة «رحمة» لأنها رحمة مخزونة. بدليل قوله عز وجل: ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى﴾ فهى إذن رحمة مخزونة غير مبذولة، رحمة واسعة مدخرة عند الله عز وجل.

فناسب هذا المعنى المصرح به إغلاق «التاء»

وربطها أو قبضها.

أما فى نظيرة هذه الآية فجاءت «**رحمت**» مفتوحة «التاء» لإنها رحمة مبذولة لأهل بيت نبوة إبراهيم عليه السلام، ومن صورها العاجلة بشرى إبراهيم عليه السلام بالولد. رحمة من الله.

لأنه قبل هذه الآية ورد قوله تعالى: **﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ قالت ياويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب﴾** هود: الآيات ٦٩ ـ ٧٢.

فهذه رحمات منجزة عاجلة، منَّ الله بها على أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعلى زوجه. فرزقهما إسحاق فى سن الشيخوخة الفانية، والله على كل شىء قدير.

لذلك جاءت كلمة «**رحمت الله**» هنا مفتوحة «التاء» للإشعار بهذا المعنى من طرف خفى، وهذا ملمح جديد من ملامح الإعجاز القرآنى فى رسمه الشريف.

الموضع الرابع مع نظيره:

- **﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾**.
- **﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾**.

أغلق حرف «التاء» فى الآية الأولى؛ لأن الرحمة فيها هى الرحمة المدخرة عند الله، بدليل قوله تعالى: **﴿خزائن رحمة ربك﴾** والشىء المخزون مدخر محفوظ كما تقدم فى آية الإسراء (١٠٠) فجاء حرف «التاء» مربوطا مغلقا، حتى لكأن ربطه وكاء مطبوع على منافذ أو أبواب خزائن الرحمة المدخرة عند الله عز وجل.

أما فى الآية الثانية **﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾** فكان فتح «التاء» فى **﴿رحمت﴾** رمزا لطيفا إلى معنى لطيف، هو أن القرآن يتحدث عن رحمة عاجلة مبذولة، هى ما أنعم الله بها على عبده زكريا عليه السلام، وجاءت الآيات التى بعد هذه الآية تشرح ذلك وتفصله:

- **﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ وإنى خفت الموالى من وراءى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا﴾ يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا﴾** مريم: الآيات ٣ ـ ٧.

إن الخلاصة السريعة لهذه الآيات، أن زكريا عليه السلام دعا ربه فاستجاب الله دعاءه ومنَّ عليه بـ«يحيى» عليه السلام.

إذن فإن الرحمة فى هذه الآية **﴿ذكر رحمت ربك عبده زكريا﴾** رحمة عاجلة منجزة. لذلك جاء حرف «التاء» فيها مفتوحا على مصراعيه ليومئ إلى هذا المعنى اللطيف، ويؤكد بكل قوة صدق القاعدة فى ربط «التاء» و«فتحها».

الموضع الخامس مع نظيره:

- **﴿قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾** الزمر: آية ٥٣.

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير﴾ الروم: آية ٥٠.

قبضت «التاء» فى الآية الأولى لأن الرحمة وردت فى سياق الحديث عن المسرفين على أنفسهم فى المعاصى، حتى صاروا قانطين من رحمة الله فهم فى هذه الحالة محرومون من الرحمة، مالم يرجعوا ويتوبوا إلى الله عزوجل. وفى الآية ترغيب لهم فى الإنابة إلى الله، لتنالهم هذه الرحمة، التى هم محرومون منها قبل توبتهم إلى الله.

فأنت ترى أن ربط أو إغلاق «التاء» فى ﴿**رحمة الله**﴾ فى هذه الآية جاء رمزا على هذا المعنى. ولا ينازع فى هذا أحد منصف للحق أين وجده.

أما الآية الثانية، فقد فتحت فيها «التاء» من كلمة ﴿**رحمت الله**﴾ لأنها تتحدث عن رحمة واقعية منجزة عاجلة فى الحياة الدنيا، ترى بالبصر والبصيرة معا وكفى دليلا على ذلك قوله تعالى: ﴿**فانظر إلى آثار رحمت الله**﴾.

فقد دعانا الله عز وجل إلى النظر إلى آثار رحمته لأنها ماثلة أمامنا، حتى أصبحت موضوعا للنظر ثم دعانا إلى التأمل فى كيفية إحياء الله للأرض بعد موتها.

فقد كانت جرداء قاحلة قبل إنزال الله الماء عليها ثم اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من الزروع والنباتات والأشجار والثمار المختلف الحجوم والألوان والطعوم.

أليست هذه رحمة حاضرة مفتوحة أبوابها.

وهكذا جاء فتح «التاء» فى كلمة ﴿**رحمت الله**﴾ فى هذه الآية إشارة لطيفة إلى هذا المعنى اللطيف.

فهل - بعد هذا الوضوح - يشك شاك أو يرتاب مرتاب، فى صدق هذه الملاحظات حول ربط «التاء» و«فتحها» فى «رحمة الله، ورحمت الله» فى رسم المصحف الشريف؟

وهل يصح فى عقل عاقل أن يسوى بين رحمة الله المربوطة «التاء» ورحمة الله المفتوحة «التاء» فى الدلالة؟!

كلا، ثم كلا. فكتاب الله العزيز كل شىء فيه جاء لمعنى، لا لغو فيه، ولا نقص ولا زيادة.

بقى موضعان من المواضع السبعة، التى جاءت كلمة الرحمة فيها مفتوحة «التاء» وقد ورد فى آية الزخرف فى قوله تعالى: ﴿**أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾ الزخرف: آية ٣٢.

فتحت «التاء» فى ﴿**رحمت ربك**﴾ فى الموضعين.

أما فى الأول فلأن المراد من ﴿**رحمت ربك**﴾ هو النبوة، أو القرآن، وهما رحمتان حاضرتان منجزتان.

والدليل على أن المراد من هذه الرحمة النبوة أو القرآن(٣) قوله تعالى قبل هذه الآية مباشرة ﴿**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾.

فقد زجوا بأنفسهم فيما ليس هم له بأهل، فرد الله عليهم بأنه هو المتصرف فى أخص شئونهم لا هم، فكيف يتدخلون فيما ليس هم له بأهل.

أما الموضع الأخير، وهو:

- ﴿**ورحمت ربك خير مما يجمعون**﴾، فالمراد من الرحمة هنا: هداية الله والفوز بالنجاة فى الدنيا والآخرة وهى - كما ترى - رحمة منجزة حاضرة. ممتدة آثارها إلى أبد الآبدين.

وهكذا ظهر لنا جليا من خلال هذه التحليلات والمقارنات، أن ربط «التاء» و«فتحها» فى كلمة الرحمة مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله، فى الرسم العثمانى للمصحف الشريف، سمة من سمات إعجازه «الخطى» لكل منهما معنى خاص وما قدمناه فى هذه الحلقة كاف شاف فى بيان الفرق بين الربط والفتح، أو القبض والبسط وسيأتى لهذين نظائر فى الحلقات الآتية بإذن الله.

الهوامش:

١ - القبض والبسط مصطلحان فى علوم القرآن يراد من الأول ربط «التاء» فى نحو «نعمة وسنة» وبالثانى فتح «التاء» نحو: نعمت، وسنت إذا كانتا مضافتين إلى اسم ظاهر. ويقال فيهما: القبض والمد، والمعنى واحد.

٢ - المقنع فى رسم مصاحف الأمصار (٨٢).

٣ - الكشاف للإمام الزمخشرى (٣/٤٨٦).

قراءة في معجزات الخلق والخالق

منهج التفسير العلمى هو منهج القرآن. وكان العقاد يقول: إن العلم الذى أمر به القرآن هو كل ما يدركه الإنسان من معرفة بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله فى هذا الكون: ﴿أو لم ينظروا فى ملكون السماوات والأرض وما خلق الله من شىء﴾ الأعراف: آية ١٨٥، و﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت* وإلى السماء كيف رفعت* وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت﴾ الغاشية: الآيات ١٧ ـ ٢٠، ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ البقرة: آية١٦٤.

● رجب البنا ●

علماء الحشرات أيضا يفسرون القرآن

فالعلم فى الإسلام ـ كما يقول العقاد ـ يتناول كل موجود، وكل مايوجد فمن الواجب أن يعلم، فهذا العلم ليس مقصورا على ما يتصل بأداء الفرائض والشعائر، ولكنه أكثر عموما من ذلك لأن الإنسان يهتدى به إلى سر الله فى خلقه ويعرف حقائق الوجود فى نفسه ومن حوله، ولهذا قال النبى ﷺ «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء»، وقال: «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع»، وحين ذكر أمام الرسول رجلان أحدهما عابد والآخر عالم قال: «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»، ويعود بنا العقاد إلى الكثير من الأحاديث كما جاءت فى كتاب جامع الأصول لعبد الرحمن بن على لمن يريد المزيد.. وهذا غير الأحاديث التى وردت فى فضل المعرفة، وفريضة العلم على كل مسلم ومسلمة، وقد مرت بالأمم الإسلامية عصور متخلفة جهلت فيها الإسلام نفسه، فجهلت فضل العلم كما جهلت فضل الدين، ولكن الإسلام لم يخل تاريخه من مجتهدين استمدوا حرية الفكر من هذا الينبوع، وأوجبوا على المسلم أن يتعلم حيث وجد العلم. فكل معرفة صحيحة هى معرفة قرآنية إسلامية.

ورأى العقاد أيضا أن العلوم العصرية عرفت باسم العلوم الأوروبية يوم كانت أوروبا كلها حربا على العالم الإسلامى بغاراتها على بلاده، وإذلالها شعوبه، ومع ذلك لم يظهر من المسلمين عداء لكل ما يأتى من المستعمرين الطامعين من علوم حديثة، ولكنهم أقبلوا على علوم الغرب وتنبه المسلمون مبكرا إلى خطورة التسرع فى تفسير القرآن بنظريات علمية لم تثبت صحتها، مثل النظرية السديمية مثلا، التى يفسر بها البعض آية

الدخان ﴿**ثم استوى إلى السماء وهى دخان..**﴾ فى سورة فصلت، والنظرية السديمية خلاصتها أن المنظومة الشمسية نشأت من السديم أى من مادة غازية ملتهبة، بردت وتجمدت، وخرجت من جرمها الكبير أجزاء كثيرة تفرقت، فدارت حول نفسها وحول الجرم الكبير بفعل الجاذبية والحركة المركزية، وإن نشأة النجوم فى السماء مماثلة لهذه النشأة، وهذه الفكرة شائعة ولكنها - كما يقول العقاد - ليست قاطعة. وهناك فروض أخرى لدى العلماء لم يتوصلوا فيها بعد إلى رأى قاطع، وفى مثل هذه الحالات التى لم يحسم فيها العلماء الخلافات من فروض متعددة يرى العقاد أنه لا حرج أن يأخذ بها البعض، بشرط ألا يلزم غيره بالفروض التى يستند إليها فى تفسير الآية ويعتبرها من دعائم الإيمان بالقرآن، لأنه قد تظهر فيما بعد أدلة ترجح النظرية السديمية أو ترجح نظرية أخرى من النظريات الموجودة الآن، فمن يفسر آية بنظرية لم يتأكد فيها اليقين عليه أن يذكر ذلك صراحة على أن تفسيره مجرد فرض إلى أن يثبت صحته أو خطأه، ويختلف ذلك عمن يفسر آية بحقيقة علمية ثابتة تتأكد صحتها كل يوم ولم تعد موضعا لإعادة نظر.

■■■

والدكتور عبدالرزاق نوفل كان من أوائل المجتهدين فى التفسيرالعلمى للقرآن، وكان كتابه «الله والعلم الحديث» قنبلة تفجرت فى عقول المفسرين التقليديين وفتحت أمامهم آفاقا جديدة لفهم القرآن، وأثبت - كما قال الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر فى ذلك الوقت فى مقدمته - أن عبدالرزاق نوفل أثبت بالعلوم الحديثة أن العلم والدين لا يختلفان ولا يتناقضان، وأن العلم يخدم الدين ويؤيده ولا يعارضه ﴿**قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء**﴾ الرعد: آية ١٦، ورحب الشيخ حسن مأمون بهذا المنهج الذى يأتى بالآية وبما أثبته العلم والعلماء، ومن المقارنة يظهر صدق الآية وصدق كل ما أرادت أن تلفت العقول إليه.. وهذا المنهج هو الأنسب فى هذا العصر لمحاربة موجة الإلحاد والتشكيك وزلزلة العقيدة، والإسلام منذ ظهوره له أعداء يشككون فى ثوابته وأولها القرآن.. ويشير عبدالرزاق نوفل إلى عبارة لعالم الفلك الكبير فى القرن الثامن عشر «هرشل» قال فيها: «كلما اتسع نطاق العلوم كثرت الأدلة على وجود حكمة خالقة، قادرة، مطلقة، وما علماء الطبيعة، والكيمياء، والفلك، إلا بناة لمعابد العلوم التى يسبحون فيها للخالق العظيم»!

ومن الطبيعى أن كل من يدرك مدى الدقة فى حركة الأجرام والكواكب ويصل إلى معرفة تكوين الكون، لابد أن يشعر بالرهبة، والانبهار، ويشعر بوجود قوة تفوق قدرة البشر على إدراكها، هى التى خلقت كل هذه المعجزات.. ومثال ذلك البروفيسور أ. ج كرونين الذى بدأ حياته ملحدا، إلى أن نظر إلى الكون فأصاب عقله وفكره، زلزال عظيم عبر عنه بقوله: «إذا تأملنا الكون وأسراره وعجائبه، ونظامه ودقته، وضخامته، وروعته، لابد أن يفكر فى إله خالق، من ذا الذى يتطلع إلى السماء فى ليلة صيف صافية، ويرى النجوم اللانهائية تتألق بعيدا، ثم لا يؤمن بأن الكون كله لا يمكن أن يكون وليد المصادفة العمياء، وعالمنا هذا وهو يدور فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة، وفصول متتابعة، لا يمكن أن يكون مجرد كرة من المادة، خالية من الدلالة، نزعت من الشمس وألقيت فى الفضاء بلا معنى أو سبب»!

نفس المعنى عبر عنه عالم آخر هو آرثر كومتبوت الحائز على جائزة نوبل فى الفيزياء حين

قال: «فى معملى لا أسعى إلى إثبات حقيقة الحياة بعد الموت، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة، تجعلنى أحس إزاءها أحيانا أنه يجب على أن أركع احتراما لها».

■■■

والنظر فى خلق الإنسان ذاته يقود إلى الإيمان بالله قطعا.

فالإنسان يتكون فى البداية من خلية واحدة، وهذه الخلية تكون العظام وهى مادة صلبة، والغضاريف وهى مادة نصف صلبة، واللحم وهو مادة رخوة، وهى نفسها تكون الأنسجة وهى لزجة، والدم وهو سائل، وتكون أيضا طبقات الجلد الرقيقة جدا، وأهداب العين وهى دقيقة جدا وهذه الخلية الواحدة يتكون منها أيضا السمع، والبصر، والإحساس أو الشعور أو الفؤاد، وينشأ منها إنسان قصير أو طويل، أبيض أو أسود.. هذه الخلية اكتشف العلماء مكوناتها وتحليل مادتها وطريقة انقسامها، ولكنهم عجزوا عن تفسير اللحظة التى تدب فيها الحياة.. اللحظة التى تدب فيها الروح.. وليس هناك عالم لا يقف حائرا عاجزا أمام الروح.. لأن الروح من أمر ربى!

ويكفى أن ينظر العلماء إلى الجنين كيف يتغذى فى بطن أمه، وكيف يتنفس، وكيف يقضى حاجته ويتخلص من فضلاته، بل كيف تعلق فى الرحم، أو كيف ارتبط بأمه بالحبل السرى الذى يتغذى منه، إذا فكر العلماء فى ذلك كله فلا يملكون إلا أن يسلموا بقوله تعالى: **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾** النحل: آية ٧٨.

وعندما يبلغ الحمل نهايته تفرز الأنثى إفرازات منها ما يساعد على انقباضات الرحم، ومنها ما يسهل عملية انزلاق الجنين، ومنها ما يعمل على مساعدة المولود على أن يكون نزوله بالوضع الطبيعى، وعقب الولادة يفرز الثدى سائلا أبيض مائلا للإصفرار، ومن عجيب صنع الله أن هذا السائل عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقى الطفل من الاصابة بالأمراض وتعطيه حصانة طبيعية، وفى اليوم التالى للميلاد يبدأ اللبن فى التكوين، ومن تدبير الخالق أن يزداد مقدار اللبن فى ثدى الأم يوما بعد يوم حتى يصل بعد سنة إلى حوالى لترين ونصف اللتر فى اليوم، بينما لا تزيد كميته فى الأيام الأولى على بضع أوقيات، وهكذا يتبين معنى قوله تعالى: **﴿وكل شىء عنده بمقدار﴾** الرعد: آية ٨، بل إن تركيب اللبن ذاته تتغير نسب مكوناته وتركز مواده، ففى البداية يكاد يكون ماء به قليل من النشويات والسكريات، ثم تزيد نسبة النشويات والسكريات والدهون فيه تدريجيا بما يوافق احتياج جسم الرضيع وقدرته على الهضم والتمثيل الغذائى، ويلزم لعملية النمو فى كل مرحلة، فهل يمكن أن يكون هذا التدبير المحكم بغير مدبر؟

وهكذا لو تتبعنا مراحل نشأة الإنسان منذ كان نطفة حتى يصير رجلا أو امرأة، سنجد أن معجزات الخلق والخالق ظاهرة فى كل جزء فيه، ابتداء من تركيب الثدى الذى يرضع منه وهو طفل، إلى نظام الأسنان التى تنمو فى فمه والتى تختلف من قواطع فى وسط الفم لقطع الطعام، إلى جانبها أنياب للمعاونة فى تمزيقه، ثم الضروس لطحن الطعام، ومع تقدم الطب والتكنولوجيا لم يستطع العلماء أن يبتكروا نظاما أفضل للإنسان، ولم يجدوا إلا أن يقلدوها عند صناعة أطقم الأسنان الصناعية.. معجزات كثيرة تفوق الحصر داخل جسم الإنسان - وتأمل عملية الهضم - ووظائف الكبد مثلا التى يقول العلماء إننا إذا أردنا إنشاء مصنع لتنقية الجسم من السموم والمواد الكيماوية، وإفراز مواد لهضم المواد

الدهنية، وتصنيع مادة الكولسترول اللازمة للجسم، واختزان كمية من السكريات لإفرازها وقت الحاجة.. لو أردنا إنشاء مصنع للقيام بكل هذه الوظائف فسيكون هذا المصنع على مساحة لا تقل عن فدانين.. ونفس المعجزة فى الكلى.. هذا الجزء الصغير الذى يقوم بوظائف خطيرة ويكفى أن تشاهد ماكينات غسيل الكلى الصناعية التى تستعمل لمرضى الفشل الكلوى لترى إلى أى حد بلغ الإعجاز فى خلق هذا الجزء الصغير من جسم الإنسان.

ولم يعرف العلماء إلا منذ أربعين عاما تقريبا وظائف الغدد الصماء، ووجدوا أنها معامل صغيرة تمد الجسم بالتركيبات الكيماوية الضرورية، تبلغ قوتها إلى الحد الذى يجعل أقل قدر منها له آثار خطيرة على الإنسان، وهى مرتبة ترتيبا مذهلا، وإفراز كل غدة يكمل إفراز غدة أخرى، وبينها توازن غاية فى الدقة، وإذا اختل التوازن الهرمونى تظهر أمراض خطيرة.. ولم يعرف العلماء مثلا إلا مؤخرا أن الغدة النخامية والغدتين فوق الكليتين إنما هما مخازن ذخيرة تعمل وتنشط عند الحاجة ووظيفتها الأساسية حفظ التوازن الكيماوى والحيوى فى الجسم.. وعندما يكون الإنسان فى جو بارد تفرز هذه الغدد إفرازات تسبب ضيق الأوعية الدموية فيرتفع ضغط الدم، ويتغلب الجسم على برودة الجو، ويشعر بالدفء الداخلى الناتج عن ارتفاع ضغط الدم.. وفى حالات الجروح الخطيرة تعمل هذه الغدد - بالعكس - على خفض ضغط الدم وسرعة تجلطه لإيقاف نزيف الدم، وعند الانفعالات النفسية والتوتر والقلق تعمل هذه الغدد على خفض ضغط الدم لتخفيف آثار هذه الحالة النفسية على بقية أجزاء الجسم.

ثم تأمل وظائف المعدة، والأمعاء، والمخ وهو أعقد جهاز مازال العلماء حائرين فى فك طلاسمه، وجهاز المناعة الذى يقف بالمرصاد لحماية الجسم من الميكروبات ويهاجمها.. والدورة الدموية والقلب ثم المعجزة فى أن أجهزة الجسم مخلوقة بقدرة على التكيف والتعويض إلى أن يشاء الله.. فإذا استؤصلت كلية من الجسم تبدأ الكلية الأخرى فى التضخم لتعوض النقص الذى طرأ.. وإذا استؤصل نصف الغدة الدرقية زاد حجم النصف الباقى، وإذا إصاب القلب مرض فى صماماته يقلل من قدرته، يزداد سمك جدرانه شيئا فشيئا وتقوى عضلات القلب، ويزداد حجم القلب فى محاولة لإصلاح الخلل، ودلت التجارب على أن بالجسم أجزاء احتياطية يمكن الاستغناء عن جزء منها إذا أصيب بمرض، فيمكن استئصال جزء من الأمعاء حتى سبعة أمتار دون أن يؤثر ذلك على حياة الإنسان.

والدكتور عبدالرزاق نوفل يتابع فى دراسته معجزات الخلق والخالق فى كل جزء من أجزاء جسم الإنسان.. الجلد.. حاسة السمع.. الإبصار.. الشم.. العظام.. الجهاز العصبى.. الغدد الليمفاوية.. العضلات.. فى كل منها معجزات تفوق التصور.. وفى كل منها نعمة من نعم الله على الإنسان **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** إبراهيم: آية ٣٤، ثم يتابع المعجزات فى خلق الحشرات والطيور والحيوانات.. وهى قبائل وأنواع.. من الغراب.. إلى الضفدعة والأخطبوط.. والسمك.. والخفاش.. والسحالى.. والجمال.. ومعجزة تكون اللبن فى جسم الحيوانات.. وصدق الله العظيم: **﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾** النحل: آية ٦٦، وهكذا وهكذا.

كلما نظرت فوقك فى السماء لتتأمل هذا الكون العجيب وما فيه أو تنظر إلى نفسك ومافى جسمك وأحوالك.. أو تنظر حولك فى الماء أو

الهواء أو النبات والحيوان والحشرات.. ستجد معجزات فوق قدرة العقل.. **﴿هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين﴾** لقمان: آية ١١.

ويستمر عبدالرزاق نوفل فى رحلته مع الخلق والخالق ليتوقف عند تناسل الإنسان والحيوان والحشرات، ليفسر قوله تعالى: **﴿ونفس وما سواها* فألهمها فجورها وتقواها﴾** الشمس: الآيتان ٧، ٨، وقوله تعالى: **﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾** يس: آية ٣٦.. وكيف خلق الله فى الأم عاطفة الأمومة فى كل الأحياء تجدها فى الحيوان كما تجدها فى الإنسان، بحيث تتحمل الأم الآلام وتضحى من أجل صغارها براحتها وبحياتها أحيانا.. فمن الذى علم الدببة والقطط والكلاب أن تحمل أولادها بأنيابها الحادة وتعدوا بها مسافات شاسعة لإنقاذها وحمايتها دون أن تخدش جلدها..؟ ومن علم الخفاش أن يطير وهو يحمل أولاده الصغار معلقة به وهو ينوء بحملها ولا يضعها إلا حين يطمئن إلى مكان آمن؟ ومن الذى علم حيوان الكنجارو أن يحمل وليده فى كيس بطنه ويقفز به فى مناطق الخطر؟ ومن علم الحيوان والطير كيف يغذى صغاره؟ ومن علم الطير أن يهاجر بحثا عن الدفء أو الغذاء أو هربا من خطر يهددها، والأغرب من ذلك كيف تهتدى هذه القوافل من الطيور المهاجرة إلى موطنها فتعود إليه بغير خرائط أو سابق معرفة بالطريق؟

وهل فكرت مثلا كيف تحولت البيضة إلى كتكوت؟

أو ماذا يفعل النحل لحفظ الهواء داخل الخلية عند درجة حرارة ثابتة والتهوية بالقدر الذى يلزم لنمو اليرقات.. عندما تجند طائفة من النحل نفسها للقيام بهذه المهمة.. بعضها يقوم بإجهاد عضلاته لتوليد الحرارة فى أبدانه ويشع الحرارة فى الخلية، وبعضها يجثم على الأرض ويحرك أجنحته بسرعة محددة كأنها مراوح كهربائية لتهوية الخلية، فتكون مكيفة الهواء والحرارة.. وكل ذلك للحفاظ على حياة المواليد الصغيرة التى تموت إذا زادت أو نقصت الحرارة عن درجة معينة.

■■■

وفى النمل معجزات تفوق الخيال، جعلت عالما مثل «رويال ديكنسون» أحد علماء التاريخ الطبيعى يقول فى كتابه «شخصية الحشرات»: «لقد ظللت أدرس مدينة النمل عشرين عاما فى بقاع مختلفة من العالم، فوجدت أن كل شىء يحدث فى هذه المدينة فى دقة بالغة، وتعاون عجيب، ونظام يفوق ما نراه فى مدن البشر، علاوة على الهدوء والسكون.. وراقبت النمل وهو يرعى أبقارا عبارة عن خنافس صغيرة رباها النمل فى جوف الأرض زمنا طويلا حتى فقدت بصرها من حياة الظلام، ولا أحد يعرف فى أى عصر بدأ النمل رعى هذه الأبقار، وكل ما نعلمه أن الإنسان سخر نحوا من عشرين حيوانا لمنافعه، بينما سخر النمل مئات الأجناس من حيوانات أدنى منه فى الجنس، مثل بق النبات، وحشرة يصعب استئصالها، وفى الربيع يرسل النمل مجموعات تجمع له بيض هذا البق وتضعه فى المستعمرة وتعنى به حتى يفقس وتخرج صغاره، وعندما تكبر تدر سائلا حلوا تقوم على حلبه جماعة من النمل لا عمل لها إلا حلب هذه الحشرات بمسها بقرونها، وتنتج كل حشرة ٤٨ قطرة من العسل كل يوم، أى بمقدار يزيد على مائة ضعف ما تنتجه البقرة للإنسان بمقياس حجم الحشرة إلى حجم البقرة.

ويزرع النمل زراعات خاصة به، ويقول «رويال ديكنسون»: إنه وجد جماعة من النمل زرعت

مساحة بلغت ١٥ مترا مربعا من الأرض، ووجد جماعة منها تقوم بالحرث، وبعضها زرع الأرز، وبعضها كان يزيل الأعشاب، وبعضها يقوم بأعمال الحراسة لحماية الزراعة من الديدان، ولما بلغت عيدان الأرز تمام نموها كان يرى صفا من شغالة النمل لا ينقطع، يتجه إلى العيدان، فيتسلقها حتى يصل إلى حبوب الأرز، فتنزع كل نملة حبة أرز واحدة، وتنزل بها سريعة إلى مخازن تحت الأرض، وقام العالم بطلاء بعض النمل بألوان مميزة، فوجد أن الفريق الواحد من النمل يذهب دائما إلى العود الواحد، حتى يفرغ ما عليه من الأرز.

والأغرب من ذلك أن هذا العالم ظل يراقب النمل ويدرس أحواله، إلى أن نزل المطر أياما، وبعد أن انقطع نزول المطر، وجد بيوت النمل تحت الأرض مزدحمة بالعمل والعمال، ووجد كل نملة تخرج من البيت تحمل حبة أرز، وتذهب بها إلى مكان معرض للشمس وتضع الحبة لتجف من ماء المطر.. وبعد ساعات عادت الشغالة لتحلم الأرز إلى مخازنه تحت الأرض بعد أن اطمأنت إلى جفافه.

فمن ألهم هذه الكائنات أن تفعل كل هذا..؟ هل هى الطبيعة؟ هل هى المصادفة؟ هل يتحقق ذلك النظام الدقيق فى الكون وفى الكائنات عشوائيا؟ أو هناك خالق مدبر غاية فى الحكمة وغاية فى القدرة.. **﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل﴾** الأنعام: آية ١٠٢.

■■■

ولو تصورنا أن الإنسان لم يخلق وفيه القدرة على الكلام، وفهم الكلام، كيف سيكون حاله؟ كيف كان يمكن أن يعيش البشر بدون القدرة على المخاطبة والتفاهم؟ من فضل الله أن جعل الإنسان قادرا على التعبير باللغة واللسان، وبذلك ينقل لغيره مافى فكره وما يشعر به، ويعبر عن الفرح والحزن، أو الألم، أو يطلق نداء الاستغاثة، وحتى الحيوان أثبت العلم أن له لغة خاصة للتفاهم، الدجاجة تصدر أصواتا مميزة فترى صغارها تقبل إليها بسرعة تلتقط الحب.. وتصدر أصواتا مخالفة فترى الصغار تهرول إلى العش، وكثير من العلماء راقب سلوك الحيوان واكتشف أن له لغة خاصة، والنحلة إذا عثرت على حقل فيه زهور عادت إلى الخلية وتقف وسط زميلاتها وترقص رقصا خاصا، فيندفع النحل ويطير خلفها إلى هذا الحقل.

وكتب عالم الحشرات «افيرى» أنه أراد أن يمتحن عقل النمل، فوجد نملة خارجة وحدها من الجحر، فوضع فى طريقها ذبابة لصقها على قطعة فلين بدبوس، فوقفت النملة تعالج الذبابة بفمها وأرجلها مدة عشرين دقيقة، ولما عجزت، ذهبت إلى الجحر، وبعد ثوان، خرجت تتقدم ١٢ نملة من أخواتها وقفوا جميعا يمزقون الذبابة، وعادت كل نملة وهى تحمل جزءا من الذبابة، كيف أخبرت النملة زميلاتها بأنها وجدت طعاما وتحتاج إلى مساعدة؟

يقول علماء الحشرات: إن صرصار الغيط يصدر صوتا فى الليالى الدافئة فى الحدائق والمزارع يدعو به أنثاه إذا بعدت عنه، وكذلك نقيق الضفادع ليلا، وأسراب الفيلة لا تكف عن الغمغمة وهى تسير فى جماعات، فإذا تفرقت وسار كل فيل وحده انقطع الصوت وسار الفيل صامتا.. وأحيانا تجتمع الفيلة لتحاكم فيلا ارتكب مخالفة، فتصدر أصواتا مزعجة أقرب إلى الخناقة، وفجأة تنتهى هذه الأصوات ويخرج الفيل المحكوم عليه ليعيش وحيدا وقد حكمت عليه الجماعة بالطرد..

وأصوات الغراب المميزة إشارة إلى خطر يحذر منه أبناء جنسه، وفى أوقات المرح يصدر منه صوت مختلف، ويقول «أكلاند» العالم الذى أعد دراسة مطولة عن سلوك الغراب إن الغراب يفوق الطيور الأكبر منه فى الحجم والأقوى منه بسبب مكره، وهو لص، وفيه صفات الخسة والدناءة، وقبل أن تنام الغربان تجدها فى محادثة طويلة ذات ضوضاء مع جيرانها.. ولاحظ العلماء أن لكل غراب مخزنا سريا قد يكون ثغرة فى شجرة، أو تحت سقف برج قديم، أو خلف حجر فى كوبرى، وجدوا فى أحد هذه المخازن السرية قطعة من مرآة مكسورة، ويد فنجان، وقطعة صفيح، وأشياء أخرى تتفق فى شىء واحد، إنها تتألق فى الشمس.

والحشرات أيضا لها لغات.. العنكبوت مثلا يتحدث إلى أنثاه من خلال خيوطه، فيقف الذكر على طرف الشبكة ويجذبها، فتخرج الأنثى لاستقباله أو ترد عليه بأن تجذب هى الخيوط، فكأنهما يتبادلان حديثا سلكيا خاصا! وقد أصدر العالم الروسى «فرولوف» كتابا عنوانه «سمك يستجيب للتليفون» ذكر فيه أنه وضع فى المعمل حوضا به سمك وربط السمك إلى سلك كهربائى خفيف طويل، فيستطيع السمك أن يسبح كما يشاء، وكان كلما أجرى التيار الكهربائى فى السلك يصاحبه بجرس يدق فينتفض السمك من تأثير الكهرباء، وبعد عدة مرات دق الجرس فقط دون إطلاق التيار الكهربائى فانتفض السمك.. وهذا ما أطلق عليه العالم الروسى «بافلوف» الفعل المنعكس الشرطى، بعد أن قام بتجربة مماثلة مع الكلاب. وأثبتت تجارب العلماء أن السمك يسمع ويميز الأصوات ويستجيب لها.. وبعض الحيوانات تفهم لغة الإنسان وتستجيب لها.. كما يدعو الإنسان الدجاج إلى الغذاء بصوت معروف.. ويدعو البط والأوز بصوت مختلف.. ويدعو الدواب إلى الشراب بالصفير.. والكلب ينفذ أوامر صاحبه.

والنوم معجزة. وهو أهم للحياة من الطعام والشراب.. ووجد العلماء الكلاب لا تستطيع أن تعيش أكثر من خمسة أيام دون نوم بينما عاشت عشرين يوما بدون طعام، وكل الحيوانات تنام، وجد العلماء أن الحيوانات تحلم أثناء النوم وبعض الحيوانات تقوم من نومها فزعة تتلفت فى كل الاتجاهات، مما يدل على أنها رأت حلما مخيفا، والأسماك والحشرات أيضا تنام.. والطير ينام على أغصان الشجر دون أن يقع.. والحصان ينام واقفا.. **﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾** الروم: آية ٢٣، **﴿الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾** غافر: آية ٦١.

■■■

رحلة طويلة سار فيها الدكتور عبدالرزاق نوفل مع كتاب الله ليكتشف معجزات الخلق والخالق.. ووضع فى عشرين كتابا خلاصة ما وصل إليه، ويلخصه قول الله تعالى: **﴿قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار﴾** الرعد: آية ١٦.. و**﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم﴾** التغابن: آية ٣، و**﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾** النحل: آية ٦٨، و**﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾** التين: آية ٤، وكثير من الآيات لا يمكن فهم أبعادها إلا فى ضوء العلوم الحديثة، وكثير من الحقائق التى توصل إليها العلماء أخيرا لها إشارات فى القرآن.

دروس فى فقه السنن الإلهية

من قصص القرآن الكريم

إن موقف الإنسان من الوحى السماوى إيمانا به وانتفاعا بعطائه أو تنكرا له وكفرا به وتصور العلاقة ليس وليد هذا العصر، ولا من خصوصياته، كما أنه ليس من خصوصيات أمة بعينها. إن العلاقة بينها تضرب جذورها فى أعماق التاريخ من يوم أن دب الإنسان على ظهر الأرض.

نعم، إنها ليست من خصوصيات أمة دون أمة، ولا حضارة دون حضارة، إنها إرث مشترك بين بنى الإنسان منذ وعى الإنسان وجوده، وقد تأخذ العلاقة بين الإنسان والوحى السماوى شكل حوار هادئ أحيانا، وقد تأخذ شكل صراع عنيف أحيانا أخرى.

أ. د/ محمد السيد الجليند

وبالتالى فلابد أن تختلف لغة التعبير عن هذه العلاقة من أمة إلى أخرى، ومن مستوى ثقافى إلى مستوى ثقافى آخر فى داخل الحضارة المعينة حسب قرب هذه اللغة من منطق الفطرة السليمة أو بعدها عنها، فإن من مقاصد خطاب الوحى الدينى التوجه إلى الفطرة السليمة التى تتجلى أنوارها فى مظهر العقل وتجلياته المعرفية، لأن العقل فى أسمى تجلياته نور من نور الفطرة ومظهر من مظاهرها، كاشفا عنها وعن سلامتها واستعدادها لتقبل ماهو صحيح من المعارف والعلوم ورفض كل ماهو زائف منها، كما ينبه العقل فى الكثير من أحواله عن العلل والأمراض التى تعترى هذه الفطرة فتحجبها عن تقبل الحق ومعاندته ورفضه بل ومحاربته، وهذا أمر معروف فى تاريخ العلاقة بين الوحى والإنسان على طول التاريخ.

إن جذور هذه العلاقة بين الإنسان والوحى تمتد فى أعماق التاريخ لترتبط بأبى البشرية آدم عليه السلام حيث يسجل لنا القرآن الكريم بداية هذه العلاقة فى حوار هادئ بين الوحى والإنسان، فحين أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس امتنع وقال: ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾ فكيف أسجد له وأنا أشرف منه؟ مدعيا شرفه على آدم لأن النار عنده أشرف من الطين، وبالقياس العقلى عند ابليس لا يجوز أن يسجد الأشرف للأدنى. والقصة معروفة بتكرار ذكرها فى القرآن الكريم، ثم أمر الله آدم وزوجه أن يسكنا الجنة. وحذرهما من إغواء الشيطان لهما وقال لهما إن الشيطان لكما عدو مبين.

وقال لهما إن حال مقامكما فى الجنة لا يعتريكما جوع ولا عراء ولا ظمأ ﴿**إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾ طه: آية ١١٨، ١١٩، ثم أباح لهما الأكل من الجنة

حيث شاء إلا شجرة واحدة نهاهما عن الأكل منها وقال لهما: لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. وكرر القرآن الكريم تحذيره لآدم من متابعة الشيطان وأعوانه فقال تعالى: **﴿إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾** طه: آية ١١٧.

ويسجل القرآن الكريم حالة من حالات الضعف البشرى أمام إغواء الشيطان لآدم وزوجه، فزين لهما الشيطان الأكل من الشجرة،: **﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أوتكونا من الخالدين* وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين* فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾**. فأكل آدم من الشجرة، وعصى بذلك الأمر الإلهى كما قال تعالى: **﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾**، ثم تاب آدم من ذنبه فتاب الله عليه **﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** الأعراف: آية ٢٣. وكما سجل القرآن الكريم معصية آدم وذنبه سجل أيضا توبته من ذنبه وندمه على ما اقترف وأن الله تقبل منه توبته واصطفاه. قال تعالى: **﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾** طه: آية ١٢٢.

ـ ١ ـ

والقرآن الكريم يقص علينا هذه القصة فى أسلوب تربوى تعليمى ليبين لنا حالة النفس البشرية وما يعتريها من حالات الضعف فى كثير من الأحيان أمام المغريات وأمام إغواء الشيطان ووسوسته وأن ذلك لا يجوز أن يكون مدخلا إلى حالة من اليأس أو القنوط من رحمة الله وأن باب التوبة مفتوح أمام المذنبين.

كما بين لنا من جانب آخر سنة من سنن الله فى كونه تتحكم هذه السنة فى مسار علاقة الإنسان بوحى السماء، وتتمثل هذه السنة فى أصل طبيعة النفس البشرية ومن لوازمها «الضعف» أمام المغريات، الضعف أمام المثيرات، وأن أكبر عامل نعالج به هذه الحالة هو الاستعانة عليها بالله، ومتابعة هداه، والقرآن الكريم حين سجل لنا قصة آدم قد ختمها بهذه النهاية التى تتضمن هذا القانون العام الذى يحكم علاقة الإنسان بالله، قال الله تعالى: **﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى* ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى* وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾** طه: الآيات ١٢٣ ـ ١٢٧.

وقال تعالى فى موضع آخر: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** البقرة: آية ٣٨. وتكرر ذلك فى القرآن فى مواضع أخرى.

ولا نريد الخوض فى تفاصيل هذه القضية أو التعرض لإرادة الله فى ذلك وما الحكمة من الأمر بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن السجود أو الأكل من الشجرة والخروج من الجنة. فإن ذلك له مواضع أخرى، ولكن نود أن نسجل هنا بعض الملاحظات التى تعتبر دروسا لابد أن نعيها من سرد هذه القصة وغيرها فى القرآن الكريم ومن أهمها:

١ ـ أن الذنب أو المعصية لا ينبغى أن تكون مدعاة لليأس من رحمة الله حتى وإن تكررت المعصية، فإن باب التوبة مفتوح أمام المذنبين ولا ييأس مؤمن من رحمة الله أبدا.

٢ ـ أن من لوازم النفس البشرية وخصائصها الضعف أمام المغريات وأمام عوامل الإثارة للغضب. وأن عاصمها من ذلك هو اللجوء إلى الله والالتزام بهديه والاستعانة به.

٣ ـ أن موقف آدم من أوامر الوحى هنا لم يكن معارضة له ولا تنكرا وإنما كان مخالفة للأمر

باتباع هوى النفس واستجابة لإغواء الشيطان له. فالمعصية هنا ليست رفضا للأمر الإلهى بدعوى أن الأمر الإلهى يعارض برهانا عقليا أو قياسا منطقيا وإنما كانت ذنبا اعترف به ادم وتاب منه وتاب الله عليه فاصطفاه واجتباه وعلمه هذا القانون العام **﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى* ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** طه: الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

ولابد من التأكيد هنا على هذا المعنى الذى من أجله عصى آدم الأمر الإلهى، إنه متابعة هوى النفس وليست معارضة للوحى ولا تنكرا له ولا رفضا ولا معاندة له.

ونحن نعلم أن فى هذه القصة بعدا كونيا تتعلق به إرادة الحق سبحانه، فإن الأكل من الشجرة والهبوط إلى الأرض والخروج من الجنة كلها أمور ترتبت على أمر كونى أراده الحق سبحانه من وقوع هذه المعصية لكى يهبط آدم إلى الأرض ويعمرها كما قال سبحانه: **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين* قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾** الأعراف: الآيتان ٢٤، ٢٥، وهذه القضية الكونية ليست مجال حديثنا الآن، ولكن الذى ننبه إليه أن هذه المعصية كانت تسجيلا لحالات الضعف البشرى أمام إغواء الشيطان ولم تتضمن تنكرا ولا رفضا لأوامر الوحى.

ـ ٢ ـ

وإذا تتبعنا مسيرة الوحى خلال تتابعه على الأنبياء، والمرسلين وحاولنا التعرف على أسباب معاندة الأمم لأنبيائهم فلا نجد لديهم حجة مقبولة فى منطق العقل وإنما نشأت معاندتهم للوحى إما لأن الوحى يطالبهم بالتخلى عما ألفوه وورثوه عن الآباء من عادات وتقاليد موروثة وعقائد مألوفة، وإما متابعة للهوى وتحصيلا لرغائب النفوس وتحصيلا لشهواتها.

ومن المعلوم أن نفوس بنى آدم متباينة وأهواءها متعارضة ومتنوعة ولكل عصر أهواؤه ورغباته، ولكل بيئة اجتماعية أهواؤها ورغباتها التى تنعكس فى سلوكها وعاداتها وتقاليدها وفى علاقات الأفراد والجماعات بعضهم مع بعض وهذا ما أكده القرآن الكريم فى قوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾** هود: آية ١١٨. وهذا أيضا قد أكده الواقع الاجتماعى للأمم والشعوب.

فهناك أصحاب النفوس الفرعونية الذين لا يرضون من الغير إلا الخضوع المطلق والاستسلام التام فلا يرى أتباعه إلا ما يرى هو ولا يحسنون إلا ما جعله لهم حسنا ولا يقبحون إلا ما يراه هو قبيحا رافعا شعار السياسة الفرعونية **﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾** غافر: آية ٢٩.

وهناك أنماط من البشر يحبون المال حبا جما بحيث يكون جمع المال واكتنازه من أى طريق كان هدفا مقصودا لهم وغاية منشودة، بحيث يصير المال هو إلههم ومعبودهم.

وهناك نمط من البشر وصفه القرآن الكريم بأنه **﴿أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾**.

وهناك من يطغى أن رآه استغنى، وهناك.. وهناك. وكل هذه النماذج البشرية إذا جاءها الوحى بما يعارض أهواءها رفعت شعار الرفض والمعارضة، فإذا أضفت إلى هذه النماذج ما تجده فى نفوس بنى آدم من حب التعصب للجنس أو اللون أو المذهب والقبيلة أدركت الصعوبات التى واجهها الأنبياء من أصحاب هذه الأهواء، فإن شأن أهل الأهواء فى كل عصر معارضة أصحاب المبادئ ومعاندتهم، فضلا عن معارضتهم لأوامر الوحى ونواهيه مع الأنبياء والمرسلين، ومن المفيد أن نسجل هنا فى هذه العجالة بعض الملاحظات التى تستوقف الباحث فى تاريخ العلاقة بين الوحى والإنسان:

١ - الملاحظة الأولى: إن الأنماط البشرية التى عارضت الأنبياء والمرسلين فيما مضى هى نفس النماذج البشرية التى عارضت مبادئ الإصلاح ورفضت الدعوات الإصلاحية فى العصور التالية على يد ورثة الأنبياء من الدعاة والمصلحين، وهؤلاء المعارضون للوحى صنفان من الناس.

أ - أهل الأهواء وأصحاب العصبيات المختلفة.

ب - أصحاب الملك والسلطان فى كل عصر.

ولقد ساق القرآن الكريم أمثلة ونماذج من الصنف الأول الذين آثروا اتباع الهوى والتعصب له، على دعوة الحق والانصياع لما جاء به الوحى، وحين تستقرئ ما قصه القرآن عن هذه النماذج وعن الأسباب التى عارضوا الرسل من أجلها تجد بينهم شبه اتفاق على هذه الأسباب التى جسدها القرآن فى متابعة الآباء وتقاليدهم.

١ - قال تعالى حاكيا عن قوم هود: **﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون* قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين* قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين* أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين* أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ريكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾** الأعراف: الآيات ٦٥ - ٦٩.

فرفعوا لواء المعارضة فى وجه هذه الدعوة الصادقة وقالوا لنبى الله هود: **﴿أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾** الأعراف: آية ٧٠.

٢ - وكذلك كان موقف أهل مدين من نبى الله شعيب قال تعالى: **﴿ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط* وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين* بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾** هود: الآيات ٨٤ - ٨٦، فماذا كان موقفهم من هذه الدعوة الإصلاحية؟ لقد رفعوا لواء المعاندة والمعارضة **﴿قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** هود: آية ٨٧.

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ هود: آية ٩١.

٣ - وكذلك فعل أهل ثمود مع نبى الله صالح. قال تعالى: **﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب* قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب﴾** هود: الآيتان ٦١، ٦٢.

٤ - وكذلك فعل بنو إسرائيل مع نبى الله موسى قال تعالى: **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين* فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين* قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون* قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾** يونس: الآيات ٧٥ - ٧٨.

وهكذا تكررت هذه المواقف من نبى إلى نبى، ومن أمة إلى أمة، ونجد السبب واحدا، إنه الإلف والتعود والتعصب لما ورثوه عن جيل الآباء والأجداد، من عادات وعقائد وقعوا أسرى لها دون أن يتساءلوا حولها ليعرفوا موقعها من الصواب والخطأ، والحق والباطل.

وإنما كفاهم أنها مواريث الآباء ومقدسات الأجداد، وكان موقفهم من دعوة الرسل هو

الرفض والمعاندة. وقالوا لرسلهم: **﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾** إبراهيم: آية ١٠.

وقالوا لنبى الله شعيب: **﴿لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾** الأعراف: آية ٨٨.

وقالوا: **﴿لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون﴾** الأعراف: آية ٩٠.

وقالوا لرسلهم: **﴿لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا﴾** إبراهيم: آية ١٣، إنها نفس القضية تتكرر مع جميع الأنبياء، التشبث بالمواريث والتقاليد والتعصب لها، ومحاربة كل دعوة إصلاحية جديدة تحمل معها رياح التغيير والإقلاع عن هذه المواريث.

ب ـ أما النمط الثانى من المعارضين للوحى فهم أصحاب الملك والسطان والرياسات الموجودون فى فئات كثيرة من أبناء المجتمعات البشرية، خاصة أصحاب النزعة الفرعونية منهم، الذين يسوسون رعاياهم تحت شعار **﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾**، وهؤلاء تجدهم فى كل عصر، وفى كل طبقة اجتماعية معينة وتجدهم بين أصحاب الحرف كما تجدهم فى طبقة المشتغلين بالعلم، ولكن أشدهم وطأة وأكثرهم بطشا أصحاب السلطان السياسى من الحكام المستبدين بشعوبهم والذين لا يرضيهم من الشعوب إلا أن يكونوا قطيعا من الغنم حتى وإن أوردهم ساستهم موارد الهلاك والدمار، فلا يرضى السلطان إلا بالخضوع المطلق، فلا يسمع بين الناس إلا صوته، ولا يقبل أن يسأل عما يفعل وهم يسألون. إنه المنطق الفرعونى الذى يتكرر على مدار التاريخ. وغالبا ما يدور فى فلك أصحاب النفوذ فى كل مجتمع طبقة من الذيول والاتباع أو المريدين المحبين، يجعلون همهم الأكبر تلمس مواطن رضى رئيسهم، فيكونون حيث يريد وحيث يحب ويهوى، ويتنافسون فى أن يزينوا له سوء عمله ليراه حسنا ويراه الأتباع مقبولا، وهؤلاء موجودون فى كل فئة من فئات المجتمع، ووجودهم حول السطان الأكبر أكثر وخطرهم على الرعية أشد قسوة من خطر السلطان وفى حمايته، وكم قاست الشعوب وذاقت مرارة الظلم والقهر من بطش هؤلاء الأتباع، ومع كثرة هؤلاء واشتداد قسوتهم يزداد إحساس الشعوب بالقهر والظلم ومن المعلوم أن نفوس بنى آدم متنوعة ومواقفهم متباينة فإذا وجدت شخصا فى أمة يعارض هذا اللون من السياسة الفرعونية، فإنك تجد بجانبه الجمهور الأعظم من الناس يؤثرون الصمت، ويفضلون الفوز بإحدى الحسنيين وهى السلامة من بطش السلطان، وربما ينضم إلى قافلة «المريدين».

ولقد وجدنا القرآن الكريم يقص علينا سلوك هذا النمط من الناس مجسدا فى سيرة فرعون مع نبى الله موسى، وكيف زين له اتباعه سوء عمله فرآه حسنا، فادعى الألوهية، وقال لقومه: **«ما علمت لكم من إله غيرى»**، وقال لهم: **«أنا ربكم الأعلى»**.

وحين يقص القرآن علينا هذه المواقف المتعددة فإنه يختمها ببيان العواقب الوخيمة التى آلت إليها مصائر هذه الأمم الماضية لنأخذ منها العبرة ونعى دروس التاريخ فى آثار السنن الكونية فى حركة الحياة، فقال سبحانه فى حق قوم نوح: **﴿فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾** يونس: آية ٧٣.

وقال فى سورة الشعراء: **﴿فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون* ثم أغرقنا بعد الباقين* إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾** الشعراء: الآيات ١١٩ ـ ١٢١.

وقال فى حق قوم عاد: **﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إنى معكم من المنتظرين* فأنجيناه والذين**

معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ الأعراف: الآيتان ٧١، ٧٢.

وقال فى سورة الحاقة: **﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية* سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية* فهل ترى لهم من باقية﴾** الحاقة: الآيات ٦ - ٨.

وقال فى سورة الشعراء: **﴿فكذبوه فأهلكناهم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾** الشعراء: آية ١٣٩.

وقال فى حق قوم ثمود: **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون* قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون* فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين﴾** الأعراف: الآيات ٧٥ - ٧٨، وقال فى سورة الحاقة: **﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾** الحاقة: آية ٥.

وقال فى حق قوم لوط: **﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون* فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين* وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾** الأعراف: الآيات ٨٢ - ٨٤.

وقال فى سورة العنكبوت: **﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولاتحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين* إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون* ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾** العنكبوت: الآيات ٣٣ - ٣٥.

وقال فى سورة الشعراء: **﴿فنجيناه وأهله أجمعين* إلا عجوزا فى الغابرين* ثم دمرنا الآخرين* وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين* إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾** الشعراء: الآيات ١٧٠ - ١٧٤.

وقال سبحانه وتعالى عن مصير هؤلاء جميعا: **﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** العنكبوت: آية ٤٠، وتأمل معى هذه الخاتمة فى كل موقف: **﴿إن فى ذلك لآية﴾**، أو قوله: **﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾**، أو **﴿عاقبة المجرمين﴾**، أو **﴿عاقبة المفسدين﴾**، وهذه كلها تنبيهات وإشارات قرآنية لكى تعى الأمة الإسلامية الدروس وتأخذ العبرة من التاريخ.

ومن الأمور اللافتة للنظر حقا أن هذين النمطين: أهل الأهواء، وأصحاب السلطان تكررت مواقفهم مع الأنبياء قديما وتتكر مواقفهم مع ورثة الأنبياء فى العصور التالية، وكما أشرنا سابقا فإن كل نفس فيها مافى نفس فرعون من حب العلو فى الأرض وحب الرياسة والاستكبار، فإذا وجدت من يزين لها ما تهوى، وإذا وجدت من يعينها على تحصيل ما تحب وترغب فإنها تسارع فى ذلك، وتوالى وتعادى على ذلك، خاصة إذا وجدت بين بنى قومها من هو مؤهل للقيام بهذا الدور - وما أكثرهم فى كل فئة - وعرفت كيف تستعين بهم على تحصيل رغائبها وتحقيق أحلامها، وكلما ازداد هؤلاء الأتباع تزلفا وتزيينا لها ازداد احساسها بالفرعونية وصدق الله العظيم: **﴿إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى﴾**، وعند ذلك تتحول هذه الجوقة من الاتباع إلى بؤرة لصناعة الفراعين الذين يسوسون الرعية حسب هواهم، وهذا أمر موجود فى كل العصور يحسه كل من **﴿ألقى السمع وهو شهيد﴾** قد يختلف الأسلوب، قد تتغير المناهج حسب طبيعة العصر وظروف المجتمع والبيئة، وقد تغلف المناهج حسب طبيعة العصر وظروف المجتمع والبيئة، وقد تغلف هذه الأساليب فى مصطلحات وعبارات اجتماعية رنانة. لكن تظل الأهداف والمقاصد واحدة وهى سياسة الأتباع بمبدأ فرعون **﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾**.

من أباطيل الاستشراق

الأذان فى الإسلام

د. محمد رجب البيومى

من آفة الرأى الهوى، لأن الهوى يضل عن السبيل، ويميل بصاحبه إلى تقرير ما يراه محققا لهدفه، مهما تجافى عن الحق، وقد دأب فريق من المستشرقين على أن يعتقدوا فكرة خاصة قبل أن يبدءوا البحث، ثم هم يواصلون القراءة المتسعة، ليلتقطوا ما قد ينفعهم فى تأييد ما يعتقدون، فإذا رأوا رواية ضعيفة لا سند لها تنبئ عن بعض ما يرون تمسكوا بها وتجاهلوا ما يقال فى تفنيدها، بل عدوها حقا لا مرية فيه، وحسبوا كل ما يناقضها مما قامت الدلائل على صحته لغوا لا يؤبه له.

وقد اتجه نفر منهم إلى الدراسات المقارنة بين العبادات المختلفة فى اليهودية والمسيحية والإسلام، ليقوم المستشرق اليهودى، برد كل شعيرة إسلامية إلى الديانة اليهودية، كما يقوم المستشرق المسيحى برد هذه الشعيرة نفسها إلى الديانة المسيحية، وكأن نبى الإسلام كان قبل مبعثه تلميذا للأحبار والرهبان يأخذ عنهم تعاليم الرسالة، وأمور التشريع، وليس صاحب وحى ربانى يأتيه من السماء! والسؤال الذى لا يستطيعون أن يجيبوا عنه هو كيف تؤمنون بنزول الوحى على موسى وعيسى ثم تجحدون نزوله على محمد ﷺ! لو كان الرفض عاما للوحى السماوى، لقلنا إن القوم حائرون فى أمره، ولم يهتدوا إلى دليل وطيد، أما أن يصدقوا الوحى ويخصونه بإنسان دون إنسان ثم يحاولون أن يجعلوا ما جاء به نبى الإسلام مقتبسا مما جاء به موسى عند فريق، ومما جاء به عيسى عند فريق آخر، فهذا هو الغرض المبين، والهوى الجموح.

ونحن لا نمنع أن تقوم الدراسات المقارنة بين الشرائع والقوانين المختلفة، فتؤتى ثمارها الطيبة متى سارت على النهج الصحيح فى التزام الحيدة، والإخلاص للحق وحده، فقد قرأنا بحوثا شافية عن مقارنات جادة بين الصلاة والصيام والمواريث والمعاملات والحدود، وغيرها من قضايا التشريع الإسلامى وبين مثيلاتها فى الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، فاتسع المجال أمام القارئ المتيقظ ليشترك فى الرأى ويهتدى إلى الصواب، هذا إذا كان البحث سائرا على سننه المنطقى خالصا من الهوى، نائيا عن الغرض المسفّ، ولكن نفرا من الذين انصبوا على شريعة الإسلام انصبابا هاجما لا يستبصر بدليل، ولا يجد حجة واضحة إلا حاول أن يطفئ بريقها، هذا النفر الضال المضل قد اندفع إلى مقارنات خاطئة بين العبادات والمعاملات فى الإسلام، وما سبقه من الشرائع كى يجعلوا كتاب الله وقرآنه المبين منتزعا من أسفار التوراة والتلمود والإنجيل، ونحن لا ننكر أن شرع الله واحد فى أصله السماوى وأن الدين الخاتم مكمل لما سبقه، فإذا تشابهت مسألة من مسائل التشريع مع سابقتها، فلأن الدين القيم من عند الله، وهذا ما يفطن إليه الدارس البرىء من الغرض، أما الذين يتخذون من وجوه التشابه دليلا على النقل والتلفيق،

فلماذا لا يمتدون بأنظارهم الكليلة إلى ما انفرد به الإسلام دون أن يشتبه مع أحد فيه، ثم تبعته القوانين الوضعية التى نهلت من معينه إنهم لو فعلوا ذلك، لاضطروا إلى الاعتراف بأن التشريع الإسلامى سابق غير مسبوق، وهذا ما يملأ صدورهم بالضيق والغيظ، لأن الهدف الحقيقى من تلفيقاتهم الموهومة أن يكون التشريع الإسلامى عبادات ومعاملات أمشاجا مختلطة، تجمعت من هنا وهناك، لا أن يكون التشريع الإسلامى وحيا صادقا، نزل به الروح الأمين على سيد الأنبياء.

من رؤساء الاستشراق

وإذا كان الاستشراق قد ضرب بكل سهم فى مباحث اللغة والأدب والتاريخ والتصوف، حتى عرف لكل مبحث من هذه المباحث أعلامه المتخصصون من هؤلاء، فإن مباحث الشريعة الإسلامية قد خلص إليها نفر من ذوى الصبر والاتئاد، وقد حددوا هدفهم الصريح قبل أن يبدأوا خطوة واحدة من خطوات البحث، هذا الهدف هو أن تكون العبادات والمعاملات والحدود فى التشريع الإسلامى نتقا منقولة عن شريعة موسى، وإنجيل عيسى، إذ لم ينفرد الإسلام بشىء مما جاء فى هذا المجال، وكيف ينفرد وهو مقتبس من صحف السابقين!؟

لقد كان المستشرق المجرى (فامبيرى) رأسا كبيرا من رءوس الباحثين فى التشريع، وقد درس اللغات الإسلامية لينتقى من آثارها العربية والفارسية والتركية ما يؤصل نظرية خاصة به، وهى أن العبادات فى الشريعة الإسلامية قد نقلت نقلا من شرائع اليهود، وأن اختلاط المسلمين بيهود المدينة قد ساعد على أن يقتبسوا من جيرانهم شعائرهم فى الوضوء والصلاة والصوم والأذان، وكان (فامبيرى) أستاذا لخلفه المستشرق المجرى الكبير (جولد تسهير) فورث عنه هذا الظن الموهوم، وأخذ فى كتبه المتعددة التى جاوزت الخمسين كتابا، يبدئ ويعيد فى تأكيد هذا النقل من شريعة اليهود، ثم تلاه المستشرق المجرى (أويكين ميتوخ) ليضرب على هذه الوتيرة، وهكذا تتضافر الجهود المغرضة لتثبيت مزاعم واهية لا تستند إلى دليل، وقد زاد (جولد تسهير) عن صاحبيه فى اعتماده الملح على الأحاديث الضعيفة التى لم تثبت صحتها عن رسول الله ﷺ، وهو يعلم عن يقين ضعفها العاصف بمضمونها ويقر به، ولكنه يقول: إن الذين وضعوها على لسان رسول الله ﷺ لم يخرجوا بها عن منطق الإسلام، فهى إذن حرية بأن تكون من التشريع الإسلامى، إذ لا يخرج رواتها المحدثون عن دائرة الإسلام»، فماذا يرى القارئ فيمن يعتمد الحديث الموضوع لأنه يوافق هواه، ويرفض الحديث الصحيح حين يعصف بما يراه!

تقرير كاشف

يقول الأستاذ الدكتور جواد على فى مقدمة بحث له عن «الصلاة فى الإسلام»(١):

«بين يدى رسالة للمستشرق اليهودى المعروف (أويكين ميتوخ) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين، وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود، وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، وهى أن الرسول الكريم ﷺ، أخذ صلاته من صلاة اليهود، كما أخذ سائر الطقوس والعبادات.

وبين يدىّ بعض الأبحاث العلمية التى قام بها نفر من المستشرقين فى هذا الموضوع؛ أى تطور الصلاة ونشوء العبادات فى الإسلام لبحث المستشرق المجرى اليهودى (جولد تسهير) كبحث المستشرق الهولندى جوينبول، وبحث المستشرق بيكر، وهى تسير على نفس الأسلوب، ولكنها تختلف فى النتائج، إذ من رأى هؤلاء - بعضهم - أن النبى - عليه الصلاة والسلام - أخذ صلاته من النصارى لا «اليهود» هذا ما ذكره الدكتور جواد على فى مقدمة بحوث جيدة نسف بها محاولات من يطمسون الحق الصريح فأتى بالمنطق الصائب داحضا مبطلا، وقد أصابه مقطع الصواب حين ذكر فى هذه المقدمة أن المستشرق من هؤلاء يجهد

نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول فى الموضوع، ومعنى ذلك أن الحق لا يقصد لذاته، وأن الغرض قد تسلط على الحقائق الصريحة ليشوهها، أفحش التشويه، وأن جماعة من المبشرين قد لبسوا ثياب الباحثين ليقولوا على الله الكذب وهم يعلمون!

ومن الحق أن الذين يكتبون عن التشريع الإسلامى من أعلام الفاقهين لا يعيرون هؤلاء المغرضين التفاتا، إنما يرجعون فى بحوثهم إلى المعتمد الثابت من قول الله، وحديث الرسول ﷺ، وإجماع أهل الرأى فيجيئون بالحق المبين، ولكن نفرا من مدرسى التاريخ فى بعض كليات الجامعة، يتحدث عن حياة الرسول فيكتب فصلا عن التشريع، ويزحمه بنقول عن المنصف والمغرض، وما كان لهؤلاء وقد تعرضوا للتشريع بعيدا عن تخصصهم التاريخى أن يشيروا فى شىء إلى تخرصات المبطلين، بل ما كان لهم أن يتجاوزوا التاريخ إلى الفقه الإسلامى، وهم لا يعرفون عنه شيئا! ولكنهم وجدوا من الاستطالة العلمية أن يتحدثوا عن كل شىء، وأن يجمعوا بين المخطئ والمصيب ليظهروا سعة الاطلاع دون تمحيص!

الأذان فى الإسلام

من العجيب أن الأذان فى الإسلام لا يشتبه فى شىء مع وسائل الإعلام عن الصلاة لدى السابقين، فقد انفرد بعبارات إسلامية لا مثيل لها من قبل، ولكن الذين فى قلوبهم مرض يحاولون أن يرجعوه إلى الإعلام اليهودى، متجاهلين كل ما دونته كتب السيرة وروايات الحديث النبوى فى هذا النطاق، وهو من الوضوح بحيث لا يقبل الالتباس.

لقد تناقلت كتب الحديث والفقه مرويات صحيحة منها ما جاء فى البخارى ومسلم من أن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون للصلاة، وليس ينادى بها أحد، فتكلموا يوما فى ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: قرنا مثل قرن اليهود، فقال عمر: ألا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: **«قم فناد بالصلاة»**.

فهذا الحديث الصحيح المروى فيما دونه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، ينطق بأن الأذان لم يكن اقتباسا من أحد، بل اهتداء بما وافق عليه الرسول ﷺ من مشورة عمر، وفيه بعد صريح عما يفعله اليهود والنصارى حين اتخذ هؤلاء ناقوسا وأولئك قرنا، وإذا كان فى هذا الأثر الشريف إجمال موجز، ففى أثر آخر تفصيل شاف رواه أبو داود عن أبى عمير ابن أنس عن عمومة له من الأنصار، قال: «اهتم رسول الله ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك، فذكر له القُنُع، وهو شبّور اليهود (بوقهم) فلم يعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود، فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى، فانصرف عبدالله بن زيد الأنصارى، وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ، فأُرى الأذان فى منامه، فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إنى لبين نائم ويقظان، إذ أتانى آت فأرانى الأذان، وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، ثم أخبر رسول الله ﷺ، فقال: ما منعك أن تخبرنا؟ فقال: سبقنى عبدالله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: قم يابلال، فانظر ما يأمرك به عبدالله فافعل، فأذن بلال، قال بعضهم: إن الأنصار تزعم أنه لولا أن عبدالله بن زيد كان يومئذ مريضا لجعله رسول الله ﷺ مؤذنا».

وفى شرح النووى(٢) لحديث الأذان كلام جيد نقله عن القاضى عياض: حيث قال تعقيبا على رؤيا ابن زيد: إن رسول الله ﷺ شرع الأذان بعد هذه الرؤيا، إما بوحى، أو باجتهاده ﷺ وليس عملا بمجرد المنام.

وشبيه به ما ذكره الأستاذ محمد أبو زهرة إذ نقل عن ابن هشام فى سيرته ما يفيد نزول الوحى

بالأذان فقال - رحمه الله -: «إن الأذان شعار من شعائر الإسلام، وإنه تعرف به الجماعات الإسلامية وما يكون كذلك من العبادات لا يكون من الأمور التى تكون بشورى الناس، وقد تكون الشورى ابتداء لمعرفة طريق الإعلام، فجاء الوحى بهذا الطريق الذى يعتبر سنة(٣)».

وليس فى الأمر بعد هذا الوضوح خلاف، فالرسول قد استشار، ثم رأى عمر وعبدالله الرؤيا، وجاء الوحى مصدقا، فاتصلت الحلقات، وإذا اقتصر كل حديث على خبر معين، ففى اجتماع الأخبار ما يوحى بالتسلسل والتماسك، لا بالتعارض والخلاف.

ثم إن للأذان صيغة معروفة، وهى ذات ترتيب متصل، ولن يأمر الرسول بلالا بأدائها دون أن تكون شرعا أوحى له، أو اجتهد فيه، لأن للرسول ﷺ أن يجتهد، ومن اجتهاده إقراره بصيغة الأذان، كما جاء فى شرح الإمام النووى لحديث مسلم.

رجع إلى ما سبق

نعود بعد ذلك إلى ما قاله المستشرق اليهودى ميتوخ، ونقله عنه الدكتور جواد على، حين أقر: أن الأذان فى الإسلام مأخوذ من الأذان عند اليهود، لأنهم يدعون إلى الصلاة، ويتخذون البوق أداة للدعوة، فإذا اجتمعوا قالوا: أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم، أيها اللاويون قفوا فى مصاطبكم، أيها الإسرائيليون خذوا مواقعكم.

فإذا كان الرسول يعلم أن البوق أداة الدعوة إلى الصلاة لدى اليهود، وقد أشير عليه به، فكره أن يوافق اليهود، ولم يسترح إلى البوق، كما نص الحديث الشريف، وهو مما يعرفه المستشرق جيدا، فكيف يكون الأذان فى الإسلام مأخوذا عن هؤلاء؟

وإذا كانت للدعوة إلى الصلاة فى اليهودية صيغة معروفة هى: أيها الكهنة استعدوا لأعمالكم، أيها اللاويّون، قفوا فى مصاطبكم. أيها الإسرائيليون خذوا مواقفكم فكيف تلتقى هذه العبارات مع صيغة الأذان، وليس بين النصين أدنى اتفاق؟!

إن ما قاله ميتوخ فى خطئه، لا يقل خطأ عما قاله (بيكر) حين حاول أن يرجع بالأذان إلى تأثير المسيحية، وكأنه قد عز عليه أن يسبقه المستشرق اليهودى، فينسب التأثير لليهودية، فرأى وهو المسيحى أن تكون ديانته صاحبة التأثير فقال: وليس الأذان إلا قطعة من القطع الكنائسية التى يرددها الكاهن أو الشماس حيث يقوم الإمام فى الإسلام مقام الكاهن، ويقوم المؤذن مقام الشماس»(٤)!!

لقد نظر بيكر، فوجد فى الإسلام أذانا وإقامة، فشاء أن يوزع الشعيرتين بين المؤذن والإمام، وقد نسى أن الإمام لا يقوم بالإقامة، وإنما ينطق بها مصل جهير الصوت ممن يأتمون به، كما أغفل ابتعاد النصين فى المسيحية والإسلام كل الابتعاد، فكيف يأتى التأثير؟! وإذا كان مجرد الكلام يعتبر اتفاقا مهما تباعد المضمون، فكل نطق فى الشعائر منذ نوح بل كل نطق فى مقدمة الاجتماعات الدينية يكون بتأثير الكاهن والشماس! وإذا انتهينا إلى هذا المنطق فلا نقاش!!

خاتمة

إن مجرد النظر العابر، يهدم ما اتجه إليه الذين يحاولون إرجاع الأذان إلى اقتباس يهودىّ أو مسيحى، وقد تعمدت أن أشير إلى ذلك، لأقول: إذا كانت المسائل الواضحة التى لا تحتمل اللبس تجد من يحاولون تمويهها بزائف الأباطيل، فعلينا أن نأخذ الحذر حين نقرأ بحوثا تتسم بالمنهجية فى ظاهرها المكشوف، أما الباطن فتدليس مغرض، يؤوّل النصوص، ويبتر النقول، ويخفى الحقائق، ويختلق الأحداث، لينتهى بعد ذلك كله إلى ضباب واهن، إذا خدع الجهلاء، فقد فنده العلماء، والحق لا يعدم النصير، مهما كثرت الجلبة وساد الضجيج.

الهوامش:

١ - مجلة الرسالة العدد (٦٢٥) ١٥ رجب ١٣٦٤هـ.

٢ - شرح النووى على صحيح مسلم ص٧٦ جـ٤ المطبعة المصرية.

٣ - خاتم النبيين للأستاذ محمد أبى زهرة جـ٢ ص٥٧٠ - دار الفكر.

٤ - مجلة الرسالة العدد (٤٢٩) ١٤ شعبان ١٣٦٤هـ.

دراسات فى السنة النبوية المطهرة

- مناقشة منكرى السنة والرد على بعض الكتاب المحدثين
- هكذا وصفوا رسول الله ﷺ
- وإنك لعلى خلق عظيم

مناقشة منكرى السنة وردٌّ على بعض الكتَّاب المحدثين

إن من ينكر السنة النبوية الصحيحة ويرفض الأخذ بها فهو متمرد على القرآن الكريم نفسه، ومنكر لأوامره، التى جاءت تأمر بالأخذ بما جاء به الرسول ﷺ ثم نسأل أولئك المنكرين.
أنى لنا معرفة كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها لولا السنة النبوية الشارحة للقرآن الكريم المفصلة لمجمله، والمقيدة لمطلقه، والمخصصة لعامه؟!
وأنى لنا معرفة الحج وأحكامه وأنصبة الزكاة إلى غير ذلك من الأحكام؟ إن القرآن الكريم جاء بالأصول والقواعد العامة الكلية وإن الحديث النبوى فصل وفسر وشرح ووضح، والآية القرآنية الكريمة وهى قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر: آية ٧.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

هى الأصل لكل ماجاء به الحديث الصحيح، والسنة المطهرة مما لم يرد ذكره فى القرآن، روى الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - أنه كان جالسا فى المسجد الحرام يحدث الناس فقال: لاتسألونى عن شىء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله فقال رجل: ما تقول فى المحرم إذا قتل «الزنبور»؟ أى «الدبور» وهو ذكر النحل، فقال: لا شىء عليه، فقال الرجل: أين هذا من كتاب الله؟

فقال: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**.

ثم ذكر إسنادا إلى (سيدنا) عمر رضي الله عنه، أنه قال: «للمحرم قتل الزنبور».

وهكذا نرى وجوب الأخذ بالسنة النبوية وأن منكرها ومنكر ماجاءت به منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة.

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا إننى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلى، ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم(١) بمثل قراه(٢)».**

يقول الإمام الخطابى: قوله **«أوتيت الكتاب ومثله معه»** يحتمل وجهين:

أحدهما: أن معناه أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو.

الثانى: أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى، وأوتى من البيان مثله، أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح مافى الكتاب فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن، ومعنى قوله ﷺ فى الحديث: **«يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته»** أنه رجل من المترفين أهل الترف والدعة الذين لزموا بيوتهم ولم يرحلوا فى طلب العلم، ولم يطلبوه من أهله ولا من مظانه.

وهذا الحديث يعتبر معجزة من معجزات رسول الله ﷺ فقدحدث ماتنبأ به، وأخبر عنه وظهرت منهم فئة قديما، وظهرت أخرى حديثا تدعو بهذه الدعوة الظالمة منادية بالاقتصار على القرآن الكريم وترك الحديث النبوى وهم بهذه الدعوة يحاولون ضرب الإسلام والإتيان عليه من القواعد، فإذا تركت السنة النبوية استعجم القرآن ولم يعد مشروحا مفصلا.

ولذا يؤكد الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الحرص على حديثه وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده فيقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ»** رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ خطب فى حجة الوداع فقال: **«إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا،إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه»** رواه الحاكم وروى مثله مالك فى الموطأ.

وأما الحديث الذى حاول بعض القائلين بالاكتفاء بالقرآن أن يستدلوا به والذى يعتبر مستند القائلين بعدم استقلال السنة النبوية بالتشريع فهو:

«إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه».

وقد وضح أئمة الحديث أنه موضوع مختلق لم يقله الرسول ﷺ.

وقد وضعته الزنادقة ليصلوا إلى مايريدون من إهمال الأحاديث، وعارض هذا الخبر بعض الأئمة فقالوا: عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له، لأنا وجدنا فى كتاب الله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾** الحشر: آية ٧.

ووجدنا فيه: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** آل عمران: آية ٣١.

ووجدنا فيه: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** النساء: آية ٨٠.

نشر أحد الكتاب فى مجلة «المصور» عدة مقالات، تناول فيها الحديث والشريعة الإسلامية والسنة النبوية من منظور عقلى بحت، وكان بعيدا عن التحقيق العلمى، وبعيدا عن الصواب.. بل وأحيانا بعيدا عن العقل السليم.

فمما تناوله فى صدد الحديث عن الشريعة الإسلامية فى مقاله يوم ١٩٨٤/١/٢٠م قوله: «إنه نجم عن إحجام الفقهاء عن تطوير الشريعة وفق ظروف العصر الذى يعيشون فيه وملاءمة فقههم لاحتياجاته وتجميدهم للأحكام مع إغلاق باب الاجتهاد ان ساد لدى الجميع الاعتقاد بأن أمر تطبيق الشريعة أمر نظرى بحت يمكن التأليف والحديث فيه وليس بالوسع محاولته» أ. هـ.

ثم يقول: «إن أمر تطبيق الشريعة كان أمرا ميسورا وقت أن كان ذلك السلف الصالح على قيد الحياة وهو الآن متعذر لفساد الناس بعدهم وسيظل متعذرا إلى ما شاء الله».

وهذا الذى قاله عن تطبيق الشريعة وأنه ليس بالوسع محاولة التطبيق، يناقض الحق ويرد عليه القرآن الذى وضح أن تشريعات الإسلام ميسرة سهلة التطبيق ﴿**وماجعل عليكم فى الدين من حرج**﴾، ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾، ﴿**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**﴾ وليس صحيحا ما ادعاه هذا الكاتب من أن أمر تطبيق الشريعة كان ميسورا أمام السلف وهو الآن متعذر؟ ثم يعلل قائلا: لفساد الناس بعدهم، وهذا التعليل نفسه هو من أكبر الدواعى لتطبيق الشريعة ألا ترى أن الناس إذا فسدوا لا يصلحهم إلا شرع الله؟ ألا ترى أن فى الحدود زواجر للمفسدين تجرهم وتردعهم عن الفساد. إن تطبيق الشريعة ليس متعذرا بل هو سهل ميسور، وقد طبقته بلاد إسلامية كثيرة فسعدوا وأمنوا وظللهم الأمن والرخاء، وشريعة الله صالحة لكل زمان ومكان، والقرآن الكريم تبيان لكل شىء، ويهدى إلى أقوم السبل ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾.

ورسول الله ﷺ يقول: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى**».

ومن الخلط الذى لا دليل عليه أنه فى مقال يوم ١٩٨٤/٢/١٠م حين سئل؟ «أهناك ماهو أفضل من أداء الصلوات فى أوقاتها؟» أجاب قائلا: «نعم حب خلق الله واحترام مشاعرهم»، وهذا يخالف الحديث الذى يثبت أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها، وأداء الصلاة على وقتها لا يتنافى أبدا مع حب خلق الله ومراعاة مشاعرهم وحتى لو كان من يجالسهم الإنسان غير مسلمين فإنه إن قام لعبادة ربه فلا شىء عليه فى مراعاة مشاعرهم بل على العكس إنه يطيع ربه،وفى طاعة الله لا يؤاخذ الناس بعضهم بعضا فى ترك المجلس مثلا أو نحو ذلك، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

● ثم فى مقاله فى يوم ١٩٨٤/٢/٣م بعنوان «رسالة من أمريكا» ذكر فى هذا المقال كلاما يحمل تجريح الإمام البخارى، والتشكيك فى أكبر وأعظم وأصح كتب السنة الشريفة، وذلك حين يقول: «وقد أخطأ البخارى مع ذلك إذ كان الإسناد عنده هو قوام الحديث إن سقط سقط، وإن صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن. وكانت النتيجة أنه أورد فى صحيحه بعض الأحاديث متينة الإسناد ظاهرا، والتى يحوى متنها ما يخالف المنطق أو العلم أو التاريخ الثابت، وأضيف إلى هذا أننى لست أول من شك فى صحة بعض ما أورده البخارى..»

كما أنه يكذب حديث «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء**».

والحق أن أمير المؤمنين فى الحديث أبا عبدالله البخارى، قد صنف كتابه «صحيح البخارى» من ستمائة ألف حديث، فى ست عشرة سنة وقال: جعلته حجة فيما بينى وبين الله. وقال: صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته.

ولقد دفعه إلى تصنيف كتابه هذا ما رآه من انتشار الأحاديث الضعيفة عن طريق أصحاب الأهواء، وبعض المنتسبين إلى أهل الرأى حيث أوغلوا فى مخالفتهم للسنن، فاضطلع بدور هام، وأخذ على عاتقه أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع، وأن يرتبها ترتيبا فقهيا وقوى عزمه ما سمعه من أستاذه الإمام إسحاق بن راهويه حين قال: «لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ»؟ قال البخارى: فوقع ذلك فى قلبى، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح، كما شرح صدره لذلك رؤيا منامية رأى النبى ﷺ، والبخارى

واقف بين يديه وبيده مروحة يذب بها عنه، فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال أنت تذب الكذب عن رسول الله ﷺ.

بهذا أحببت أن أوضح للكاتب ولكل مَنْ على شاكلته قيمة صحيح البخارى وهمة مصنفه، وأن قوله: «لست أول من شك فى صحة بعض أحاديث البخارى» إنما هو كلام من لم يدرس «صحيح البخارى» ولم يتعرف على منهاجه ولا مناهج المحدثين.

وليس صحيحا ما ادعاه من أن البخارى يعول على الاسناد فقط، بل إن البخارى عنى بالإسناد والمتن معا، وليس أدل على ذلك من أن البخارى وغيره من المحدثين عنوا بالمتن لدرجة أنهم وضعوا علامات تبين الوضع فى المتن مثل: مخالفة العقل السليم أو المشاهدة والحس مع عدم إمكان تأويله تأويلا محتملا. كما ردوا من الأحاديث ما يخالف القرآن أو السنة الصحيحة أو التاريخ مع تعذر التوفيق وهكذا مما هو مبسوط فى كتب أصول الحديث.

هذا بالإضافة إلى أن البخارى اشترط أن يخرج الحديث المجمع على صحة نقلته إلى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأثبات، يكون إسناده متصلا غير مقطوع، وأن يكون راويه ثقة صادقا غير مدلس ولا مختلط، متصفا بالعدالة والضبط متحريا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد.

فاشترط فى الإسناد الاتصال بنقل العدول الضابطين كما اشترط فى المتن أن يكون خاليا من الشذوذ والعلة، واشترط فى (المعنعن) وهو الحديث الذى يأتى بصيغة: (عن فلان عن فلان اللقاء مع المعاصرة أى أن يكون الراوى قد عاصر من روى عنه وثبت لقاؤه به، كما اشترط الثقة وعدم التدليس.

فهل بعد هذا كله يدعى الكاتب أن الإسناد عند البخارى هو قوام الحديث إن سقط سقط، وإن صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن؟!

ثم أين تلك الأحاديث التى يدعى أنها تجافى المنطق أو العقل أو التاريخ؟!

إنه ليس فى صحيح البخارى من ذلك شىء، اللهم إلا إذا كانت - فقط - تجافى منطق الجاهلين بالسنة وبمعانيها.

وقد حاول الكاتب أن يؤكد التشكيك فى صحيح البخارى حين يقول «لست أول من شك فى صحة بعض ما أورده البخارى»!!

وأحب أن أوضح له ولأمثاله أن نقاد الحديث وجهابذته قد تدارسوا كتاب صحيح البخارى، حديثا حديثا، فشهدوا له بالصحة. يقول أبو جعفر العقيلى: لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العقيلى: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة لهذا كله أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول، واتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الصحيحان للإمامين الجليلين البخارى ومسلم.

وجميع مافى صحيح البخارى صحيح ليس فيه ضعف، وإنما كان نقد البعض فيما سبق موجها إلى بعض أحاديث لم تصل فى صحتها الدرجة القصوى التى التزمها الإمام البخارى، وهى فى حقيقة الأمر صحيحة، ولكنه كان يلتزم فى كتابه بشروط فى غاية الدقة والحيطة.

وأما الحديث الذى تكلم عنه حسين أمين وكذبه وهو حديث **«إذا وقع الذباب..»** فقد رواه

البخارى، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائى، ولم يطعن أحد من علماء الحديث فى سنده بل هو فى درجة عالية من الصحة.

وقد وضح علماء الحديث أنه لا مانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء فى شىء واحد، بل إن هذا موجود ومحسوس ألا ترى النحلة تلقى السم من أسفلها وتخرج عسلا فيه شفاء للناس من فيها؟.

وشاء الله تعالى أن يكتشف بعض العلماء والأطباء أن فى الذباب مادة قاتلة للميكروب وأن الأستاذ الألمانى «بريفليد» اكتشف ذلك وليس معنى هذا أن نتهاون فى أمر الذباب، فإن الإسلام دين النظافة حرص فى كل تشريعاته على وقاية الصحة، والبعد عن التهلكة، ولأن الذباب مما يتعذر دفعه أحيانا، فإذا دعت الضرورة ووقع فى الإناء واحتاج الإنسان إليه ولم تعفه نفسه فإن الحديث يكشف عن شىء كان غامضا على الناس وهو ما يحتوى عليه الذباب من مادة مضادة للميكروب، فإن نحن غمسنا الذبابة وخرج السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية.

وهكذا يكشف لنا الحديث عن دلالة من دلائل القدرة الإلهية بين الداء والدواء فى أبسط المخلوقات..كما يتبين لنا أن هذا الحديث الذى طعن فيه الطاعنون يعتبر من المعجزات الدالة على صدق الرسول ﷺ.

والحق أن مثل هذه الأمور التى أخبر بها الرسول ﷺ والتى صدقها العلم الحديث باكتشافاته فإنها لا يضبطها حدس ولا تخمين ولا يحصرها قياس ولا اكتشاف، وهى وإن أعطتنا ما نطمئن إلى صحته فليست وحدها الدليل على صحة الحديث، لأن الذى جاء به البشر خاضع للخطأ والصواب خاضع لاختلاف الآراء، أما ما أخبر به الرسول ﷺ فهو فوق كل ذلك، لأن المخبر به معصوم من الخطأ **﴿وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحى يوحى﴾** النجم: الآيتان ٤، ٥.

وقد أمر الله تعالى بأخذ ما جاءت به السنة النبوية، وترك ما نهت عنه: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** الحشر: آية ٧.

ولقد اتبع هذا الكاتب ماقاله المستشرقون وأعداء السنة من أن البخارى وغيره من المحدثين لم يهتموا بمتن الحديث.

والحقيقة أن مثل هؤلاء الكتاب لو أمعنوا النظر لوجدوا كيف كان حكم المحدثين والأئمة على الأحاديث - صحة وضعفا - ولوجدوا عناية المحدثين بالمتن كثيرا كالسند بل فى كثير من الأحيان يكون النقد للسند أو الرواة مرجعه فيما نقله أو رواه من مناكير أو موضوعات، فيقول أئمة الحديث مثلا: «حديث منكر أو باطل» ويقولون فى الراوى «يحدث بالمناكير» أو «منكر الحديث ومعظم ذلك راجع إلى جهة المعنى».

ومما سبق يتضح لنا أن ما وضعه علماء الحديث من القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع، ووجهوا جهودهم إلى نقد السند والمتن على السواء، وبجهودهم الموفقة صان الله السنة النبوية المشرفة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وكما تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم وحفظه فعلا **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** الحجر: آية ٩.

حفظ السنة الصحيحة المبينة للقرآن: **﴿إن علينا جمعه وقرآنه* فإذا قرأناه فاتبع قرآنه* ثم إن علينا بيانه﴾** القيامة: الآيات ١٧ - ١٩.

الهوامش:

١ - أى أن يأخذ منهم بقدر قراه من أموالهم.

٢ - رواه أبو داود.

هكذا وصفوا رسول الله ﷺ

كان مما أنعم الله به على سيدنا علىّ - كرم الله وجهه - أنه كان فى حجر النبى ﷺ قبل الإسلام، يقول علماء السيرة: إن قريشا أصابتها أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس، وكان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ماترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك، حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه، فقال لهما أبوطالب: إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ماشئتما، فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه.

د / محمد كامل الفقى

فلم يزل على مع الرسول ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه على - كرم الله وجهه - وكان أول من آمن به وصدقه من الرجال، أما جعفر فلم يزل عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

فنشأة الإمام على فى حجر النبى ﷺ من أفضل النعم عليه، لأنها فتحت عينيه على منابع الخير فى النبى، ومنحته الفرص كلها للوقوف على شمائله الغر، ومناقبه التى لا يدانى فيها، وزاد من هذه الصلة، أو من هذه المعرفة، ما أكدها من نسب، وما أيدها من جهاد، فسيدنا علىّ حين يصف مولانا محمدا ﷺ يصفه وصف مكابد، ويقول بلسانه ما رأته عيناه وصدقه قلبه، ووقف به على خصائصه جسدا وروحا.

ذكر عمر مولى عفرة، عن إبراهيم بن محمد بن على ابن أبى طالب قال: كان عليّ ابن أبي طالب إذا نعت رسول الله ﷺ قال: لم يكن بالطويل الممغط(١)، ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم(٢)، ولم يكن بالجعد(٣) القطط(٤) ولا السبط(٥).

كان رجلا(٦) ولم يكن بالمطهم(٧) ولا المكلثم(٨) كان أبيض مشربا أدعج العينين(٩) أهدب الأشفار(١٠)، جليل المشاش والكتد(١١)، دقيق المسربة(١٢)، أجرد(١٣) شثن الكفين والقدمين(١٤)، إذا مشى تقلع(١٥) كأنما يمشى فى صبب(١٦) وإذا التفت التفت معا، بين كتفيه خاتم النبوة.

وهو خاتم النبيين، أجود الناس كفا، وأجرأ الناس صدرا، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة(١٧)، وألينهم عريكة(١٨)، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه(١٩)، ومن خالطه أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

وصف أم معبد الخزاعية للنبى ﷺ

فى هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة، مر هو ومن معه بخيمة أم معبد الخزاعية، تلك العربية الكريمة الخلق، التى اشتهرت بالعفة والكرم، وسألها الركب عن تمر أو لحم يشترونه، فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك، فقد كان العام من سنوات القحط والجوع، فقالت لهم: والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى[٢٠].

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى ركن الخيمة وقال: «ما هذه الشاة ياأم معبد؟» فقالت: هذه شاة خلفها التعب عن الغنم[٢١]، فقال النبى ﷺ: هل بها من لبن؟ قالت: هى أجهد من ذلك، وحينئذ قال النبى ﷺ: «أتأذنين لى أن أحلبها»؟ قالت: نعم، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فأمسك بها ومسح ضرعها وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم بارك فى شاتها»، فامتلأ ضرع الشاة ودر لبنها، فدعا بإناء لها كبير فحلب فيه حتى ملأه، فسقى أم معبد، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب ﷺ آخرهم، وقال: (ساقى القوم آخرهم). فقد قدم المرأة على أصحابه، وقدم الجميع على نفسه، ومن بركة المصطفى ﷺ شربوا جميعا ورووا.

ثم حلب فى الإناء ثانية حتى امتلأ، ثم تركه عند أم معبد، وارتحل الرسول وصحبه عنها. وجاء زوجها ورأى اللبن؛ فأخذه العجب واستغرب وقال: من أين لكم هذا ولا حلوبة فى البيت؟ قالت أم معبد: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك، وذكرت ما حدث من القصة، قال أبو معبد: والله إنى لأراه صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته ياأم معبد لتلمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، ولو رأيته لاتبعته، وتلهف أبو معبد لصفة النبى ﷺ وطلب من أم معبد أن تصفه له وقال لها: صفى لى صاحب قريش الذى يطلب ياأم معبد، قالت:

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة[٢٢]، متبلج الوجه[٢٣]، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة[٢٤]، ولم تزر به صعلة[٢٥]، وسيم قسيم[٢٦]، فى عينه دعج[٢٧]، وفى أشفاره وطف[٢٨]، وفى صوته صحل[٢٩]، أهدر أكحل[٣٠] أزج[٣١]، أقرن[٣٢]، شديد سواد الشعر، فى عنقه سطح[٣٣]، وفى لحيته كثافة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما[٣٤] وعلاه البهاء[٣٥]، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن[٣٦]، حلو المنطق فصل[٣٧]، لا نزر[٣٨] ولا هذر[٣٩]، أجهر الناس[٤٠] وأجملهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، ربعة[٤١] لا تشنؤه من طول[٤٢] ولا تفتحمه عين من قصر[٤٣]، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا[٤٤]، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يخصون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره[٤٥]، محفود[٤٦]، محشود[٤٧]، لا عابث، ولا مفند[٤٨].

وصف عبدالله بن عمرو بن العاص للنبى ﷺ

وصفه فقال: «والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن: **﴿ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ❁ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾**[٤٩].

وفى التوراة: «وحرزا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[٥٠] فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء[٥١] بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا»[٥٢].

وزيد على ابن اسحاق فى الوصف عما ذكر: «ولا متزين بالفحش[٥٣]، ولا قوّال للخنا[٥٤]، أسدده لكل جميل[٥٥]، وأهب له كل خلق كريم،

وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، وأهدى به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة(٥٦)، وأسمى به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغنى به بعد القلة(٥٧)، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة، وأهواء(٥٨) متشتتة، وأمم مفترقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس».

وقد جعله الله تعالى لين الجانب، سمحا سهلا، حلقا(٥٩) برا، لطيفا، ولو كان فظا خشنا فى القول لتفرق الناس من حوله.

الهوامش:

١ ـ الممغط: الممتد.

٢ ـ ربعة: أى مربع الخلق، لا طويل ولا قصير.

٣ ـ الجعد: القصير الشعر.

٤ ـ القطط: الشديد خشونة الشعر.

٥ ـ السبط: يقال: شعر سبط، بفتح الباء وكسرها، أى مسترسل.

٦ ـ رجلا: أى مسرح الشعر.

٧ ـ المطهم: كثير اللحم.

٨ ـ المكلثم: المستدير الوجه.

٩ ـ الدعج: سواد العيون.

١٠ ـ أهدب الأشفار: طويلها.

١١ ـ المشاش: عظام رءوس المفاصل، والكتد: ما بين الكتفين.

١٢ ـ المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.

١٣ ـ الجرد: قلة شعر الجسم.

١٤ ـ شثن: أى غليظ.

١٥ ـ تقلع: أى لم يثبت قدميه.

١٦ ـ الصيب: المطر.

١٧ ـ الذمة بالكسر: العهد والكفالة.

١٨ ـ العريكة: الطبيعة.

١٩ ـ البديهة: أول كل شىء وما يفجأ منه.

٢٠ ـ القرى: من قرى الضيف، أى أحسن إليه، والقرى أيضا: ماقرى به الضيف.

٢١ ـ المعنى هى فى ضعف شديد فلا يحلب منها لبن.

٢٢ ـ الوضاءة: الحسن والنظافة.

٢٣ ـ متبلج الوجه: أى مشرق مضىء.

٢٤ ـ الثجلة: ضخامة البطن.

٢٥ ـ الصعلة: صغر الرأس.

٢٦ ـ وسيم قسيم: أى جميل معتدل القوام.

٢٧ ـ أى شديد سواد العين مع سعتها.

٢٨ ـ فى أشفاره وطف: أى شعر أجفانه طويل.

٢٩ ـ أى فى صوته رخامة وبحة.

٣٠ ـ أى شديد بياض العين شديد سوادها.

٣١ ـ أزج: فى حاجبيه دقة وطول.

٣٢ ـ أقرن: أى مقرون الحاجبين.

٣٣ ـ سطح: أى ارتفاع وطول.

٣٤ ـ سما: أى ارتفع.

٣٥ ـ البهاء: الجمال والحسن.

٣٦ ـ يتحدرن: أى ينزلن.

٣٧ ـ فصل: أى واضح.

٣٨ ـ النزر: القليل التافه.

٣٩ ـ الهذر: الهذيان.

٤٠ ـ أجهر الناس: أى أظهرهم.

٤١ ـ ربعة: أى وسط بين الطول والقصر.

٤٢ ـ لا تبغضه.

٤٣ ـ لا تحتقره.

٤٤ ـ أى أحسنهم وأجملهم.

٤٥ ـ تبادروا: أى أسرعوا.

٤٦ ـ محفود: أى يطيعه أصحابه مسرعين.

٤٧ ـ محشود: أى يحتشد الناس حوله ويجتمعون.

٤٨ ـ لا مفند: أى لا تخريف فى كلامه.

٤٩ ـ المعنى: شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهى من خصائصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومبشرا بالجنة لأهل طاعته، ونذيرا بالنار لأهل معصيته، وداعيا إلى توحيد الله وعبادته، وسراجا منيرا يهتدى به إلى الحق.

٥٠ ـ لايرفع صوته.

٥١ ـ لن يختاره لجواره حتى يقيم به الملة: أى الديانة التى يعبد أصحابها غير الله.

٥٢ ـ غلفا: أى مغلقة.

٥٣ ـ الفحش: القبح فى القول.

٥٤ ـ الخنا: القبح وسوء القول.

٥٥ ـ أسدده: أى أوفقه.

٥٦ ـ الخامل: هو ساقط النباهة، لا نصيب له من الذكاء.

٥٧ ـ القلة: الفقر والحاجة.

٥٨ ـ أهواء: أى ميول.

٥٩ ـ هاشا: مبتسما.

وإنك لعلى خلق عظيم (٢)

صدق الله العظيم

وتُسجل السيرة العطرة لرسول الله ﷺ الكثير من المواقف العظيمة التى تنطق بحسن الخلق للرسول - عليه الصلاة والسلام - فى الجانب الذى يتعلق بذات الله تعالى - وأنه ﷺ كان يتحمل قسوة الكفار وصدهم العنيف له، وسخريتهم منه، وأنه لم يكن يبالى بكل ذلك - رغم شدته - مادام أن ما يصيبه ويلحقه ليس غضبا من الله أو سخطا عليه.

الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف

فقبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنوات ماتت زوجته السيدة خديجة - رضى الله عنها - ومات عمه أبو طالب فى عام واحد، فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب، فقد كانت السيدة خديجة - رضى الله عنها - بالنسبة له الصدر الحنون والملجأ الرحيم، يشكو إليها ويبثها أحزانه.. فتواسيه وتخفف عنه آلامه وتشد من أزره، وكان عمه أبو طالب له عضدا وحِرْزا فى أمره، ومنعةً وناصرا له على قومه، وبموتهما نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تناله فى حياتهما، حتى اعترضه - فى يوم - سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا، فدخل الرسول بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى، ورسول الله ﷺ يقول لها: لا تبك يابنية، فإن الله مانع أباك - ويقول بين ذلك - ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب.

ولما اشتد به الأذى من قريش - بعد وفاة زوجته السيدة خديجة وعمه أبى طالب - خرج ﷺ إلى الطائف يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله - عز وجل - خرج إليهم وحده ولما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فسخروا منه واستهزؤوا به، وردوا عليه منكرين ما يقول.. فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد كره أن يبلغ قومه عنه ما حدث، فيزيدهم ذلك أذى به وبمن آمن معه، فقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى، فلم يفعلوا، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة - وهما فيه - ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبله من عنب، فجلس فيه - وابنا ربيعة ينظران إليه - ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف..

وهنا وفى هذا الموقف العصيب تظهر عظمة

الرسول ﷺ وينجلى خلقه العظيم فى الجانب الذى يتعلق بذات الله تعالى، فيناجى ربه قائلا: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».**

ما أعظم خلقك ياسيدى يارسول الله!! ففى هذا الموقف العصيب الذى تواجهه من المشركين والسفهاء بدل أن تدعو الله أن ينزل عليهم غضبه، ويذيقهم عذابه، ويخسف بهم الأرض.. تناجى ربك وتشكو إليه ضعف قوتك، وترجوه أن يكون ما حل بك ليس غضبا عليك من الله، وتدعوه الرضا والقبول!! يامعلم الإنسانية حقا وصدقا: إنك لعلى خلق عظيم..

هذه بعض أمثلة من خلق الرسول ﷺ فى الجانب الذى يتعلق بذات الله تعالى، أما حسن خلقه - عليه الصلاة والسلام - فى الجانب الذى يتعلق فيما بينه وبين الناس، فإن حسن خلقه كان هو المسيطر والمهيمن على كل أقواله وأفعاله ومعاملاته مع الناس، وأمثلة ذلك من الكثرة والوفرة بحيث تعجز من أراد أن يعدها ويحصيها، ويكفى الإشارة إلى بعض أمثلة منها:

يقول أنس رضي الله عنه: «خَدَمت النبى ﷺ عشر سنين، فما قال لى أفٍّ قط، وما قال لشىء صنعته: لم صنعته، ولا لشىء تركته: لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق النبى ﷺ».

كان حسن خلق رسول الله ﷺ هو المسيطر على أقواله ومعاملاته مع الناس جميعا

وقد أثار حسن خلق الرسول ﷺ وعطفه وحنانه على أهله أصحاب القلوب الجامدة والأفئدة القاسية الخالية من الشفقة والعطف والحنان، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع ابن حابس التميمى جالسا، فقال الأقرع: إنّ لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يُرحم».**

ولأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - اشتهر وعرف بحسن الخلق كان الناس - رجالا ونساء - يأنسن إليه، فيتحدثن ويتكلمن معه فى راحة واطمئنان من غير خوف من غضب أو غلظة فى الرد، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذن على النبى ﷺ وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر رضي الله عنه: مم تضحك بأبى أنت وأمى يارسول الله؟ فقال: **«عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب»** فقال عمر: أنت كنت أحق أن يهبْنك يارسول الله، ثم أقبل عليهن عمر فقال: ياعدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ،

فقال - عليه الصلاة والسلام - :«**إيهٍ ياابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك**».

ولعظم قدر حسن الخلق، ومكانته العالية، وأنه على قمة الصفات التى ترفع منزلة صاحبه فى الدنيا والآخرة، وتقربه من رسول الله ﷺ يوم القيامة، يحببنا - عليه الصلاة والسلام - فى التحلى بحسن الخلق فيبين فضل صاحبه، فعن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**».

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يارسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق»، فأتاه من قبل يمينه فقال: يارسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق»، ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق»، ثم أتاه من ورائه فقال: يارسول الله ماالدين؟ فالتفت إليه وقال: «أماتفقه؟ هو ألا تغضب».

فقد جمع - عليه الصلاة والسلام - فى تلك الإجابة البليغة فضائل الدين وشمائله الكريمة فى حسن الخلق، فمن حازه فقد حاز الدين.

ولا عجب فى ذلك فحسن الخلق يمحو الله به السيئات، ويرفع الله به الدرجات، ولا يعطيه الله إلا لمن يحب من عباده لثقل ميزان حسناته يوم الحساب، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله - عز وجل - يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا: وما بوائقه يانبى الله؟ قال: «غَشْمَه وظلمه»، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله - عز وجل - لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**».

وقد أفاض كثير من أهل العلم والمعرفة، والصلاح والتقوى فى بيان حسن الخلق وإيضاح فضله،.. فقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان.

وقال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات.

وسئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو ما بين الله فى كتابه العزيز ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ الحجرات: آية ١٣، قيل فما الحسب؟ قال: أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا، وقال: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق.

وقال عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ، فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق.

وقال ابن القيم - رحمه الله - أجمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

صلاة الله وسلامه عليك ياسيدى يارسول الله ياإمام من أحبهم الله فرزقهم حسن الخلق.

الحضارة والعلوم

- معالجة الإسلام لسلبيات التقدم العلمى
- الإجهاض بين الإسلام والطب الحديث
- المسلمون والصدام الحضارى المفروض
- الأندلس منارة الإسلام فى أوروبا
- حقيقة الخلق تكشف كذب نظرية التطور

معالجة الإسلام لسلبيات التقدم العلمى للوراثة البيولوجية والتلوث الصناعى (٢)

أ.د.عبدالفتاح مصطفى غنيمة

موقف الدين الإسلامى من التطور البيوتكنولوجى:

أبدى رجال الدين الإسلامى اهتماما بالإنسان ومشاكله على أساس أنه سيد المخلوقات، وكان اهتمامهم بالطب على مر العصور واضحا، ولم تكن هناك توقعات مستقبلية فى مجال التكنولوجيا الطبية، كانت عمليات نقل الأعضاء وترقيع القرنية موضوع جدل حول حله وحرمته.

ومن ثم موضوع أطفال الأنابيب، وأظهر الشرع الإسلامى أنه إذا كان موضوع طفل الأنابيب محصورا بين الزوج والزوجة فقط فهو حلال، أما إذا دخل طرف ثالث فهو غير جائز شرعا.

وتنبه الفقهاء والأطباء لأهمية موضوعات البيولوجيا الطبية والهندسة الوراثية والاستنساخ خاصة وأن الدول الإسلامية بدأت تفتح مراكز خاصة بأطفال الأنابيب والإخصاب الصناعى، وأن المشكلات التى بين أيديهم لها حلول عقلية اجتهادية يمكن التوصل إليها بالتعاون الدائم بين الفقهاء والأطباء، وقد توصلوا إلى التوصيات التالية:

١ - بداية الحياة منذ التحام الحيوان المنوى بالبويضة لتكوين الزيجوت أو الحقيبة الوراثية الكاملة للفرد بذاته والمتميز عن كل كائن آخر.

٢ - ما إن يستقر الحمل فى بطن المرأة فإن له احتراما ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة.

٣ - إذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح (٤٠ - ١٢٠ يوما) تعاظمت حرمته باتفاق وترتب على ذلك أحكام شرعية أخرى.

شروط المؤيدين للإخصاب الصناعى وطفل الأنابيب رغم اختلافهما تكنولوجيا:

١ - أن يتم التلقيح من منى الزوج.

٢ - أن يتم فى حياة الزوج، والتلقيح بعد موته حرام.

٣ - أن يكون الطبيب وفريق العمل المساعد من المسلمين المؤتمنين.

٤ - أن يتم ذلك بموافقة الزوجين.

أسباب رفض المعارضين للإخصاب الصناعى وطفل الأنابيب:

١ - أن طريقة الحمل غير الطريقة الفطرية والإخصاب الصناعى عملية غير طبيعية.

٢ - مخاطر الخطأ فى الأنابيب أمر وارد فى كل المعامل وخشية الزنا.

٣ - لا نأمن سوء النية من أن يستعير الرجل ماء غيره، وأن تحصل الزوجة على منى غير زوجها، كما أن الرفض لاستخدام طريقة الاستنماء.

٤ - المراكز تمثل عملا تجاريا مربحا، والغش وارد ومحتمل لمخالفة المقاصد والغايات الإلهية.

٥ - الأطفال سيكونون موضع الحديث والتندر والسخرية فى المجتمع.

٦ - من المخاوف تجميد الأجنة والبويضات الفائضة عن الحاجة، وأيضا قضية الأم البديلة والأمومة التجارية وتجارة الرقيق.

موقف الإسلام من الهندسة الوراثية والاستنساخ:

تتلخص عملية الاستنساخ البشرى فى أن الإنسان سيصبح فى وسعه أن ينتج بيولوجيا صورا بالكربون لنفسه من خلال الاستنساخ، سيكون من المستطاع للعلماء أخذ نوية من خلية إنسان بالغ كائنا جديدا له نفس الصفات الوراثية للشخص الذى أخذت منه، يقول العلماء: إن النسخة البشرية

الناتجة سوف تبدأ الحياة بمواهب وراثية مطابقة لمواهب الشخص المأخوذة منه، والفروق بعد ذلك هى البيئة فى مراحل النمو المختلفة.

فقد تمكن العلماء من استنساخ النعجة دوللى كأول كائن حى تم استنساخه من الأنسجة الجسدية وفتحت أبواب الأحلام أمام العلماء للعب بالجينات فى الإنسان بحجة تحسين السلالات والتقدم الإنسانى، رغم أن حياة الإنسان أمر مقدس لدى الأديان السماوية.

ولما كان التقدم فى الإسلام يعنى التقدم فى الإنسانية أى يسير الإنسان فى نموه لكى يصل إلى المرحلة التى تصور خصائص الإنسانية فى الإنسان. والتقدم العلمى المادى ليس دليلا على التقدم الإنسانى.. التقدم فى الإنسانية لا يتم إلا إذا كان تفكير الإنسان وسلوكه العملى يتسم بالإنسانية أى يتسم برعاية الجماعة وعدم الاستجابة لداعى الأنانية، أما التقدم المادى فهو يعتمد على التفكير والعلم، والحضارة المادية قوامها العلم التطبيقى، وإذن شرط أساسى فى التقدم البشرى السلوك الخلقى، بجانب التفكير الإنسانى السليم، ومن هنا كانت الحضارة المادية، وكان العلم التطبيقى فى حاجة إلى سلوك خلقى لكى تكون تلك الحضارة وهذا العلم ذا طابع إنسانى. لأن أهم عنصر فى حياة الإنسان أن يعيش بإنسانية لا أن يعيش بماديته وحدها. إن العالم فى معمله قد لا يصاحب تفكيره وعمله سلوك خلقى، وبذلك قد يكون علمه وتفكيره ذا خطر على الإنسانية، وإذا كان الدين مصدرا للحضارة الإنسانية البشرية، والعلم أساس الحضارة التكنولوجية المادية، فالدين والعلم متلازمان ولا غنى عنهما للإنسان فى بناء حضارته والانتفاع بهذه الحضارة.

ولذا فإن علماء الفقه والقانون المسلمين لم يكفوا عن الحديث عن أهمية التطورات فى الهندسة الوراثية والاستنساخ، لأن هذين الموضوعين من الموضوعات التى أثارت تساؤلات فكرية وأخلاقية كثيرة، وتمثل هذه التساؤلات مخاوف المجتمع من تطبيق مثل هذه التكنولوجيا. فخطورتها ترجع إلى أنها تتعلق بحقوق ومصالح الإنسان، وتتعلق بالنسل، والنفس والعقل، والتى يحظى تنظيمها بعناية الشارع، كما أن حفظها من المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية. ومن هنا تأتى أهمية معرفة الحدود التى يمكن فيها تطبيق مكتسبات البيولوجيا الطبية مع البشر على نحو لا يخل بالقواعد الأساسية للشريعة. ولذا فإن مهمة الفقهاء والمشرعين هى التأكد من أن التطورات لن تخالف الشرع، وأن أى اكتشاف لا يكون صحيحا إلا إذا وافق ما جاء فى القرآن والسنة.

وإذا تعارض أى اكتشاف أو أى رأى علمى مع القرآن والسنة فلا يكون حقا، والحقيقة التى يجب أن نهتم بها ونوليها الأهمية أن الوصول إلى نتائج محددة ومخصصة يقتضى من جانب الفقهاء والمشرعين استيعاب مستحدثات البيولوجيا الطبية مع الرجوع إلى الفقه الإسلامى الموسوعى للبحث فى كنوزه عن الجزئيات ذات الصلة بالموضوع، مع محاولة وضع قواعد أو أطر عامة يمكن من خلالها إصدار الحكم على مثل هذه التطورات.

وقبل الحديث عن أحكام الإسلام بالنسبة للهندسة الوراثية لابد أن نعرف أن لها جانبين. جانب إيجابى وآخر سلبى.

الجانب الإيجابى هو تخليص البشرية من أمراضها الوراثية عن طريق تغيير الشفرات الوراثية الموجودة فى الأجنة، وكذلك التوصل إلى أنواع العلاج المختلفة للأمراض المستعصية كالسرطان، وغيرها من خدمات الزراعة والتغذية والصناعة.

أما الجانب السلبى فهو التطبيقات التى يحلم بها بعض العلماء كتغيير طبيعة البشر عن طريق تغيير التركيب الوراثى. ومحاولة الخلط بين الأجناس المختلفة من حيوانات ونباتات بهدف استخدامها لأغراض متعددة، كأن يتم الخلط بين الإنسان والنبات بهدف تخليق كائن يعيش على البناء الضوئى «الإنسان الأخضر».

فإذا كان القصد العلاج وإنقاذ البشرية من أمراض وراثية فإنه يندرج تحت التصرفات المشروعة والمباحة لأن الشريعة تدعو إلى التداوى وإزالة الضرر ودرء المفسدة وتحصيل النفع والحرص عليه.

كذلك للهندسة الوراثية تطبيقات إيجابية تهدف إلى تحسين مستوى النبات والحيوان بحيث يستفيد منها الإنسان، والإنسان فى عالمنا الأرضى هو الكائن المتميز وما سواه من موجودات أخرى قضى عليها أن تكون فى خدمته وصالحه، وبهذا تنطق آيات كثيرة من القرآن الكريم على نحو ماتذكر هذه الآيات ﴿**وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ الجاثية: آية ١٣، وفى آية أخرى ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار**﴾ إبراهيم: آية ٣٣.

والإنسان لا يتمكن مما خلق ومسخر له من الموجودات الأخرى إلا إذا وقف على أسرارها ووصل فى كشفها إلى معرفة القوانين التى تحكمها. وهذا العلم بمعناه الحديث هو العلم التجريبى الذى استطاع أن يقنن الكون ويستخدم موجوداته على أساس من القوانين التجريبية التى استخلصها فيما أقامه من معامل بحثية، هذا النوع من العلم أقدر من أى نوع آخر على تمكين الإنسان من العلم والمعرفة لا ليدرك ربه فحسب فيؤمن به ويعبده، وإنما لينتفع بما سخر له، والإنسان يكون مقصرا فى استخدام وسائل العلم إذا قعد عن متابعة التطور فى العلم التجريبى لأن وقوفه عند مرحلة من مراحل التطور، قضاء على النفس بالتزام نتائج ربما يكشف الغد عن ضعف ما فيها أو يأتى بما هو أدق.. والخير كل الخير أن يكون الإنسان فى غده أكثر تمكنا وأقوى سيادة منه فى أمسه.

أما محاولة تغيير الخلقة وتبديل فطرة الإنسان والعبث بتركيبه الوراثى هذا كله مخالف للسنن الإلهية ولفطرة الله والعبرة بقوله تعالى فى سورة النساء: ﴿**إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا**﴾ الآيات: ١١٧ ـ ١١٩.

ويرى رجال الفقه والدين أن هناك حدودا وضعها الله للإنسان لا يمكن تجاوزها ويجب ألا يأخذه الغرور فيعتقد أنه قادر على التلاعب بالحياة لأنه استطاع تغيير طبيعة النبات والحيوان البيولوجية، فالله لن يترك الإنسان يعبث كيفما شاء لقوله تعالى فى سورة يونس: ﴿**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**﴾ آية ٢٤.

وتثير قضية الاستنساخ الحيوى عند المسلمين تساؤلات كثيرة فهم يرون أن تطبيقها صعب والصعوبة تكمن فى تطبيقها بالنسبة للإنسان. إلا أن الشريعة والدين تدعونا إلى التفكير والاستعداد لما هو قادم؟ أغلب المسلمين يرفضون هذا الاكتشاف، ولكن ليس بإمكان أحد أن يمنع أحدا من الذهاب إلى دولة أوروبية لطلب الحصول على نسخة منه، طالما أنه ـ ماديا ـ قادرا على دفع ما يطلبون.

والحقيقة أن اكتشافا كهذا من الممكن أن يقضى على العلاقات الإنسانية، ويقضى على تكوين الأسرة، فلا الرجل ولا المرأة بحاجة إلى الأسرة للحصول على طفل وهو ما يخالف سنة الله تعالى لقوله فى سورة الروم: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ آية ٢١.

فى ضوء ما سبق ذكره يتضح أن هناك اعتراضات أخلاقية ودينية فى الشريعة الإسلامية على بعض نوعيات من البحوث التى تتم فى ميادين الهندسة الوراثية وتكنولوجيا الإخصاب الصناعى والاستنساخ الحيوى.. وهذه الاعتراضات مبنيةعلى أسس دينية وأخلاقية واجتماعية وهى ترتكز من

نظرة القرآن والسنة للإنسان ومعنى تربيته.. إن المعرفة قوة يمكن استخدامها استخداما جيدا أو سيئا، فلابد أن نتعلم كيف نوجه قوة المعرفة إلى بر الأمان بتعاون رجال الدين والفقه مع رجال العلم وأهل الرأى.

التلوث الإشعاعى والنفايات الذرية

مما لاشك فيه أن الدول المتقدمة هى السبب الرئيسى فى إحداث التلوث الإشعاعى نتيجة استخدام الطاقة النووية فى كثير من الصناعات، بينما يدفع أبناء العالم الثالث ثمنا باهظا لهذا التقدم التكنولوجى، وتتعدد مصادر التلوث الإشعاعى ما بين محطات الطاقة النووية ومفاعلات تصنيع الأسلحة الذرية والمصانع التى تستخدم الإشعاعات المؤينة، وتختلف آثار الإشعاع على الإنسان والكائنات الأخرى باختلاف المصدر المشع وطول مدة الإشعاع، فإذا تلوثت النباتات وتغذى الإنسان على هذه النباتات أو على لحوم ومنتجات الحيوانات التى تأكل هذه النباتات، فإن الآثار تنتقل للإنسان وقد تؤثر فى خلايا الجسم العادية أو الخلايا الجنسية، فإذا أصابت الخلايا العادية فإنها تؤدى للوفاة إذا كان التعرض حادا، وإذا كان أقل من ذلك فإن الإصابة بسرطانات الجلد والعظام والدم تؤدى إلى الأنيميا. أما إذا أصابت الخلايا الجنسية فقد تؤدى إلى العقم أو تؤدى إلى الطفرات التى تسبب العاهات أو العجز العقلى والبدنى، وتمتد آثارها لأجيال.

ومما لاشك فيه أن تسابق الدول الكبرى فى إجراء التجارب النووية بهدف تطوير أسلحتها الذرية وزيادة قدرتها التدميرية قد أدى إلى انتشار كميات كبيرة من الغبار المشع فى الغلاف الجوى، كما أن التفجيرات النووية تحت سطح الأرض ليست آمنة حيث تتسرب الإشعاعات النووية إلى المياه الجوفية ومنها إلى الأنهار والبحيرات.. ويعتبر حادث تشرنوبل بالاتحاد السوفييتى من أكبر الحوادث وأخطرها، فقد تسببت فى تلوث المزارع والمحاصيل، وامتنع الناس فى الدول المتقدمة من تناول الأطعمة والخضراوات والألبان.. بعد أن تعرض آلاف الأفراد للإصابة بالأورام الخبيثة وسرطان الدم، ولقد قامت بعض الدول والشركات بالتخلص مما لديها من أطعمة وأرسلتها إلى دول آسيا وافريقيا، وهو عمل لايتسم بالأمانة ولا بالإنسانية، وكانت مراكز البحث المتخصصة قد أعلنت عن تلوث نحو مليونى هكتار من الأراضى الزراعية فى أوكرانيا.

والحقيقة أنه لا يمكن تحديد كمية النفايات النووية الناتجة من الأنشطة العسكرية، خاصة وأن هذه الأنشطة تحاط بسرية تامة ولا تستطيع القيام بها إلا الدول المتقدمة والتى عند تخلصها من هذه النفايات تبعد تأثيرها قدر المستطاع عن البيئة المحيطة بها، وتحاول أن تجعل الدول النامية والفقيرة مقبرة لتلك النفايات، وخير دليل على أثر التكنولوجيا النووية على تدمير البيئة والإنسان ما تعانى منه اليابان الآن من عدم إمكانية زراعة الأراضى التى سقطت عليها القنابل الذرية فى هيروشيما ونجازاكى، هذا فضلا عن بعض مظاهر التلوث الإشعاعى التى ظهرت فى الجينات الوراثية للأجيال الحاضرة والتى مازالت تظهر بعد فترة أكثر من خمسين عاما من هذا الحادث المدمر.

وقد أتاحت النفايات الذرية عقد الصفقات والمزايدات والمضاربات الدولية، وهناك اتفاق مبرم بين حكومة ألمانيا والحكومة الفرنسية يقضى بأن تجمع الدولتان نفاياتهما المشعة معا لخزنها فى إحداهما فترة زمنية وتنقل بعدها إلى الدولة الأخرى، وقد ظلت مخزونة فى الأراضى الفرنسية، وكلما حان موعد نقلها نشطت سوق المساومة بينهما، وفى كل مرة تقبل ألمانيا بدفع ترضية مالية أكبر من سابقتها مقابل أن تبقى النفايات فى الأراضى الفرنسية، وقد دخل الاتحاد السوفييتى مؤخرا هذه المضاربة نظرا لظروفه الاقتصادية الصعبة. والآن هناك الأدلة الدافعة على تورط تكنولوجيا الغرب الصناعية فى تلوث قارة افريقيا بالنفايات لتحقيق مكاسب مادية.

والتساؤل هل ستصبح افريقيا وبصورة دائمة سلة قمامة الدول الغنية ومقبرة للنفايات التكنولوجية السامة المدمرة للإنسان وثرواته الطبيعية؟ وهناك قرائن مذهلة تشير إلى أن هناك شركات أمريكية وأوروبية قد أبرمت عقودا مع ١٧ دولة افريقية لتفريغ النفايات الخاصة بها، حيث أن مشاكل الفقر والديون المتراكمة أدت إلى تكثيف حجم هذه الصفقات المشبوهة، مما يوضح مدى الظلم الأخلاقى الواقع على الدول الفقيرة. والحقيقة أن مشكلة النفايات التكنولوجية قد بلغت أبعادا مخيفة والضحية دول العالم الثالث الشديدة الفقر، إلا أن النظرة المدققة سرعان ماتدرك أن الخطر فى الواقع يتهدد الكرة الأرضية برمتها، فحينما يتسرب الإشعاع والسموم إلى الأحياء والمياه والهواء والتربة فسوف يعود التلوث لينتشر فى باطن الأرض والمياه الجوفية والأنهار والبحيرات.

تلوث البيئة الصناعية أخطر ظواهر العصر:

حسبنا أن نشير بإيجاز شديد إلى مشكلات البيئة التى أصبحت تحتل مكان الصدارة فى اهتمام كثير من الدول العربية الإسلامية، فهذه المشكلات لم تتولد إلا نتيجة للتقدم الهائل فى التكنولوجيا، وقد كانت فى البداية بمثابة «الأعراض الجانبية» التى تنتاب المريض إذا تعاطى دواء معينا، والتى لا يأبه لها المريض كثيرا لأن كل ما يحرص عليه هو الشفاء، ولأنه يعلم جيدا أن هذا الدواء الذى يتعاطاه فعال فى هذه الناحية، ولكنه قد يأتى وقت تستفحل فيه هذه الأعراض أخطر من المرض الأصلى ذاته. وهذا بالضبط ما حدث فى مجال البيئة فى العقود الأربعة الأخيرة: إذ أن التكنولوجيا الشديدة التقدم التى كفلت للإنسان فى البلاد الصناعية حياة استهلاكية مترفة، قد ظهرت لها «أعراض جانبية» بعضها شديد الفتك، كتلوث الغلاف الجوى والأنهار والمحيطات والمحاصيل الزراعية وازدياد نسبة ثانى أكسيد الكربون عن المعدل الطبيعى، مما يرفع درجة حرارة الغلاف الهوائى، ويزداد التلوث للهواء والماء والتربة، وازدياد الضجيج، والتوتر العصبى، وارتفاع نسبة الإشعاعات الضارة، وانعدام الجمال من البيئة، ويفقد النظام البيئى توازنه وقدرته العادية على صنع الحياة.. وتتدهور البيئة إلى آخر هذه الأعراض التى أخذ ضررها يستفحل حتى أصبح البعض يتمنى لو لم تكن التكنولوجيا قد تقدمت إلى الحد الذى يجلب كل هذه الأضرار.

إن مشكلات البيئة هى انعكاس لما يصيبها من تدهور، فمشكلة التلوث الهوائى والماء وتجريف الأرض وتقلص المساحات الخضراء واستنزاف التربة، والزحف العمرانى وتآكل الشواطئ ونقص الموارد المائية والتصحر وتدهور خدمات المرافق وإهدار الموارد.. كلها تعبر بصورة أو بأخرى عن درجة من درجات الخلل البيئى.

ونحن نتفق فى أن التلوث هو أحد أخطر ظواهر العصر، لارتباطه بالتصنيع والتقدم التكنولوجى، وأن هذه الظاهرة تكتسب باطراد أبعادا عالمية، فإذا لوثت دولة صناعية نهرا أو بحرا أو لوثت الغلاف الجوى، أصبح من قبيل الحقيقة، والواقع أن هذا التلوث يعنى كوكب الأرض برمته، وأصبح علماء البيئة يتحدثون اليوم عن أنهار ميتة*، وعن أنهار ماتت ثم بعثت مرة أخرى، وهناك مثالان نمطيان: نهر التيمز البريطانى، ونهر الراين فى غرب أوروبا، أما النهر الأول فأعلن موته فى الخمسينيات لكن المسئولين أولوه عناية مركزة حتى أثمرت الجهود وبعثت الحياة فيه مرة أخرى فى الثمانينيات. أما النهر الثانى فقد ماتت منه قطاعات كبيرة فى فرنسا وألمانيا وهولندا، وبعد معالجات مكثفة وجدل بين الحكومات أعلن المسئولون أن الحياة بعثت فيه أيضا عام ١٩٨٨م. وإذا كان النهر البريطانى يمتد فى دولة واحدة فإن هناك أنهارا تخترق عددا كبيرا من الدول مثل نهر النيل مما يعنى أن تلويث النهر فى دولة لابد أن تتحمل عواقبه الدول الأخرى حتى وإن تبادلت الدول الاتهامات، مثال ذلك ما تردده ألمانيا الغربية من أن نهر الإلبة لا يدخل أراضيها إلا وقد ملأته

تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية بالنفايات والسموم.

ولاتزال قضية تلوث الجو للمدن بالأبخرة والغازات والدخان المنبعث من محركات السيارات ومكنات المصانع وتلوث المياه فى البحار والمحيطات والأنهار والمياه الجوفية يشغل اهتمام علماء البيئة والمفكرين والحكومات فالأحياء البحرية يغتالها التلوث والإنسان الذى يعتمد فى جزء من غذائه على هذه الأحياء أصبحت مهددة، ويرفع التلوث من حرارة الجو فتتمدد المياه فى البحار ويرتفع منسوبها باستمرار.. وقد تؤدى هذه التغيرات البيئية يوما إلى طوفان يغمر اليابسة ويغرقها، فقد توصلت إحصاءات البحوث مؤخرا إلى توقع نتائج مرعبة لها عواقب وخيمة فيما لو استمرت نسب التلوث بالصعود، وحيث يتجه العالم اليوم بخطى أكيدة تنذر مؤشراتها بكوارث تهدد البيئة وتستهدف جميع مقومات الحياة، وقد أخذ صراع الإنسان على المكان الصالح للعيش والحركة والطعام الذى لم تفسده السموم والعقاقير، والهواء الذى يصلح للتنفس، يتخذ شكلا تزداد حدته يوما بعد آخر.

والضوضاء هى إحدى المشاكل التى تمخضت عن الحضارة المعاصرة وهى مشكلة نتحدث عنها كثيرا دون أن ندرك أبعادها وحقيقتها بالضبط، وفى عصرنا الحالى يصعب على الإنسان أن يجد مكانا لا يصل إليه الضجيج، فى الشوارع والقطارات والطائرات والفنادق والمصانع وفى كل مكان، يكون الإنسان معرضا معظم الوقت للضجيج الهادئ أو الصاخب، ولقد أصبح الضجيج مشكلة عامة وأخذت دول كثيرة تصدر القوانين للحد من الضجيج بقدر الإمكان، وتقاومه كما تقاوم تلوث الماء والهواء. إذ لم يحدث فى تاريخ البشرية أن استقبلت شعيرات السمع من ألوان الضجيج المختلفة فى تعدادها مثل ما تستقبله فى هذا العصر.. من الهمس الخفيف إلى زئير المحركات النفاثة إلى أصوات الماكينات والميكروفونات والمناشير الكهربائية وزئير الكلاكسات، فضلا عما يصدر من أجهزة الراديو والتليفزيون وغير ذلك مئات من مصادر الضجيج.

وهناك من أساتذة الطب من يعزو أمراض القلب وارتفاع ضغط الدم وقرحة المعدة وغير ذلك إلى الضجيج الزائد،بالإضافة إلى الأمراض العصبية والتوتر وتلف نسب من صمامات الأذن لكل البشر بنسب متفاوتة.. كما أنها تضع حملا ثقيلا فوق عاتق الإنسان فى العصر الحديث.

موقف الدين الإسلامى من قضايا التلوث:

اهتم الإسلام بسلامة الجسم والعقل فأمرنا بالمحافظة عليهما ونهانا عن تعريضهما للضرر بقوله تعالى: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**، وقال: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾** النساء: آية ٢٩. وجعل الإسلام من القواعد المقررة أن كل ما أضر بالجسم أو العقل فهو حرام. كما نهى عن تلويث الماء والمكان المطروق والظل الذى يجلس الناس فيه مخافة انتشار العدوى. ففى الحديث الشريف: **«اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل»**، وفى حديث آخر **«لا تبولوا فى الماء الراكد ثم تتوضأوا فيه»**، وحكمة النهى عن التبول فى الماء سواء الراكد منه أو الجارى واضحة وهى الوقاية من الأمراض التى تنتقل بواسطة الماء. ويأمرنا الله بالحذر والأخذ بالحيطة من كل ما يضر قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾**، وأمر بحفظ النفس فقال: **﴿ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**.

ونجد الشريعة الإسلامية تقرر دوما تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وأن الضرر الأكبر يجب أن يزال بالضرر الأدنى. وفى هذا وذاك يقول الرسول ﷺ: **«لاضرر ولا ضرار»**. ولكل من هاتين القاعدتين تطبيقات كثيرة يمكن الأخذ بها فى مشاكل تلوث البيئة.

---

* يقصد العلماء بموت النهر موت الأحياء التى تستوطنه حيث تعيش النباتات الطحلبية والحيوانات السمكية والميكروبات التى تعين بعضها على البعض ومن ثم هناك قدر من التوازن بين أعداده.

بين الإسلام والطب الحديث

الإجهاض

أ. د/ عبدالمعبود عمارة

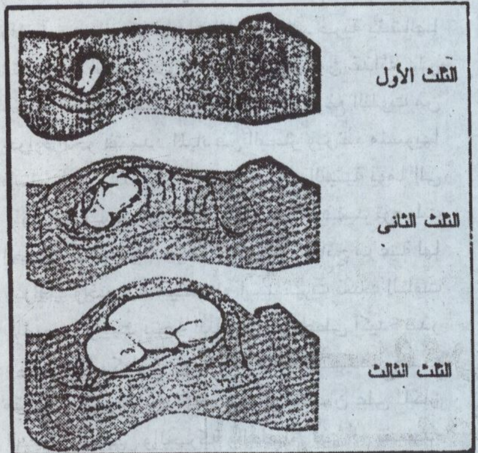

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)﴾ الحج: آية ٥

والمضغة المخلقة هي المستبينة الخلق (المصورة)، **﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾**، أي ونثبت من الحمل في أرحام الأمهات من أردنا أن نقره فيها حتى يتكامل خلقه **«إلى أجل مسمى»** أي إلى زمن معين وهو وقت الوضع.

ويقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤.

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾: اللام جواب قسم أي والله لقد خلقنا جنس الإنسان من صفوة وخلاصة استلت من الطين. قال ابن عباس هو آدم لأنه انسل من الطين.

﴿ثم جعلناه نطفة﴾ أي جعلنا ذرية آدم وبنيه منيا يصب من أصلاب الرجال. **﴿في قرار مكين﴾** أي في مستقر متمكن وهو الرحم. والخلق الآخر

كما قال الرازى: أى جعلناه خلقا مباينا للخلق الأول، حيث صار إنسانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكما وسميعا وكان أصما وبصيرا وكان أكمها، وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطره وغرائب حكمه لا يحيط بها وصف الواصفين.

تعريف الإجهاض:

ويُعرَّف الإجهاض فى الطب بأنه خروج محتويات الحمل قبل ٢٨ أسبوعا تحسب من آخر حيضة حاضتها المرأة.. ومعظم حالات الإجهاض تحدث فى الثلاثة أشهر الأولى من الحمل، عندما يقذف الرحم محتوياته، بما فى ذلك الجنين وأغشيته، ويكون عادة مصحوبا بنزيف دموى، وأما الإجهاض بعد الشهر السابع فيعتبر ولادة مبكرة، أى قبل الميعاد.

الجنين فى البطن بمنزلة الثمرة من الشجرة التى تسقط تلقائيا إذا تعرضت للتلف

ومعظم حالات الإجهاض (٧٨٪) تقريبا تتم تلقائيا، وقد لا تعلم المرأة بذلك الإجهاض، أو قد لا تعلم أنها حامل إذا حدث الإجهاض فى الأيام الأولى من الحمل.

وفى الحديث الذى رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله ملكا فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة، فإن قال غير مخلقة مجتها الأرحام دما. وإن قيل مخلقة قال: أى رب شقى أم سعيد؟ ما الأجل؟ ما الأثر وبأى أرض تموت؟**» أخرجه ابن أبى حاتم وذكره ابن القيم فى طريق الهجرتين وابن رجب فى جامع العلوم والحكم.

أسباب الإجهاض:

أولا: الإجهاض الجنائى: ويحدث نتيجة للتدخل بعمل عملية إجهاض متعمد وهى تتم لظروف متعددة، وهى أوسع انتشارا من الإجهاض التلقائى أو الذاتى. والإجهاض الجنائى إذا لم يكن لإنقاذ حياة الأم فهو حرام (ولا يجوز التلاعب بالضرورات) لأن الله أعلم بالسرائر. وقد قال تعالى فى إشارة كريمة إلى الذين يقدمون على قتل أولادهم: ﴿**قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين**﴾ الأنعام: آية ١٤٠.

فأى خسران لهؤلاء القتلة لأولادهم وأى سفه وأى جهل، حيث حرموا مارزقهم الله به من العيال. إن هؤلاء قد غالوا فى الافتراء على الخالق وسلكوا سبيل الضلال بدلا من طريق الهدى والرشاد فما كانوا من المهتدين الذين أنعم الله عليهم بالصراط المستقيم.

ويجب أن تصدر الفتوى بجواز الإجهاض من عدمه من عالم دينى متخصص بالاشتراك مع الطبيب الثقة المختص بالمرض الذى تعانى منه الأم الحامل. لأن الفقيه يستطيع أن يحدد الضرورة ومقدارها بناء على التصور الذى أعلمه به الطبيب كمرض الأم المتقدم بأمراض القلب أو الصدر أو الكلى أو السرطانات، أو كانت الأم الحامل مصابة مثلا بأمراض عقلية شديدة مثل مرض الفصام الذهانى أو الجنون أو الحصبة الألمانية مثلا.

ثانيا الإجهاض التلقائى: ويحدث بدون تدخل جراحى. وأما أسباب الإجهاض التلقائى فترجع إلى أمراض فى الجهاز التناسلى للحامل أو عيوب

فى الكروموزومات الخاصة بالبويضة أو أمراض فى الدم أو ضغط الدم المرتفع أو بعض الحميات أو إصابة الأم بصدمة قوية بضرب أو حادثة أو نقص فى هرمون البروجسترون المُثَبِّتْ للحمل. وهناك بعض الأدوية التى تسبب الإجهاض أيضا. وقد يحدث الإجهاض نتيجة للتشوهات الجنينية والتى ترجع أسبابها إلى عوامل كثيرة.

أما أسباب الإجهاض كما يراها ابن القيم

فيقول الدكتور محمد على البار: يقول ابن القيم فى التبيان فى أقسام القرآن ما يلى:

«الجنين فى البطن بمنزلة الثمرة من الشجرة»، وكل منهما له اتصال قوى بالأم، ولهذا يصعب قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة، وتحتاج إلى قوة. فإذا تلفت الثمرة نهائيا سهل قطفها وربما سقطت بنفسها. وذلك لأن كل الرباطات والعروق التى تمدها من الشجرة كانت فى غاية القوة والغذاء. فلما رجع ذلك الغذاء إلى تلك الشجرة ضعفت تلك الرطوبات «الهرمونات» والمجارى وساعدها ثقل الثمرة فسهل أخذها. وكذلك الأمر فى الجنين، فإنه مادام فى البطن قبل استحكامه وكماله، فإن رطوباته وأغشيته تكون مانعة له من السقوط، فإذا تم وكمل ضعفت تلك الرطوبات وانتهكت الأغشية، واجتمعت تلك الرطوبات المزلقة فسقط الجنين، هذا هو الأمر الطبيعى الجارى على استقامة الطبيعة وسلامتها. وأما السقوط قبل ذلك فلفساد الجنين (خلل فى البويضة الملقحة) أو لفساد فى طبيعة الأم (أمراض الرحم والأم) أو ضعف الطبيعة (اضطرابات الهرمونات)»، ثم قال: «فالآفات التى تصيب الأجنة بمنزلة الآفات التى تصيب الثمار».

الإجهاض بدون عذر حرام بإجماع العلماء

أنواع الإجهاض

أولا: الإجهاض المنذر: وفيه يحدث بعض النزيف الرحمى والمغص، وهذا النوع يعتبر إنذارا بالإجهاض، وعلى السيدة التى تعانى من ذلك أن تلتزم بالراحة التامة وأن تذهب إلى طبيبها المعالج فورا، ومعظم هذه الحالات قابلة للشفاء.

ثانيا: الإجهاض المحتم: وهذا النوع ينتهى بخروج محتويات الرحم (الجنين ومحتوياته)، ويصحبه نزف دموى شديد مع آلام أسفل البطن والظهر ويتسع عنق الرحم، وهذا النوع يسمى الإجهاض غير المرتجع، أى أنه غير قابل للشفاء.

ثالثا: الإجهاض المتكرر: وذلك إذا تكرر الإجهاض لأسباب كثيرة منها أسباب ترجع إلى الأم، كمرض الكلى أو السكر أو غيرها أو عيوب خلقية فى رحم الأم أو عيوب خلقية فى الجنين أو نقص فى هرمون الحمل (برجسترون) وللإجهاض أنواع أخرى فى كتب أمراض النساء والولادة.

رأى الدين فى الإجهاض

هذا وقد قرأت لكثير من العلماء أن الإجهاض بعد نفخ الروح بدون عذر حرام بالإجماع، فإن كان

هناك عذر قاهر كتحقق ضرر أو موت الأم إذا بقى الجنين فى بطنها، فإن العلماء يجيزون الإجهاض وقتئذ فقط.

وأما فى الإجهاض قبل نفخ الروح، فمنهم من حرم ذلك بإطلاق أو كرهه ومنهم من حرمه بعد الأربعين يوما ومنهم من أجازه قبل الأربعين.

وإنى أرى كطبيب أن الجنين حى منذ اللحظة الأولى لأنه تكون من نطفة والد (حية) ونطفة أم (حية) وتكونت نطفة أمشاج (حية أيضا)، فالحياة موجودة فى البويضة الملقحة من أول لحظة، مثلها مثل الحياة فى أى كائن حى مخلوق لله وستصير بإذن الله تعالى جنينا وستمر بأطوار الحياة التى قدرها الله تعالى لها. وبعد نفخ الروح تتميز الحياة الإنسانية البشرية عن الحياة الحيوانية العادية حيث التسوية والتعديل والخلق الآخر كما جاء فى قوله تعالى: **﴿ياأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ۞ الذى خلقك فسواك فعدلك ۞ فى أى صورة ما شاء ركبك﴾** الانفطار: الآيات ٦ - ٨.

والإقدام على زعزعة استقرار هذه النطفة المستقرة (إلا للضرورة) سواء كان قبل نفخ الروح أو بعده، ففيه سفه وتطاول على من خلقها، وهو أعلم بها، قال الله تعالى: **﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾** الأنعام: آية ١٣٧.

وقال الله تعالى: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا﴾** الإسراء: آية ٣١.

رأى الشيخ شلتوت فى الفتاوى: إذا ثبت عن طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته هكذا يؤدى لا محالة إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين، فإذا كان فى بقائه موت الأم، وكان لا منفذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه فى تلك الحالة متعينا ولا يضحى بها فى سبيل إنقاذه لأنها أصله، وقد استقرت حياتها، ولها حظ مستقل فى الحياة ولها حقوق وعليها واجبات، وهى بعد هذا وذاك عماد الأسرة، وليس من المعقول أن يضحى بها فى سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته ولم يحصل على شىء من الحقوق والواجبات».

معظم حالات الإجهاض التى تحدث بدون تدخل تكون فى الثلاثة أشهر الأولى من الحمل

وفقنا الله تعالى جميعا إلى أن نتبع طريق الرشاد وأن نبتعد عما يغضب الله تعالى من قول أو عمل إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

المراجع:

- تفسير القرآن الكريم.

- خلق الإنسان بين الطب والقرآن - الدكتور محمد على البار - الدار السعودية للنشر والتوزيع - الطبعة الخامسة ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ.

- أم كلثوم يحيى مصطفى الخطيب (قضية تحديد النسل فى الشريعة الإسلامية) الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ.

المسلمون والصدام الحضاري المفروض

قامت الحضارة الأوروبية على قواعد من أهمها إبادة الآخر.. بدعوى الصدام الحضارى.. فإما هو وإما أنا، وإما أن أملك الأرض أنا أو يبقى فيها هو.. ولا مكان للتعايش بيننا!! ـ وما جرى ويجرى فى فلسطين هو مجرد نموذج مكرور ـ ومستمر ـ من نماذج هذه القاعدة المضطردة فى التاريخ الأوروبى والأمريكى!!

حقيقة إنه لمن الظواهر الجديرة بالدراسة عادة (إبادة الشعوب) التى تتسم بها الحضارة الأوروبية، وبينما تحرص هذه الحضارة على أن تكون فى داخل حدودها إنسانية ديمقراطية ـ نراها ـ بواسطة نفس الأشخاص ـ تتحول خارج حدودها إلى وحش كاسر لا يعترف بحق إنسانى، ولا بأبجديات الحياة الأساسية لمن يتعامل معهم خارج حدوده من البشر.

د/ عبدالحليم عويس

● ويعد موقف الحضارة الأوروبية من الظاهرة الاستعمارية من أقوى الأدلة على ذلك، فالحضارة الأوروبية لم تحاول قط أن تأخذ بيد الشعوب المستعمرة إلى المدنية والعلم، بل حرصت على إبقاء المستعمرين (بفتح الميم) على حالتهم لتستطيع تسخيرهم فى الأعمال الشاقة بأقل الأجور، ومع التجاوز الشديد للحد الأدنى من الحقوق الإنسانية.. كما أن موقف هذه الحضارة من (ظاهرة الرقّ) ـ حين سمحت لنفسها بخطف الملايين الآمنين من بلادهم (نحو ٣٥ مليونا) وتمزيق شملهم العائلى، وإطعامهم كئوس الذل والهوان والسخرة من أجل تحقيق تقدمها الصناعى. هذا الموقف واحد من الظواهر التى تؤكد هذه الحقيقة (اللاإنسانية) و(العنصرية) و(المادية الجافة) فى الحضارة الأوروبية.

● ومع نهاية القرن التاسع الهجرى (٨٩٧هـ) الخامس عشر الميلادى (١٤٩٢م) وسقوط غرناطة آخر القلاع الأسبانية الإسلامية (الأندلس) بدأت حركة استئصال للمسلمين الأندلسيين واليهود عرفت بمحاكم التفتيش، واستمرت لأكثر من نصف قرن لدرجة استئصالها لكل المسلمين فى اسبانيا، ضاربة بكل المواثيق عرض الحائط!!

ومن زاوية أخرى نجح الأسبان فى القضاء على شعبين من شعوب الهنود الحمر، فقد أفنى القائد (فرناندو كورتيز) شعب (الأزتيك) المكسيكى، وأرسل نائبه (الفورادو) فاستولى على (غواتيمالا)، وقضى على شعبها، كما أفنى القائد (بيزارو) شعب (الأنكا) الذى كان يقطن أرض (البيرو) بأمريكا الجنوبية.

وفى المغرب العربى وجدنا فرنسا تبيد مليون ونصف مليون شهيد فى الجزائر.

أما تجربة إيطاليا فى ليبيا فهى آية من آيات الوحشية التى قل نظيرها فى التاريخ.

وأما ما فعلته روسيا فى مسلمى آسيا الوسطى الذين خضعوا لها فى العهدين القيصرى والشيوعى من قتل وتشريد للعائلة الواحدة.. وتهجير إجبارى إلى سيبريا.. وإبادة لشعوب كاملة، فهو كذلك صفحة سوداء تحتاج إلى مجلدات وإلى عشرات الأقلام والروايات الدامية التى تدين الحضارة الكنسية اللادينية الأوروأمريكية.

إن صدام الحضارات ليس وليد (هنتنجتون) ولا «مكسيم رودنسون) وإنما هو وليد الصهيونية والفكر التوراتى العنصرى الدموى!!

● وما يجرى فى فلسطين اليوم مجرد حلقة فى سلسلة طويلة.. مستمرة!!

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين كان الإنسان الأوروبى ينظر إلى خريطة العالم ليحدد المواقع التى يظن أنها تحتاج إليه، أو التى يحتاج هو إليها ليسلبها موادها الخام، أو ليأخذ (بشرها الخام) عبيدا وعمالا فى إقطاعياته ومصانعه، أو ليرسل إليها - ابتداء - قوافل التنصير لتمهد له الأرض فتعلم الناس فقدان الولاء، وتقدم لهم القبول بالفكرة العنصرية التى تحقق هيمنة الإنسان الأبيض.

- أما الإنسان غير الأبيض فعليه أن يطمع فى ملكوت السماء، وأن يزهد فى هذه الأرض أو ييأس من حقه فيها، لأنها ملك للإنسان الأبيض وحده، وعليه - أيضا - أن يؤمن بأنه - كذلك - خلق عبدا أو شبه عبد، ولا داعى لمناطحة رجل الأقدار.. الإنسان الأوروبى الأبيض)!!

- وفى الكنيسة يمكن أن تتحقق له السكينة والاستسلام، وتقدم له كل البدائل التى تخدره وتقنعه بقبول الأمر الواقع!!

***

وخلال القرن العشرين حدث تطور خطير فى الوعى الإنسانى.. فلم يعد الإنسان الأوروبى قادرا على أن يتعامل مع خريطة الأرض هذا التعامل الاستعلائى التبشيرى الاستعمارى الذى كان يتعامل به فى القرنين السابقين.

خلال القرن العشرين تطور وعى الإنسان الأوروبى رافضا لأسلوب الاستغلال الاستعمارى الذى كان سائدا خلال القرنين السابقين

ولهذا جاءت فكرة (العولمة) أسلوبا آخر يصل به الإنسان الأوروبى (ذو الخلفية الاحتلالية) إلى تحقيق أغراضه.. بالأساليب القديمة نفسها، بل بما هو أسوأ منها.. ففى تخطيطه أن يعود إلى امتلاك خريطة العالم - من جديد - بتفريغها من مضامين الاستقلال الصحيح، وبالقضاء على أربعة أخماس العالم عن طريق آلياته العالمية كصندوق النقد، ومؤسسة الجات، ومجلس الأمن.

لقد فشل التبشير والاستعمار وملكوت السماء.. فلتبدأ مرحلة التبشير بالعولمة والعلمانية وملكوت الأرض الوهمى!!

***

وفى تصورنا - بصرف النظر عن الدين والأخلاق اللذين لا يؤمن بهما المشروع الحضارى

الأوروبى - أن الإنسان الأوروبى من حقه أن يحدد مصالحه بالطريقة التى يراها مناسبة، (مع إدانتنا لمنهجه المستبعد للدين والأخلاق والمنظور الإنسانى).

- لكن المشكلة - فى الحقيقة - ليست فى هذا الاستعمار المنسجم مع مصالحه، والذى جاء يوما رافعا راية (الاستعمار والتبشير)، ثم جاءنا أخيرا رافعا راية (العولمة والعلمانية) ليحقق أهدافه نفسها.

نعم المشكلة ليست فى الاستعمار ومصالحه.

وإنما تكمن المشكلة.. فى جوهرها - فى العرب والمسلمين - إنها ليست مجرد مشكلة، وإنما هى مأزق حضارى خطير.

ففى مواجهة (الاستعمار والتبشير) خلال القرون السابقة، كانت هناك مبررات نفسية جماعية لمواجهة المحتل، وكان الإسلام يغذّى هذه المبررات ويعطيها وقودها، ويجعل مواجهة (الاحتلال وتوابعه) فرض عين وفرض كفاية، وكانت الروح ومعها التاريخ برصيده الحضارى الإسلامى الرائع يتحركان لمقاومة الاحتلال والتنصير.

● أما فى المرحلة الأخيرة (مرحلة العولمة والعلمانية) فقد كان الاستعمار ذكيا، حين أعد العدة للقضاء على مبررات المقاومة ووقودها المتمثل فى الروح القرآنية وفى فروض الكفاية والعين الإسلامية، بل إنه عمد إلى تشويه كل من يرفعون شعار الاحتماء براية الإسلام، فوسمهم بالأصوليين والتطرف مستغلا - كذلك - قطاعا من المنافقين المتعاونين معه، ومستغلا - أيضا - أخطاء بعض الصغار العاطلين أو بعض العملاء الذين يستأجرهم فى تشويه الإسلام، ويدفعهم دفعا إلى التطرف تحقيقا لأهدافه.

لجأ الاستعمار إلى تشويه صورة كل من يرفعون راية الإسلام فوسمهم بالأصوليين والمتطرفين

- ومعنى ذلك أن الأمة فى حالة انشطار، وأن أكثر طاقتها ستبدد فى مواجهة الذين يحاربون إسلامها ولغة قرآنها من داخلها، ويفرضون - حتى فى شوارع البلاد العربية - الأسماء الأجنبية، ويروجون للغات الأجنبية، على حساب اللغة العربية، حتى فى البلاد التى دفعت ملايين الشهداء من أجل القرآن ولغة القرآن.. كما أنهم يحاربون صور الالتزام بالإسلام وصور الانتماء له.. مهما كانت مشبعة بالتسامح والعقلانية وأخلاقية الوسائل ونزاهة الغايات!!

***

- إن هذا هو المأزق الحقيقى..

وإذا كان الاستعمار والتبشير قد فشلا فى الجولة الأولى لوجود مبررات الجهاد والمقاومة لدى الأمة بكل شرائحها - باستثناء قليل من الخونة المحدودين.

- فهل ينجح الاستعمار اليوم (بعولمته وعالمانيته) فى تحقيق ما عجز بالأمس عنه؛ بفضل من يروجون لمبادئه فى بعض بلاد العروبة والإسلام.

ومن البديهى أن المستقبل بيد الله، لكن الأمة الإسلامية فى مأزق خطير، وهى فى حاجة ماسة إلى الإيمان بأن الإسلام هو الحق وبأنه سبحانه غالب على أمره.. وبالتالى تبيع الأمة نفسها لله وترفع من جديد راية مقاومة الاحتلال الحضارى كما رفعها آباؤهم فى وجه الاحتلال العسكرى.

الأندلس منارة الإسلام فى أوروبا

د/ إبراهيم أحمد العدوى

«الأندلس» هو الاسم العربى الجميل، الذى صار علما على ذلك الجزء من «دار الإسلام» الذى قام بغرب أوروبا، فى الجهات المعروفة اليوم باسم اسبانيا والبرتغال، وذلك على امتداد ثمانية قرون مديدة زاهرة، تبدأ من العقد الأخير من القرن الأول الهجرى ـ الثامن الميلادى إلى القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى.

ولفظ «الأندلس» تعريب عذب اللسان لكلمة «واندالوسيا»، وذلك على نحو ما جرت عليه مهارة العرب فى صياغة المفردات الأجنبية التى يقومون بضمها إلى «لغتهم الجميلة»، وتعنى «واندالوسيا» بلد الوندال و«الوندال» جماعة من القبائل الجرمانية التى أغارت على الامبراطورية الرومانية الكبرى منذ القرن الخامس الميلادى، حيث استقر الوندال فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة أيبريا، ولصق اسمهم بتلك الجهات من جنوب شبه الجزيرة، حيث صار يعرف نسبة إليهم باسم «واندالوسيا»، أى بلد الوندال، وهو الاسم الذى صاغ منه المسلمون اسم «الأندلس» بعد فتحهم لتلك البلاد.

وبدأت شمس الإسلام تطل على «الأندلس» من مدينة طنجة، الواقعة على شاطئ بلاد المغرب جنوب مضيق جبل طارق، حيث كان يتولى أمور تلك المدينة أحد أبناء المغرب الإسلامى الوليد، وهو طارق بن زياد، إذ عبر هذا القائد بقواته إلى الجهات المقابلة له من أرض الأندلس، فى شعبان ٩٢هـ ـ ابريل مايو ٧١١م، استجابة لاستغاثة أهالى البلاد لإنقاذهم مما كانوا يعيشون فيه من ظلم وهوان. ذلك أن شبه الجزيرة الأيبيرية كانت قبل الفتح الإسلامى خاضعة لسلطان القوط، وهم جماعات من الجرمان قامت بإخراج من كان بشبه الجزيرة من حكامها القدامى من الوندال، واستبدوا بمقاليد الأمور، وحكموا رعاياهم من أهل البلاد بالقوة والعنف والاستخفاف بالناس والأموال والأعراق، والاعتماد على أسلوب الفوضى فى الحكم، فضلا عن اتباع سياسة الاضطهاد الدينى للمخالفين لمذهبهم، وإنزال شتى ألوان العذاب بهم وبأهاليهم.

وأخذت منارة الإسلام بالأندلس تبدد فى سرعة فائقة تلك السحب المظلمة التى بلغت ذروتها عند الفتح الإسلامى لشبه جزيرة أيبيريا.

إذ صاحب تلك المنارة السامقة قيام أول دولة للإسلام على أرض أوروبا، نالت تقدير الجميع، الذين وجدوا فيها دولة لا يظلم حكامها أحدا من أهل البلاد، بل نشروا بدينهم الإسلامى الحنيف عدلا لم تعرفه من قبل تلك البلاد الأوروبية، ولا غيرها من النواحى الدانية منها أو القاصية من القارة الأوروبة على حد سواء، وفضلا عن ذلك رأى أهل البلاد أن العهد الإسلامى الجديد يعترف بكيانهم ولا يفرق بين شخص وآخر، وأنهم جميعا أهل وطن واحد، حرية الكلمة فيه وكذلك الرأى مكفولة لهم دون أية قيود، حيث قام فى كل مدينة أندلسية جماعة تتحدث باسم الناس، وفى كل هيئة أو جماعة حرفية رؤساء يتحدثون باسم التابعين لهم.

وبلغت منارة الإسلام بالأندلس أوج نورها فى الحرية الدينية التى نعم بها أبناء البلاد، فى ظل الحكم الإسلامى وحضارته الزاهرة فى تلك الأرجاء الشاسعة من غرب أوروبا، فقد قدمت الأندلس لأهل أوروبا أصدق آيات التطبيق المثالى للقاعدة الإسلامية التى تقرر ألا إكراه فى الدين، وأن حسن الجوار والتعايش على أسس المودة والإخاء الإسلامى هو القاعدة الراسخة لسعادة الأوطان وعز أهلها وطمأنينتهم.

وتحقق بذلك لأهل أوروبا فى ظل منارة الإسلام بالأندلس أعظم معالم البناء الاجتماعى، القائم على أصدق صور التطبيق المثالى للحرية الدينية فى ظل التعاليم الإسلامية السامية، وذلك على نحو ما تجلى فى تكوين الشعب الأندلسى وترابط أبنائه إذ جمع الشعب الأندلسى فى إخاء صادق متين بين عناصر عديدة كبرى تتمثل فى العرب الفاتحين، ومن سار فى صحبتهم من «البربر» من سكان المغرب المسلمين، وكذلك ما توالد من سلالاتهم نتيجة الزيجات من الأسبانيات من أبناء البلاد الأصليين، وهى السلالات التى عرفت باسم «المولدين»، هذا إلى جانب «المستعربين»، وهم الاسبان الذين ظلوا نصارى فى دينهم ولكنهم استعربوا نسبا وأسلوب حياة، ولقى أولئك المستعربون الباقون على ديانتهم المسيحية كل تكريم. ومن ذلك ما حظى به أحد كبار رجالهم وهو «أرطباس بن غيطشة»، إذ كان شيخ نصارى الأندلس، ويعتبر شخصية محترمة مقربة من الأمراء، ونال لقبا رفيعا فى الدولة وهو «قومس الأندلس» دلالة على سمو مكانته السياسية والاجتماعية لدى السلطات الرسمية الإسلامية.

وزاد من الروابط الاجتماعية بين أبناء الشعب الأندلسى الوليد فى ظل الإسلام إقبالهم على الثقافة العربية التى صاحبت منارة الإسلام فى البلاد، فقد كانوا جميعا، وعلى اختلاف دياناتهم، يعتزون بعروبتهم ويجيدون الفصحى ويحفظون أشعارها. وكان الأسبانى النصرانى إذا أسلم اتخذ اسما عربيا، ويصبح هو وأولاده مع الزمن عربا ويندرجون فى غمار كتلة الشعب الأندلسى العربى.

وقد ظلت هذه الأجناس العديدة من أبناء الشعب الأندلسى الوليد تتجاور وتتعايش وتتكامل، وتعمل جاهدة على رفض أية محاولة للتفرقة بين بعضهم البعض، وكان المسيحيون من أبناء البلاد يدركون أن سلامتهم فى الحفاظ على الوحدة الوطنية، ويقفون بالمرصاد لكل من تحدثه نفسه من ذوى النفوس المريضة من أقرانهم بالدس أو الوقيعة، وذلك على نحو ما حدث فى حكم عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦هـ - ٨٢٢م - ٢٣٨هـ - ٨٥٢م). فكان من أعظم الشخصيات المسيحية التى تصدت للفتنة الطائفية التى نشبت إذ ذاك هو «قومس بن أنطنيان» الذى أسلم بعد نجاحه

فى إخماد نيران الفتنة الطائفية، وحسن إسلامه، وأقبل على الاعتكاف فى المسجد الجامع فى قرطبة حيث لقب بلقب «حمامة المسجد».

وازدادت منارة الإسلام بالأندلس علوا وارتفاعا، وامتد هداها إلى خارج بلاد الأندلس، نفسها، حيث جذبت بأضوائها الباهرة أنظار أهالى أوروبا كلها، سواء من العامة أو من رجال السياسة والحكم، فقد تطلعوا جميعا إلى السير على هدى تلك المنارة فى تدبير شئونهم الدنيوية، وكان من أعظم القوى الأوروبية إقبالا على منارة الإسلام بالأندلس: دولة الفرنجة التى قامت فيما يعرف اليوم باسم فرنسا، والدولة الجرمانية فى بافاريا، ودولة النورمان فى انجلترا. فقد ترامت إلى تلك القوى الأوروبية الأنباء والتقارير الرائعة عن حضارة المسلمين الزاهرة فى بلاد الأندلس، وما حققته تلك الحضارة من منجزات رفيعة فى شتى ميادين العلوم والفنون، وما وصلت إليه الجامعات الإسلامية فى المدن الأندلسية من تقدم ورقى علمى، فضلا عن سمو المعاملة التى كان يلقاها المسيحيون من أبناء الشعب الأندلسى.

وبدأ الأوروبيون يفدون فى شوق وتقدير من شتى الأرجاء على بلاد الأندلس، وبخاصة من البعثات الرسمية، حيث جرى استقبالهم استقبالا طيبا فى ظل الحفاوة الشعبية والرسمية الأندلسية، مما أدى إلى فتح صفحة مشرقة فى رسالة منارة الإسلام بالأندلس، قوامها بناء علاقات إسلامية أوروبية تستند إلى احترام المسلمين لحقوق الجوار التى قررها دينهم الحنيف. وذلك على نحو ما توضحه النماذج التالية من التعاون الثقافى بين مسلمى الأندلس وجيرانهم من الأوروبيين:

أ - بعث الملك فيليب البافارى إلى الخليفة الأموى بالأندلس، وهو هشام الأول (١٧٢هـ - ٧٨٨م - ١٨٠هـ - ٧٩٦م) يسأله السماح له بإيفاد هيئة تدرس النظم فى بلاد الأندلس وشرائعها وثقافة مختلف الأوساط فيها ليتمكن من اقتباس المثمر المفيد من ذلك لبلاده، ووافق الخليفة على هذا الطلب، حيث بعث الملك الجرمانى وفدا برئاسة وزيره الأول «ويليمين»، وهو الذى لقبه الأندلسيون «وليم الأمين» لأنه كان أمينا فى نقل ما رآه من حضار الأندلس وعظمتها إلى الملك، وشجعه على الاستمرار فى إنفاذ البعثات العلمية لاقتباس المزيد من هذا المركز الهام للحضارة الإسلامية بغرب أوروبا.

ب - أرسل ملك انجلترا «جورج الثانى» ابنة أخيه «الأميرة دوبانت» على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة، من بنات الأمراء والأعيان إلى أشبيلية، يرافقهن رئيس موظفى القصر الملكى، وهو النبيل «سفليك»، وكان يحمل كتابا من الملك إلى الخليفة هشام الثالث (٣٦٦ - ٣٩٩هـ - ٩٧٦ - ١٠٠٩م)، جاء فيه:

«من جورج الثانى ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة، ملك المسلمين فى مملكة الأندلس، صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام: بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداءة حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة. وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من لدن اللواتى سيتوفرن على تعليمهن، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخاص -

من خادمكم المطيع: جورج».

وكانت هدية الملك جورج عبارة عن شمعدانين من الذهب الخالص طول الواحد ثلاثة أذرع مع أوان ذهبية أخرى للطعام عددها اثنتان وعشرون قطعة، نقشت بأبدع وأروع النقوش السكسونية، وكلها من صنع بلاد الإنجليز، وتعد من التحف النادرة التى لا تقدر بثمن.

ورد الخليفة هشام على ملك إنجلترا بالرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين، وبعد: إلى ملك انجلترا وإيكوسيا واسكنديناوة الأجل: لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعنيهم الأمر على طلبكم، وعليه فإننا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكى، أما هديتكم فقد تلقيناها بسرور زائد، وبالمقابلة أبعث إليكم بغالى الطنافس الأندلسية، وهى من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكافى للتدليل على التفاتنا ومحبتنا والسلام - خليفة رسول الله على ديار الأندلس: هشام».

وكشفت رسالة الخليفة الأموى بالأندلس إلى ملك انجلترا عن عمق الأسس التى قام عليها الجوار الإسلامى لأوروبا، وهو اتخاذ التعاون الثقافى سبيلا لدعم علاقات حسن الجوار، وتحقيق مافيه سمو «الأمن الإسلامى»، الذى جاء به الإسلام للبشر أجمعين.

ج - توالت بعثات أوروبية أخرى من فرنسا وإيطاليا والأراضى الواطئة (بلجيكا وهولندا حاليا) على بلاد الأندلس، حتى امتلأت بأعضاء تلك الوفود معاهد غرناطة وأشبيلية، حيث نهلوا من الحضارة الإسلامية بالأندلس، وتأثروا بالأخلاق العربية الإسلامية الرفيعة، ولم يعد بعض هؤلاء المبعوثين الأوروبيين إلى بلادهم، سواء من الفتيان أو الفتيات، تحت تأثيرعوامل شتى: نتيجة إعجابهم بالحياة العربية الإسلامية وتقاليدها وثقافتها، أو نتيجة صلات عاطفية نشأت بين بعض الفتيات الأوروبيات وأبناء سراة العرب الذين كانوا يزاملون أفراد البعثات فى مختلف المعاهد الإسلامية، وقد اشتهر من بين الفتيات اللواتى ربطت الأقدار حياتهن بالأسر العربية الإسلامية الكريمة كثيرات، أبرزهن الأميرة «مارى غوبييه»، وهى بلجيكية الأصل، أحبها الأمير «حسن بن المهدى» وتزوجها،ومنهن «روبيكا ستارت» من بنات العائلات الأرستقراطية الجرمانية، والراهبة «جانيت سمبسون» المرافقة لإحدى بعثات البنات الإنجليزيات، و«شونا» ابنة الكونت «سيرجاك» من أشراف هولندا، وهذه الزيجات تركت أعظم الآثار وأجلها فى دعم أواصر المودة بين مسلمى الأندلس وجيرانهم من أبناء أوروبا، مازالت ذكراها العطرة يرددها المخلصون من علماء الغرب فى دراساتهم وأبحاثهم الجادة القيمة.

وهكذا قدمت منارة الإسلام بالأندلس للأوروبيين، وأمام أعينهم، وفى بقعة من أعز بقاع أوطانهم «جنة فى الأرض»، يسكنها شعب قوى: متسامح سياسيا ودينيا وفى طليعة شعوب العالم المتمدين، المؤمن بفضل تمسكه بتعاليم الإسلام السامية بالحقوق الإنسانية كاملة غير منتقصة لكل فرد من أفراد المجتمع البشرى، لا فرق بين شرق وغرب، عملا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ البقرة: آية ١١٥.

حقيقة الخلق تكشف كذب نظرية التطور

د. حسنى حمدان الدسوقى

١ـ نظرية التطور إفك وخديعة كبرى:

أكذوبة ألبست بالباطل ثوب العلم، قام بترويجها المرجفون، وانخدع بها قطاع من البشر، إنها نظرية التطور، فرية كبرى سادت لقرابة مائة وخمسين سنة. تسللت إلى العقل الضال فنسجت غزلها، وخمرت العقل بخيوط عنكبوتية.. النظرية كلمة واحدة: التطور Evolation انطلق بها صنم الإلحاد فى العصر الحديث دارون،كلمة من سخط الله أعطت للعقل الملحد البديل عن الخلق، فإذا كان الله عند المؤمنين يخلق ما يشاء ويختار، فإن إله دارون وأتباعه هو الاصطفاء الطبيعى «Natural selecttion» فيا حسرة على العباد الذين أنكروا الخلق ونسبوا الخلائق إلى طبيعة ميتة، قانونها ظالم،قانونها البقاء للأصلح، وأساسها الصراع بين الكائنات، ومن هنا تأتى الخدمة الجليلة التى أعطاها دارون لأصحاب القوة الغاشمة وأعطت لتلك القوة المبرر لاستعمار الضعفاء، تحت زعم أنهم هم الأقوياء، والطبيعة تعطيهم الحق فى البقاء، مبدأ استعمارى بغيض لبس ثوب العلم. والعلم منه براء.

والمرء يعجب كل العجب من عقول آمنت بنظرية التطور الداروينى التى لا يوجد دليل علمى واحد يؤيدها. عهدنا فى الناس الحيطة والحذر حتى عند قبول الحقائق. ولكن مع نظرية التطور الساقطة سُلبت إرادة الكثير من البشر. لماذا آمن كثير من الناس بنظرية تفتقد إلى الدليل؟ الإجابة تأتى على لسان أشد المؤيدين لنظرية دارون وهو السير أوثركيث، والعجيب أنه يعترف أنها نظرية لا يوجد عليها دليل علمى واحد ولكنه يؤمن بها لأن البديل عنها هو الإيمان بالله وهذا مالا يمكن الإيمان به من وجهة نظره، هو وأمثاله يتحقق فيهم قول الله تعالى: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾** النمل: آية ١٤.

النظرية المشؤومة تلك أعطت المبرر اللأخلاقى للشيوعيين لحكم العالم تحت زعم أن البقاء لطبقة «البروليتاريا» (الطبقة العاملة) وقدمت المبرر اللأخلاقى لسادة أوروبا الأقوياء فى استعمار الدول الضعيفة تحت زعم أن البقاء للأحسن، وأعطت المبرر اللأخلاقى للجنس النازى ليكون فوق الجميع. وكفى الاسترسال، لنبدأ أولا بتوضيح حقيقة الخلق وما يتعلق به فى القرآن الكريم.

٢ـ الحقيقة هى الخلق:

لا يوجد مؤمن بالله إلا ويعتقد اعتقادا جازما بأن الخلق والأمر لله، ويصدع القرآن بتلك الحقيقة فى قوله تعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾** الأعراف: آية ٥٣.

وفى هذا يقول العلماء قولا بليغا وهو أن الخَلْقَ

لا يُخْلَقُ بالمخْلُوق، والخلق يحتاج آمرا، والآمر فى مسألة الخلق هو الخالق وهو اسم من أسماء الله الحسنى، ومن كثرة خلقه ومن هوان عملية الخلق عليه، ومن تجدد خلقه وصف الخالق نفسه بأنه خلاق عظيم حيث يقول تبارك وتعالى: **﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾** الحجر: آية ٨٦.

والخلاق كما قال العلماء: المقدر للخلق والأخلاق، والخلاق الذى لا يعجزه خلق شىء. وكل مافى الأرض مخلوق خلقا خاصا بقدر.

- **﴿هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا﴾** البقرة: آية ٢٩.
- **﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾** الفرقان: آية ٢٥.

وحديثى هنا مقصور على الخلق الذى تدب فيه الحياة بمظاهرها التى نعرفها من تكاثر وحركة، ونمو وغير ذلك. حديث عن خلق الكائنات الحية «Living thing»، وبما أن كل الأحياء يموتون، فالحديث إذن ينطبق على الحياة الماضية كما ينطبق على الأحياء اليوم.

والخالق لكل شىء هو الله، والوكيل على كل شىء هو الله، والبارئ المصور هو الله نجد ذلك فى قوله تعالى: **﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه﴾** الأنعام: آية ١٠٢.

- **﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾** الزمر: آية ٦٢.
- **﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله هو فأنى تؤفكون﴾** غافر: آية ٦٢.
- **﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾** الحشر: آية ٢٤.

والخالق الذى يخلق كل شىء، الحفيظ الرقيب يدبر كل ما سواه، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار، وحتى لا تتخدع وراء المضلين الذين يرون - ورؤيتهم قاصرة - أن الظروف البيئية المتغيرة تعطى صورا للكائنات القديمة التى تسلسلت من كائنات أقدم منها، يجب أن نقف على معنى **﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾** حيث يقول الإمام القرطبى: «الخالق» هنا المقدر. و«البارئ» المنشىء المخترع، و«المصور» مصور الصور ومركبها على هيئات مختلفة. فالتصوير مرتب على الخلق والبراية وتابع لهما. ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل.

والطبيعة أو ما يسمى كذبا بالاصطفاء الطبيعى لا يستبدل خلقا، ولكن الذى يستبدل الخلق هو الخالق حيث يقول تعالى:

- **﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾** فاطر: آية ١٦.

وفى الآية ردٌّ على من يزعمون أن النوع الجديد يصعد أو يصعد من نوع سابق evolved species، فلو أراد الله أن يستبدل القردة فلن تصبح إنسانا بل سيأتى بقردة مخلوقة خلقا جديدا وليست متصاعدة.. فاعتبروا ياأولى الألباب.

ولى هنا وقفة عند خلق الأزواج لعلها تثير انتباه عقول علماء الحياة (Biologists) وعلماء الأحافير (الحياة القديمة) (Paleontologists) وهو أن القرآن سبق كل علماء تصنيف الحياة فأعطى تعريفا دقيقا لمفهوم النوع. والبشر على سبيل المثال من لدن آدم وحواء إلى أن يهلك آخر إنسان على الأرض نوع واحد أساس نسله وذريته زوجان: آدم وحواء. فالزوج هنا الرجل، والزوج الآخر هى المرأة وهما زوجان ولا يتحقق فيهما التعريف الحياتى العلمى إلا إذا جاء منهما بعد الزواج خلف يشبههما، ويقدر بدوره على إنتاج أفراد أخرى، بمعنى أن الزوجين هما السلف، والنسل، بنينا وبناتا، وأحفادا هم الخلف.

والآن انظر إلى دقة اللفظ القرآنى فى قوله تعالى: **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾** النساء: آية ١.

ويرى الإمام فخر الدين الرازى أن منها لاتعنى جزءا أو أصلا، بل تعنى نوعا، ويثبت العلم الحديث اليوم وحدة الجينوم (Genome)، أى

وحدة الشفرة الوراثية فى خلايا البشر الجسدية، ثم يتطابق التعريف العلمى السابق للنوع بجلاء ووضوح مع النص القرآنى فى الآية التالية: ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾ النحل: آية ٧٢.

أليس من العبث أوالغفلة أنه فى الوقت الذى نؤمن فيه بأن الله يخلق النسل من النوع الواحد ثم ننخدع بمقولة الأنواع المرتقية بعضها من بعض «evalved species».

وبما أننا نتفق تماما بأن الأنواع أزواج، فلنعلم بأن جميع الأزواج؛ أى جميع الأنواع قديمها وحديثها مخلوقة بالأمر المباشر من الله. إن حقيقة الزوجية فى الخلق قاعدة أصلية أكد عليها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾ يس: آية ٣٦.

إذن فمن خلق الأزواج كلها؟ هو الله سبحانه.. فإذا أحصينا عدد الأنواع التى تعيش اليوم وقدرناها بعدد يتراوح ما بين ١,٥ - ٤,٥ مليون نوع، وكل نوع يحتوى عددا لا يحصى من الأفراد، بالإضافة إلى قرابة ثلاثة أرباع المليون نوع من الأحافير التى عاشت قبل الزمن الحالى، فاعلموا ياأولى الألباب أن تلك الأنواع الأخرى التى لا نعرفها أزواجا، وأنه سبحانه خلق الأزواج كلها، فلندع خرافة التصاعدية (evolution) وراء ظهورنا أو إن شئت تحت أقدامنا؛ خاصة أننا لم نشاهدها وهى تتصاعد، وليس عندنا فى السجل الجيولوجى على طول فترته الزمنية التى تقدر بآلاف الملايين دليل واحد على تحول نوع إلى نوع آخر، فهل بلغ غرامنا بنظرية يمتنع الآن أصحابها عن تدريسها غراما جعلنا نتفوق على دارون صنم الإلحاد الأكبر، فنقطع بتصاعد أو تطور «evolved species» الأنواع مع عدم وجود شواهد التحول علما بأن رأس المضلين دارون يقول فى كتابه أصل الأنواع «origin species»:

«إذا كانت الأنواع تتحدر من أنواع أخرى بتدرج بطىء محسوس، فلماذا لا نجد أشكالا من المخلوقات الانتقالية المتوسطة بين النوعين؟ لماذا لا يوجد شىء فى الطبيعة مشوشا؟ لماذا لكل نوع من الأنواع شكل ووصف محدد؟ لماذا لا نجد باستمرار على قشرة الأرض بقايا هذه الأشكال الانتقالية العديدة؟

ونجيب على مقولة دارون:

١ - لايوجد تدرج بطىء أدى إلى نوع جديد.

٢ - المخلوقات الانتقالية ليس لها وجود لأن كل نوع جديد هو خلق جديد من خلق الله.

٣ - لا يوجد شىء مشوش فى الخلق لأن الله خلق فسوى وقدر فهدى وصدق الله حيث يقول:

﴿**الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**﴾ طه: آية ٥٠.

﴿**إنا كل شىء خلقناه بقدر**﴾ القمر: آية ٤٩.

﴿**وخلق كل شىء فقدره تقديرا**﴾ الفرقان: آية ٢.

﴿**الذى خلق فسوى* والذى قدر فهدى**﴾ الأعلى: الآيتان ٢، ٣.

﴿**الذى أحسن كل شىء خلقه..**﴾ السجدة: آية ٧.

حقا هناك من يؤمن بالله عن طريق الرسل والعقل بالنظر فى ملكوت السموات والأرض، ولكن هناك للأسف من يؤمن بالتطور اتباعا للظن والهوى، والظن لا يغنى من الحق شيئا.

والعجيب أن دارون صنم الإلحاد فى العصر الحديث علم أن أفكاره تصطدم بالفطرة، فنجده يقول فى فقرة من كتابه أصل الأنواع: «إنى لا أشك بأن اعتراضات كثيرة قد خطرت ببال القارئ قبل أن يصل إلى هذا الفصل من كتابى.

٣ - حقائق عن الحياة فى القرآن الكريم

أولا: الحياة من الماء

يقرر القرآن الكريم أن كل شىء حى جعله الله من الماء وذلك فى قوله تعالى: ﴿**أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون**﴾ الأنبياء: آية ٣٠.

آية واحدة تقرر أن أساس خلق السموات والأرض رتق فتقه الله فى لحظة لا يعلم وقتها الحقيقى إلا الله، من مادة لا يعلم كنهها الحقيقى إلا الله، حقيقة لم يشهد البشر وقائعها؛ حيث أنها سبقت خلق الإنسان بآلاف الملايين من السنين، والآية تقرر حقيقة الأحياء «على شىء حى» من الماء، وتلك حقيقة يشهدها الناس جميعا ولكنهم لم ولن يمتلكوا سر الحياة، لأن سر الحياة من الخالق.

والماء فى القرآن الكريم، وأقصد ماء الحياة، منزل من السماء وهو طهور، عذب، فرات، منزل من السماء بقدر وأسكنه رب العالمين فى الأرض، وإن شاء جعله ملحا أجاجا، وإن شاء جعله غورا، وبالماء تحيا الأرض فتخرج الزرع.

ثم يخص الحياة الحيوانية مؤكدا أنها من الماء حيث يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شىء قدير﴾** النور: آية ٤٥.

وأريد أن أنبه من آمن بالله ربا وبالإسلام دينا أن الدواب سواء من البرمائيات أو الزواحف أو الطيور أو الثدييات خلق من الله «**يخلق ما يشاء**» وليست تسلسلا من بعضها البعض بمعنى أن البرمائيات على الأرض أولا، فالزواحف، فالطيور، فالثدييات لا يبرر إطلاقا مبدأ التصاعدية فى الخلق وأقصد بالتصاعدية تسلسل بعضها من بعض لأن حلقات التصاعد غير موجودة على الإطلاق، لا فى عالم الحياة ولا فى عالم الأحياء الحديثة.

كما أن الآية قاطعة بأن خلق كل كائن مستقل بذاته **﴿يخلق ما يشاء ويختار﴾**.

والمتتبع لفعل «**يخلق**» فى القرآن بصيغة المضارع الذى يفيد الاستمرار فى الخلق يخرج بنتيجة مؤداها أن الله هو الذى يخلق وغيره لا يخلق، نجد ذلك فى كل الآيات والتى منها على سبيل المثال:

- **﴿يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير﴾** المائدة: آية ١٧.
- **﴿أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾** الأعراف: آية ١٩١.
- **﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾** النحل: آية ٨٠.
- **﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾** النحل: آية ١٧.
- **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾** القصص: آية ٦٨.
- **﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء..﴾** الشورى: آية ٤٩.
- **﴿يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث﴾** الزمر: آية ٦.

ولاعذر لمن يردد مقولة تطور الأنواع بعضها من بعض بعد أن يتدبر «**ما يشاء**» و«**مالا تعلمون**». سبحانه وتعالى له الخلق والأمر، خلق، ويخلق، وخالق، وخلاق.

دعونا من تصاعد الأنواع بعضها من بعض، ثم الادعاء بالقول بأن التسلسل من نوع من الكائنات إلى نوع آخر إنما يتم على عين الله، لكى يلبسون نظرية دارون لباس الدين وهم غافلون، فالله سبحانه «**كل يوم هو فى شأن**» وقيوم السماء والأرض يخلق فى كل لحظة من اللحظات على طول الزمن خلقا متجددا، ويهلك فى كل لحظة من اللحظات خلقا كان قائما. والحقيقة التى أصدع بها أنى أبغض كلمة «evolution»، ويزداد بغضى لها إذا أضيف إليها كلمة نظرية، لتصبح نظرية التطور (Theory of Evolution) لصاحبها دارون، لأنى أعرف معناها الحقيقى فى كتب أصحابها: بأنها انتقال النوع إلى نوع آخر عبر سلسلة من الأجيال. وبالتالى وفقا للمصطلح، فلا حاجة للخالق أن يمارس الخلق إلا المرة الأولى، وحاشا للخلاق العظيم الذى هو كل يوم فى شأن أن يكون كذلك.

هموم الأمة الإسلامية

تأليف: أ. د. محمود حمدى زقزوق

عرض وتحليل: كمال عبدالوهاب

كانت منازلُنا فى العزِّ شامخة
لا تَشْرُقُ الشمس إلا فى مغانينا
فلم نزل وصُرُوف الدهر ترمُقنا
شرراً وتخدعنا الدنيا وتُلْهينا
حتى غدَوْنَا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ
ولا صديقٌ ولا خلٌ يُواسينا(١)

سحابات قاتمة ظهرت فى سماء أمتنا العربية والإسلامية، أخذت - منذ فترة - تتجمع وتتكاثر، حتى صار الأفق ملبدا بغيومٍ كثيفة من الإخفاقات والانكسارات التى خيمت على سائر البلاد والعباد حزنا وكآبة!

إن الحديث عن «الهموم» - هنا - ليس نكأ للجراح تعذيبا للذات أو إيلاما لها! وليس - أيضا - بكاءً على الأطلال ونواحا عليها! وليس - كذلك - تسريةً ينفس بها الإنسان عما يضيق به صدره وينقبض!

إن الحديث عن «الهموم» - هنا - أبعد من ذلك.. وأعمق:

- هو - أولا - إحساسٌ ناضج لما تنطوى عليه هذه الهموم وتجثم!
- وهو - ثانيا - إدراك واعٍ بضرورة الأخذ بالأسباب لرفع الغم وكشف الهم!
- وهو - أخيرا - رؤية ثاقبة تخترق هذه الحجب الداكنة وتفتح للنور منفذا!

إن المسلم الواعى يعيش - الآن وبعد فوات الكثير وضياعه - حالة من «اليقظة المتأخرة»، وهى - مع الأسف - حالة تجعل الإنسان يدرك من حقائق الواقع وتوقعات المستقبل ما يبعث على الأسى ويثير الشجن!.. وهو موقف يلقى على كاهله - بالطبع - «هموما» ثقالا يظل يئن تحت وطأتها، فضلا عن أنها تلازمه نهارا وتطارده ليلا مؤرقة ومقلقة، بل وكابوسا مزعجا أو مفزعا!

(١) من قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم.

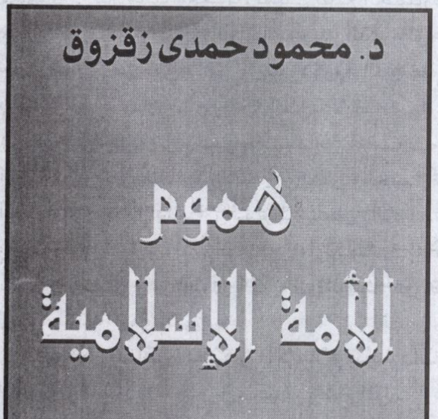

والكتاب الذى نعرض له يقع فى ٢٤٣ صفحة من القطع المتوسط - إصدار دار الرشاد - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ويجدر بنا أن ننبه - بداية - إلى أن الكتاب عبارة عن ثلاثة أبواب رئيسية يندرج تحت كلٍ منها عدد من الفصول تحوى جميعها مضامين مهمة، إلا أننا التزاما بمساحة نشر محددة ومحدودة، واحتراما لحق القارئ ورغبته فى معرفة كل ما اشتمل عليه الكتاب.. فإننا سنغطى الكتاب كله إما بإشارات سريعة لبعض أجزائه، وإما بالتمهل - خصيصا - عند البعض الآخر تأنيا فى قراءة سطور بذاتها، وتمعنا فى دلالة عبارات بعينها!

يبدأ الباب الأول بعنوان: مفاتيح الحضارة وتحديات العصر، وينقسم إلى فصول ثلاثة:

(الأول) بعنوان: مفاتيح الحضارة فى ضوء الأمر الإلهى (اقرأ)، حيث أشار المؤلف إلى أن الله كرّم الإنسان تكريما لم يرق إليه كائن آخر، إذ بعد أن خلق الله الإنسان من طين نفخ فيه من روحه، ثم جاء التكريم الثانى بأن علّم - سبحانه - آدم الأسماء كلها قبل أن يهبط إلى الأرض، أى سلحه بالعلم لإعمار الأرض ماديا ومعنويا، بمعنى صنع الحضارة فيها، يقول الله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ - ٥.

ثم تطرق المؤلف إلى شرح عدد من المفاهيم الأساسية، وهى مفاهيم الإنسان والدين والحضارة لتتبين من خلال ذلك أن الأمر للإنسان بالقراءة، والذى تكرر مرتين يفهم بمعنيين، **أولهما:** قراءة الكتاب المسطور وهو القرآن الكريم، **وثانيهما:** قراءة الكتاب المفتوح وهو الكون.

(الفصل الثانى) بعنوان: الإسلام وتحديات القرن الحادى والعشرين، حيث أوضح المؤلف أن العالم كله أصبح مثل قرية كونية صغيرة، وعالمنا الإسلامى هو جزء من هذا العالم بلاشك، ولذلك فلابد لنا أن نستعد - حضاريا - للولوج إلى الألفية الثالثة (وهى بدأت بالفعل مع بداية ٢٠٠١)، وهذا الاستعداد له متطلبات يتحتم الوفاء بها، يوضح المؤلف عند هذا الموضع بالتحديد فى عبارة مدهشة أنقلها إلى القارئ لجدتها. يقول بالحرف: **«الأمر يتطلب - بالنسبة إلى الإنسان - ضرورة الوعى بالزمن، وهذا الوعى يتم بمعنى مزدوج: فهو وعى بحركة الزمن من ماض إلى حاضر إلى مستقبل، وأنها دائما فى صعود.. فالتاريخ يسير إلى الأمام ولا يتراجع إلى الوراء، ثم هو وعى بالتطور التاريخى، والذى يعنى نقلة حضارية تشتمل على إضافة حضارية يسجلها التاريخ. فالاستعداد لدخول القرن الحادى والعشرين يعنى - إذن - الوعى بالتاريخ، ولا يكون ذلك إلا إذا أزيلت العقبات التى تعترض طريق عودة هذا الوعى. وهذه العقبات تمثل تحديات أمام الأمم، والأمم التى تستجيب للتحدى وتتغلب عليه تحيا وتعى ما حولها. أما التى تنهزم أمام التحدى فإنها تفنى وتطوى صحيفتها فى زوايا النسيان دون أن تقوى على التحرك نحو المستقبل».**

ثم قام المؤلف بتصنيف تحديات القرن الحادى والعشرين، فذكر أنها تحديات داخلية، وأخرى خارجية. وأضاف أن الإسلام (والإشارة هنا إلى المسلمين) يجب أن يبدأ بمواجهة تحديات الداخل والتغلب عليها حتى يكون فى مقدوره مواجهة التحديات الخارجية. ثم شرع المؤلف يشرح كل نوع من هذه التحديات شرحا مسهبا.

■ التحديات الداخلية:

أ - ظاهرة الإرهاب: شهد عام ١٩٩٧م خاصة تطور هذه الظاهرة بصورة مرعبة، إذ اتجه الإرهاب إلى قتل الأبرياء والتمثيل بهم تحت شعار إسلامى، وبصيحات الله أكبر!.. الإسلام - بالطبع - والله ورسوله براء من ذلك تماما. كما أشار المؤلف إلى أن هذا الإرهاب يعوق تنفيذ خطط التنمية الشاملة للشعوب الإسلامية. كذلك ألمح إلى أن الإرهاب فى العالم الإسلامى يتلقى الدعم والتخطيط من رءوس الإرهاب فى الخارج، حيث حرية الحركة مكفولة لهؤلاء تحت مظلة الحماية المزعومة لحقوق الإنسان. ثم ذكر أن مواجهة الإرهاب يجب أن تكون مسئولية المجتمع بأسره، وليست مسئولية أجهزة الأمن فقط، مع ضرورة وضع خطة قومية عامة تحدد فيها واجبات ومهام كل جهة حكومية أو أهلية. أما ما يطلقه الإرهابيون - زورا - من شعارات إسلامية، فإنها لا يمكن أن تخدع عاقلا لأن الأديان كلها - والإسلام بصفة خاصة - ترفض العنف والقتل وتدعو إلى المحبة والسلام. يقول سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم: **﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾** المائدة: آية ٣٢.

ب - الفهم الخاطئ للإسلام: يؤكد المؤلف على أن الإسلام دينٌ «وسط» لا تطرف فيه أو غلو، بل يدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم إلا أن هناك

من يسىء إلى الإسلام، وينحرف بوسطيته ويجمح بتعاليمه بعيدا.. وفى هذا الصدد لا أجد أوضح من كلمات المؤلف ذاته.. يقول: **«إلا أن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها، وتريد أن تشده ناحية اليمين أو ناحية اليسار بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما دينا جامدا منغلقا متقوقعا لا يقوى على مسايرة الزمن، ولايرعى متغيرات الحياة، وبذلك يشدونه إلى فهمهم السقيم ويضيقون رحمة الله الواسعة. وإما أن يجعل منه فريق آخر دينا دمويا عدوانيا متعطشا لسفك الدماء. وكلا الاتجاهين لا مكان له من الحقيقة ولا يعبر إلا عن الرؤى المريضة لمن يتحدثون بها».** وفى تركيز شديد يوضح المؤلف أسلوب تصحيح هذا الفهم الخاطئ للإسلام، فيشير إلى ضرورة التخلص من هذا المرض المزدوج، وذلك عن طريق الفهم المستنير للإسلام، مع الكشف عن الوجه الحضارى لهذا الدين الذى تساير تعاليمه كل زمان ومكان، وبيان قدرته على التطور ومواجهة متغيرات الحياة.

■ التحديات الخارجية:

أ ـ الخوف من الإسلام فى الغرب: يشير المؤلف إلى أن فكرة الخوف من الإسلام قد انتشرت فى الإعلام الغربى، أو ما يطلق عليها «إسلاموفوبيا»، وقد ساعد على شيوع هذا التصور تزايد موجات العنف فى بعض البلاد الإسلامية. ويذكر المؤلف أنه من المفارقات الغربية أن الغرب نفسه بدأ يوفر الملجأ الآمن وحرية الحركة لأقطاب الإرهاب فى العالم الإسلامى، وعند هذه النقطة بالذات أرى أن أعرض على القارئ نص العبارة الصريحة المحكمة التى صيغت بصورة لا تقبل أى تدخل إيجازا أو تفصيلا. يقول المؤلف: **«وهذا التوجه الغربى يعنى عدم السماح بتطوير قدرات العالم الإسلامى العسكرية، بل وحتى الاقتصادية والعلمية رغم ما يغدقه الغرب من إمكانات هائلة على إسرائيل التى زرعها الغرب شوكة فى ظهر العرب لتعوق أى طموحات فى تطوير قدراتهم وتنمية بلادهم. ويعنى أيضا عدم السماح للعالم الإسلامى بأى نصيب من المشاركة فى رسم سياسة العالم عن طريق تمثيل العالم الإسلامى بمقعد دائم فى مجلس الأمن».** تُرى ماذا ينتظر العالم الإسلامى بعد هذه المكاشفة لكى يصحو ويفيق ويتنبه إلى أن الأمر جلل والخطب شديد؟!

ب ـ صراع الحضارات: يذكر المؤلف أن هذا الصراع ـ من وجهة نظر الغرب ـ حتمى، وهو صراع الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، والهدف فى النهاية هو ضرورة هزيمة الحضارة الإسلامية حتى تتمكن حضارة واحدة هى الحضارة الغربية بأن تكون لها اليد الطولى والسيطرة على العالم كله، ويوضح المؤلف موقف الإسلام مما يتبناه البعض فى الغرب من نظرية حتمية صراع الحضارات بأن الإسلام كدين لايرى أن ذلك أمر حتمى، لأن الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات، فهناك أيضا صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة. فضلا عن أن تعددية الحضارات واختلافها لا يجوز أن تكون مدخلا للنزاع والشقاق. فالتعددية ينبغى أن تفتح الطريق أمام التعارف وما يستتبعه من تعاون وتوحد. يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾** الحجرات: آية ١٣.

ج ـ العولمة: يوضح المؤلف أن المقصود من هذا المصطلح هو أن هناك حضارة غربية قائمة لها قيمها ومعاييرها، وعلى الجميع فى العالم أن يتواءم معها، وأن يعتنق مبادئها ونظمها، إذا أراد لنفسه مكانا، وهذا يعنى أن تسود حضارة واحدة بقيمها، ويختفى مفهوم التعددية الحضارية المتعارف عليه، ومن ثم يصبح الخضوع لنظام العولمة أمرا لا مفر منه، ويتساءل المؤلف: هل يمكن إخضاع الإسلام والمسلمين لهذا النظام حيث تختفى الحواجز الحضارية والثقافية فى العالم الجديد؟!.. يرد المؤلف موضحا أن الإسلام لا يمكن أن يذوب فى أى نظام آخر، وأن هذا لا يتناقض مع أية كيانات أخرى، لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها

الإسلام منذ قامت للإسلام دولة. كما أن الإسلام يقر فى الوقت نفسه بأن هناك قواسم مشتركة بين كل الحضارات تعد المدخل الحقيقى للتعاون بينها بديلا عن الصراع.

د ـ التطورات العلمية: يعد العلم هو المحك الحقيقى لأية نهضة تنشدها أمة من الأمم، فضلا عن أن هذا العلم ذاته لا يمكن أن يؤتى ثماره بدون وجود قاعدة علمية، التى تمثل شرطا أساسيا لأى انطلاق علمى فى أى مجال، ومرة أخرى نلتفت إلى كلمات المؤلف فى هذا الشأن.. يقول فى كلمات قلائل: **«يعد العلم بصفة عامة سلاح العصر، فمن يملك العلم يملك القوة ومن يملك القوة يستطيع أن يفرض نفسه فى عالم اليوم. أما الدول التى لا تملك العلم، فإنها تقنع بأن تكون تابعة ومستهلكة لمنتجات الآخرين»** «كلمات واضحة وضوح الشمس ليست فى حاجة إلى مزيد من الضوء».

يشير المؤلف ـ أيضا ـ إلى أن الإسلام يجعل من العلم فريضة كالصلاة والصوم والزكاة، لأن العلم هو السبيل إلى إعمار الكون الذى هو بمثابة أمر إلهى ينبغى تلبيته. يقول القرآن: **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود: آية ٦١. أى طلب منكم عمارتها. ثم يبين المؤلف أنه ليست هناك مشكلة بين الإسلام والتطورات العلمية، فضلا عن أن هذه التطورات لا يمكن أن تشكل تحديا للإسلام. إنما المشكلة فى مدى انسجام المسلمين مع تعاليم الإسلام ومدى ملاحقتهم لهذه التطورات ومشاركتهم الجادة.

(الفصل الثالث) بعنوان: الدين فى مواجهة الارهاب. ويتضمن هذا الفصل:

أ ـ دين تعمير لا تخريب: ١ ـ شعب مسالم ومتدين: امتاز شعب مصر منذ آلاف السنين بأنه يميل إلى السلام والتدين.

٢ ـ الحقوق الأساسية للإنسان: تتمثل فى حفظ: النفس والعقل والدين والمال والنسل، وأول هذه الحقوق الأساسية حق الحياة لكل إنسان، وقد كرم الله الإنسان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو معتقده.. كما كرمه فى حياته ومماته.

٣ ـ الأخوة والتعاون: أول عمل قام به النبى ﷺ بعد هجرته إلى المدينة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهناك أنواع من الأخوة: أخوة نسب، وأخوة عقيدة، وأخوة إنسانية. وكلنا ننتسب إلى أصل واحد: **«كلكم لآدم وآدم من تراب»**.

أما التعاون فقد حض الإسلام على التعاون فى الخير ونهى عن التعاون فى الشر لقوله تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** المائدة: آية ٢. وبهذا التعاون يستطيع الناس أن يبنوا السلام ويصنعوا الحضارة.

ب ـ الاستنارة الدينية والتفكير العلمى: ١ ـ الاستنارة الدينية: مصطلح يرجع أصله إلى النور الذى يبدد ظلمات الجهل وينير الطريق إلى العلم والمعرفة، وهو يعنى ضرورة إعمال العقل والتمسك به والرجوع إليه، وتمكينه من أداء دوره كاملا فى الحياة. وإذا وصفنا الاستنارة بأنها دينية، فمعنى ذلك أن نعمل العقل فى فهمنا للدين، مع التأكيد على أنه ليس هناك من تناقض بين الدين والعقل فى الإسلام ـ وعليه، فإن الاستنارة الدينية ـ إذن ـ أمر مطلوب لأنها تعنى استبعاد التفسيرات الخرافية واللاعقلية فى فهم الدين وظواهر الكون.

٢ ـ التفكير العلمى: حث الإسلام على التفكير، وذلك عن طريق الاستخدام الأمثل للعقل البشرى، بل ذهب الإسلام إلى أن جعل العقل الإنسانى مسئولية سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، يقول القرآن الكريم: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾** الإسراء: آية ٣٦. ولا يوجد تناقض بين الفهم العقلى للدين (الاستنارة الدينية) والتفكير العلمى، ولا تصادم بينهما، كما أن الدين الإسلامى كان منذ البداية مؤسسا على الجانب العلمى، كما يتضح ذلك من الآيات الأولى التى نزل بها الوحى الإلهى الأمين على رسول الله ﷺ.

ثم انتقل المؤلف إلى الباب الثانى، وهو بعنوان: دراسات فى ضوء القرآن والسنة، ويتضمن هذا الباب فصولا ثلاثة: الأول: مفهوم وحدة الأمة

الإسلامية، الثانى: القرآن الكريم وخصائص المجتمع الإسلامى، الثالث: رؤية إسلامية للمسئولية العالمية المعاصرة.

وبعدها جاء الباب الثالث، وهو بعنوان: الإسلام وتيارات الفكر الغربى، ويتضمن هذا الباب الفصول الآتية:

(الفصل الأول) بعنوان: الإسلام، والاستشراق، ويتضمن بدوره: ـ تاريخ الاستشراق وتطوره ـ مواقف المستشرقين:

- **الجوانب الإيجابية.**
- **الجوانب السلبية.**
- **موقفنا من الاستشراق.**

(الفصل الثانى) بعنوان: دور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكرى.

يشير المؤلف فى بداية هذا الفصل إلى ضرورة تحديد وتوضيح بعض المفاهيم مثل: «مؤسسات الدعوة»، و«الغزو الفكرى»، و«الدور» الذى يمكن أن تقوم به هذه المؤسسات حيال هذا الغزو.

وقد أفاض المؤلف فى شرح مفهوم مؤسسات الدعوة، إلا أنه أضاف أن أخطر هذه المؤسسات جميعا هى المؤسسات التى تتولى التربية والتثقيف ابتداء من المراحل التعليمية الأولى حتى المراحل النهائية، ويعادلها فى الخطر وسائل الإعلام، لما لها من تأثير لا يقاوم فى صياغة أفكار الناس. أما بالنسبة لمفهوم «الغزو الفكرى» فيقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالى أو الشرق الماركسى سواء تمثلت فى نظريات فلسفية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية أو تربوية أو دراسات استشراقية أو غير ذلك من نظريات تتصل بحقل الدراسات الإنسانية. ثم تطرق المؤلف إلى مخاطر الغزو الفكرى، حيث أشار إلى أن الضعف الذى يعانى منه العالم الإسلامى يكمن فى التخلف الذى تعيشه الشعوب الإسلامية، والذى يؤدى إلى محاولات الغزو الفكرى التى تستهدف السيطرة على المسلمين لاستنزاف خيراتهم. ومن هنا تحاول شتى التيارات الفكرية الوافدة أن تصفّى أدمغة المسلمين من المحتوى الحقيقى للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر.

ثم وصل المؤلف إلى دور مؤسسات الدعوة، فذكر أنه يتمثل فى: أولا: تحصين الجبهة الداخلية، وذلك عن طريق قيام مؤسسات الدعوة بتنشيط الدافع الذاتى لدى المسلمين وإبراز القيم الإسلامية المنسية، حيث يتم ذلك من خلال وضع خطة للتنمية الدينية والأخلاقية. مع مراعاة أن يبدأ هذا التحصين من مرحلة الطفولة، مع أهمية تدريس الثقافة الإسلامية فى الجامعات الإسلامية. ثانيا: المواجهة المباشرة: أى ضرورة الدراسة الواعية لشتى التيارات الفكرية، وإدراك أسسها وأهدافها ووسائلها حتى يمكن نقضها وتفنيدها وحماية المسلمين من أخطارها. وقد ذكر المؤلف عبارة فى سياق الحديث تستحق أن تنقل حرفيا.. يقول المؤلف: **«والذى يجب أن ندركه جيدا، هو أن التيارات الفكرية الغازية تستمد قوتها من ضعفنا، ووجودها نفسه فى بلادنا وبين ظهرانينا مشروط بعجز العالم الإسلامى عن معرفة ذاته»**. ثم ألمح المؤلف إلى ضرورة التحرر من عقدة «الخواجة». وبعدها عرج المؤلف إلى وضع خطوات عملية فى مواجهة هذه التيارات الوافدة، حيث تتحدد فى النقاط التالية:

١ ـ إنشاء مركز علمى للدراسات الاستشراقية.

٢ ـ إنشاء مركز علمى لدراسة التيارات المعاصرة.

٣ ـ إخراج موسوعة إسلامية عالمية (باللغة العربية وثلاث لغات أجنبية على الأقل).

٤ ـ إنشاء جهاز عالمى للدعوة الإسلامية فى الخارج.

(الفصل الثالث) بعنوان: مستقبل الإسلام فى الغرب.

لفت المؤلف الأنظار إلى أن هناك ظاهرة إسلامية جديدة فى العالم الغربى هى المد الإسلامى المتزايد والذى أصبح يقدر بالملايين. وهذه الظاهرة قد تثير الغبطة لدى المسلمين، إلا أنها يجب أن تثير القلق أيضا على مستقبل الأجيال القادمة من أبناء المسلمين هناك، حيث خطر ضياع الهوية الثقافية

والذاتية الإسلامية وتعليم الدين الإسلامى، ومشاكل التكيف مع الحضارة الغربية، والاندماج فى مجتمع مسيحى علمانى، والاغتراب المكانى والروحى، الأمر الذى جعل المسلمين فى معظم بلدان الغرب يعيشون فى ظل ظروف تتمثل فى انتزاعهم من جذورهم، وفى الإحساس بالظلم والاستغلال الاجتماعى والتفرقة فى المعاملة بطريقة خفية أو معلنة.

يقول المؤلف معبرا عن ذلك: «**أصبح الوجود الإسلامى فى الغرب يتعرض اليوم لأبشع الحملات الإعلامية وموجات الكراهية والتخويف من جانب الجماعات المتطرفة من النازيين الجدد فى ألمانيا واليمينيين المتطرفين فى فرنسا وغيرها من جماعات متطرفة فى بلاد غربية أخرى. وهى حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب، بل ضد الإسلام بوصفه دينا غير مرغوب فيه**». ويتساءل المؤلف: ولكن لماذا يتعرض الإسلام وحده من بين كل الأديان فى العالم لهذه المعاملة الظالمة؟! يجيب المؤلف نفسه بقوله: إن سوء فهم الإسلام فى الغرب هو نتيجة ترسبات قديمة ترسخت فى العقلية الغربية منذ ما قبل الحروب الصليبية.

ثم انتقل المؤلف إلى ركائز المستقبل الإسلامى فى الغرب، حيث ذكر أنه لا يجوز بحث مستقبل الإسلام فى الغرب دون النظر إلى أبعاد ثلاثة:

● **البعد الأول (المتعلق بالعالم الإسلامى)**، وهنا أجد أن العبارة التى وردت فى الكتاب - فى هذا الصدد - تستحق التسجيل.. يقول المؤلف: «**إننا نود فى البداية أن نؤكد على حقيقة ثابتة فى أن مستقبل الإسلام فى الغرب يتوقف بالدرجة الأولى على مستقبل الإسلام فى العالم الإسلامى**». ثم اقترح المؤلف سبعة اقتراحات هى باختصار: ١ - إصدار دائرة معارف إسلامية بالعربية واللغات الأجنبية. ٢ - إصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية. ٣ - إصدار موسوعة حديثة مختصرة ومبوبة باللغات الأجنبية. ٤ - إصدار ترجمة معتمدة لمعانى القرآن الكريم بعدد من اللغات الأجنبية. ٥ - مد المسلمين فى الغرب بالعلماء المستنيرين (مع التفكير فى إنشاء قناة تليفزيونية إسلامية لخدمة المسلمين فى الغرب). ٦ - إصدار سلسلة من الكتيبات باللغات الأجنبية. ٧ - مساعدة المسلمين فى الغرب على إنشاء نظام تعليمى إسلامى يبدأ من رياض الأطفال وينتهى بالجامعة.

● **البعد الثانى (المتعلق بالمسلمين فى الغرب)**: عرض المؤلف عددا من التصورات المهمة: ١ - ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية فى الدول الغربية. ٢ - ضرورة فهم العقلية الغربية. ٣ - تقديم الأسوة الحسنة سلوكا عمليا. ٤ - عقد الندوات العلمية مع العناصر الغربية المعتدلة. ٥ - إيجاد الصيغة المناسبة للحفاظ على الذاتية الإسلامية فى الغرب مع المشاركة الفعالة فى أنشطة المجتمعات الغربية. ٦ - ضرورة فهم حقائق الواقع وحسن التعامل معه.

● **البعد الثالث (المتعلق بالغرب)**: يتوقف على البعدين السابقين، وكذلك على مدى تقبل المجتمعات الغربية للوجود الإسلامى واستعداد هذا الغرب للتعامل بموضوعية مع الإسلام، ومكافحة العنصرية، وتصحيح الأخطاء فى المعلومات المدرسية عن الإسلام، فهل يتقبل الغرب الإسلام اقتناعا ويُحسن بنواياه وتوجهاته ظنا؟!

خلاصة القول كما ذكر المؤلف فى ختام مؤلفه: «**أن مفتاح حل مشكلات الوجود الإسلامى فى الغرب فى أيدى المسلمين أنفسهم، وليس فى يد غيرهم. فإذا لم نساعد أنفسنا فلن يساعدنا أحد، كما أن الله سبحانه وتعالى لن يساعدنا أيضا إلا إذا ساعدنا أنفسنا**».

أتذكر فى هذه اللحظات أبياتا من قصيدة للشاعر «الطغرائى» يواسى «معين الملك» فى نكبته:

فصبراً «معين الملك» إن عنّ حادثٌ
فعاقبةُ الصبر الجميل جميلُ
فإن الليالى إذ يزول نعيمها
تُبشر أن النائبات تزولُ
ألم تر أن الليل بعد ظلامه
عليه لإسفارِ الصباحِ دليلُ

* * *

قراءات فى تراثنا الأدبى والنقدى

أ.د/ طه مصطفى أبو كريشة

مع المتنبى فى شعر الفخر (١)

لم يحظ شعر شاعر من الشعراء المطبوعين بنصيب من شعر الفخر كما حظى شعر المتنبى، وقد أعان على الإكثار منه أمور: منها استعداد أصيل فى طبع المتنبى، ترجم عنه غروره وإعلاؤه من شأن نفسه، ومنها ما وصل إليه فى شعره من مجد حقيقى أخمل به شعراء عصره، ومنها الحرب العوان التى كانت دائرة فى الخفاء والعلن بينه وبين خصومه من الشعراء، وقد كانت تقتضيه أن يعلن عن مواهبه وخصائصه، ومنها أن حياة الشاعر كان فيها شىء من الترجمة الحقيقية لبعض ما يفتخر به من خصائص ذاتية.

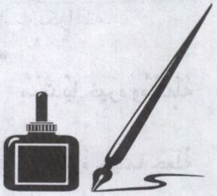

وقد نستطيع أن نوجز الجوانب التى كان يفتخر فيها فى نواح ثلاثة: ناحية ذاتية خالصة، يحاول الشاعر أن يبرز فيها ما فطرت عليه نفسه من صفات محمودة، وناحية خاصة بما تفرد به من ملكة الشعر الأصيل. ثم ناحية الحياة العامة وصراعه فيها مع أهلها، وما يقتضيه هذا الصراع من استعداد يضمن له المغامرة والنصرة على مصارعيه..

وفى كل جانب من هذه الجوانب كان الشعر أداته للإعلان عن رأيه وعن مفاخره، وكانت الصورة البيانية تأخذ مكانها فى هذا الشعر لتكشف وتبين عن هذه المفاخر..

١ - أما نفسه فيعلن عن كرم معدنها وأصالة جوهرها فى قوله:

وفى الجسم نفسٌ لا تَشيبُ بشَيْبه
ولَو أنَّ مافى الوجهِ منه حِرَابُ
لها ظُفُرٌ إنْ كَلَّ ظفرٌ أُعدُّه
ونَابٌ إذا لمْ يَبْقَ فى الفمِ نَابُ
يُغيِّرُ منى الدهرُ ما شاءَ غَيْرَها
وأبْلُغُ أقْصى العمرِ وَهْىَ كَعابُ

فالنفس شابة أبدا لا يدركها الهرم أو الوهن وإن أدرك ذلك الجسم.. وواضح كيف كان التصوير البيانى مبرزا لنا حقيقة هذه النفس، كما يريد أن يصورها صاحبها، فقد صورها فى صورة حيوان مفترس له ظفر وناب، وهذا ما يعوضه عن وهن جسده إن أدركه الكبر. وفى البيت الأخير يصف هذه النفس بأنها لا تتغير بتغير الدهر، لكنه لا يكتفى بهذا المعنى الحقيقى، وإنما يزيده تأكيدا بهذه الصورة البيانية (وأبلغ أقصى العمر وهى كعاب) فهى فى الذروة من الحسن والنضرة، لأن الفتاة تكون بهذه الصفة وهى فى أول مرحلة الشباب..

وإذا كانت نفسه بهذه الصورة من القوة، فمن حقه إذن أن ينفى عنها مظاهر الضعف:

غَنِىٌّ عن الأوطانِ لا تَستَفزُّنى
إلى بلدٍ سافرتُ عنه إيَابُ
وأصْدَى فلا أُبْدِى إلى الماءِ حاجَةً
وللشمسِ فوقَ اليَعْمُلاتِ لُعَاب
ولِلْخَوْدِ منِّى ساعةٌ ثم بيننا
فَلاَةٌ إلى غيرِ اللِّقاءِ تُجَابُ

والأبيات كلها كناية عن عدم الخضوع للحاجة، وكناية عن قوة النفس أمام المغريات فالحنين إلى الوطن لا يستفزه، والماء فى اليوم القائظ لا يغريه بالتلهف عليه، وإن بلغ به الظمأ ما بلغ، والحسناوات لا تدوم علاقته بهن مع ماهن عليه من إغراء، وإنما بينه وبينهن (فلاة إلى غير اللقاء تجاب).

وإذا كانت المغريات لا تذله، ولا يطأطئ لها

رأسه، فإن الشدائد لا توهن من عزمه، ولا تزلزل جوانب نفسه، ويعبر عن هذا المعنى بقوله:

أَمِثْلِى تأخذُ النَّكَبَاتُ منه
ويَجْزَعُ من مُلاقاةِ الحِمَام
وَلَوْ بَرَزَ الزمانُ إلَىَّ شخْصا
لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسامى
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئتَها الليالى
ولا سارَتْ وفى يدها زِمَامِى
إذا امْتَلأتْ عيونُ الخيْلِ مِنِّى
فَوَيْلٌ فى التيقُّظِ والمَنام

فهو يستكثر أن تضعضع روحه نكبات الدهر ونوائبه، كما ينفى أن يكون ممن يهاب لقاء الموت، وهذا المعنى الحقيقى يجسده فى تصوير بيانى فى البيتين الثانى والثالث، فلو تمثل الزمان بما له من جبروت شخصا يبارزه، لما استطاع أن يثبت فى الحلبة ولخَرَّ صريعا مخضبا بدمائه، وكذلك فإن ليالى هذا الزمان لا تستطيع أن تبلغ مرادها منه، ولو أوكل إليها أمر قيادته لاستعصى عليها زمامه لقوته وشدة بأسه، فمن أين يستطيع الدهر أن يغير من صفات هذه النفس الأبية القوية؟

ثم يأتى البيت الأخير ليدل به على هيبته التى تملأ قلب من يراها بالفزع والجزع، فلا يطيب له ليل ولا نهار.

وإذا كان يرى نفسه بهذه الصورة فهل يستبعد عليه أن يحيطها بهالة من التجلة والإكبار والتعظيم والإجلال، ذلك ما كان منه وقد أفصح عنه فى قوله عن نفسه:

تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظِما غيرَ نفسه
ولا قابِلاً إلا لخالقه حُكما
ولا سالِكاً إلا فؤادَ عَجَاجَة
ولا واجِدًا إلا لِمَكْرُمَةٍ طَعْما

والبيت الثانى بما فيه من تصوير بيانى يعبر به عن بعض صفات هذه النفس، فهى نفس شجاعة لا يرضيها إلا أن تكون فى قلب المعمعة، وهى نفس أبية لا تستسيغ إلا طعم المكارم.

تلك هى نفسه التى يحسها بين جنبيه، رضيت بذلك دنياه أم لم ترض، فرضاؤها عنه لا يعنيه بمقدار ما يعنيه رضاؤه هو عن منهج حياته.

كَذَا أنَا يادُنيا إذا شئت فاذهَبِى
ويانفسُ زِيدِى فى كَرَائهِها قُدُمَا
فلا عَبَرَتْ بى ساعةٌ لا تُعِزُّنِى
ولا صَحِبَتْنِى مهجةٌ تَقْبَل الظُّلْمَا

وهو حين يحمل هذه النفس مفاخرا بها، فإنما يصنع ذلك عن اقتناع بما يأتيه، ولأنه يرى أن هذا هو الطريق للحفاظ على الكرامة فى حياة لا يكرم فيها الإنسان إلا بمقدار إحساسه بكرامته.

وَلْيَفْخَرِ الفخرُ إذْ غدوتُ به
مُرْتديًا خيرَه ومُنْتَعِلَهْ
أنا الذى بَيَّنَ الإلهُ بِهِ الْ
أَقْدارَ والمرءُ حيثما جَعَلَهْ
جوهرةٌ يَفْرَحُ الكرامُ بها
وَغُصَّةٌ لا تُسيغُها السَّفِلَهْ
فلا مُبَالٍ ولا مُداجٍ ولا
وَانٍ ولا عاجزٌ تُكَلَهْ

ولقد تحول الفخر فى هذه الأبيات عن طريق التصوير البيانى إلى شىء يلبس وينتعل، فيحدث له التكريم الذى يفتخر به، لأن الشاعر قد غدا به مرتديا ومنتعلا، ثم تتوالى الإشادة بالنفس فى بقية الأبيات، وتأتى الصورة البيانية مبرزة لبعض الصفات التى يضيفها على نفسه، فهو جوهرة فى عيون الكرام من الناس الذين يعرفون أقدار ذوى الهمم، وفى الوقت نفسه فهو غصة تشرق بها حلوق أسافل الناس الذين لا يسيغون إلا من كان على شاكلتهم، وهو ليس منهم..

٢ - أما شعره الذى يعتز به أيما اعتزاز، فإنه الشعر الذى صنع له مجده الحقيقى دون ادعاء.

فمن افتخاره بشعره قوله لبعض ممدوحيه:

وما قلتُ من شعر تكادُ بُيوتُه
إذا كُتِبتْ يَبْيَضُّ من نُورِها الحِبْرُ
كأنَّ المعانى فى فصاحة لفظها
نجومُ الثريا أو خلائقُك الزُّهْرُ

فشعره الذى يفتخر به نراه هنا نورا يكاد يغير لون المداد الذى يكتب به إلى لون أبيض، وهو لا يقنع بأن هذا النور محدود بالقرطاس الذى يكتب عليه، بل إنه

يجعله فى البيت الثانى نجوما تتألق فى السماء، وتبعث الضياء فى كل مكان، وأمام كل عين ناظرة.

وتستولى على المتنبى فكرة النور الذى يشبه به شعره، أو الذى يجعله ينبعث منه، فنراه فى صورة أخرى يعبر التشبيه بالنجوم إلى التشبيه بالشمس، وذلك فى قوله:

إن هذا الشعرَ فى الشعرِ مَلَكْ

سارَ فَهْوَ الشمسُ والدنيا فَلَكْ

والتشبيه بالشمس يوحى بعدة أمور: منها أن للشعر نورا كنور الشمس، وإذا كانت ظلمة الأفلاك تمحى بهذا النور، فكذلك ظلام العقول يزول أمام وهج شعره. ومنها أن شعره فريد فى دولة الشعر، ولا يكاد يظهر معه شىء فى سمائه، كما لا يظهر مع الشمس شىء حين تعلو صفحة السماء. ومنها أن شعره سائر يردده الناس فى كل مكان مهما كان بعيدا، كما أن أشعة الشمس تصافح جو الأرض وجو السماء دون استثناء لمكان ما .. أفليس من حقه إذن وقد أحس ذلك أن يقول (إن هذا الشعر فى الشعر ملك؟).

إن هذا التنقل والانتشار الذى تضمنته هذه الصورة يصرح به فى صورة أخرى تفصح عنه مباشرة وذلك فى قوله:

وعِندى لَكَ الشُّرَّدُ السائرا

تُ لا يَختَصِصْنَ من الأرضِ دارا

قواف إذا سِرْنَ عن مِقْوَلِى

وَثَبْنَ الجبالَ وخُضْنَ البِحارا

إننا فى هذه الصورة نرى الشعر قد تحول إلى خيول ماهرة، تثب الجبال، وتخوض البحار، ولكلمتى (وثبن وخضن) دلالتهما الإيحائية فى الصورة، فالتنقل والعبور ليس بالطريق العادى مشيا أو سباحة، وإنما يكون على هيئة الوثب للجبال العالية، والخوض للبحار المتلاطمة، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق المهارة والكفاءة والقوة التى تكون لمثل هذه الخيل، وكذلك كان الأمر بالنسبة لشعره، فهو لقوته وسحر بيانه يعبر الآفاق فى أقرب وقت دون أن يعوق ذلك بحر أو جبل.

ومن صوره التى شبه فيها الشعر بالخيل قوله عن قصيدة بعثها إلى ابن العميد وعدد أبياتها أربعون بيتا:

فَبَعَثْنا بأربعين مِهارًا

كلُّ مُهْرٍ مَيْدانُه إنْشادُه

فارْتَبِطْها فإنَّ قلبًا نَماها

مَرْبَطٌ تَسْبِقُ الجِيادُ جِيادُه

ونغمة الفخر نحسها من إيثار التعبير بالمهار عن الخيول، لأن المهر هو الفرس الفَتِىّ، وإذا كان كذلك كان آثر اختيارا، وكانت الرغبة فيه أقوى من غيره، فهو ليس بالصغير الطفل، ولا بالكبير الهرم المرغوب عنه، وهذا هو ما يريد أن يرمز إليه بالنسبة لشعره من حيث اكتمال أداة الفن فيه، وبلوغه المثل الأعلى فى الجودة والإتقان.

وقد أجاز له هذا الربط بين الشعر والخيل، أن يطلق على نظمه الشعر، ونطقه به فى المحافل (تَصْهالا) والتصهال هو صوت الخيل، لكنه أطلقه على حديثه بالشعر لأنه كان يهوى الفروسية، وكان بالخيل معجبا ولها عاشقا، أما الصورة التى ورد فيها هذا الاستعمال فهى فى قوله:

وإنْ تكنْ مُحكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِى

ظُهورَ جَرْىٍ فَلِى فيهنَّ تَصْهَالُ

إن المتنبى هنا فى هذا البيت هو الجواد الذى أحكمت قيوده فاستحال عليه الجرى والانطلاق، فلم يكن أمامه إلا هذا التصهال يعلن به عن ضيقه بقيده وشوقه للحركة، وغنى عن البيان أن التصهال ليس حقيقة، كما أن الشاعر ليس بفرس، وإنما الذى معنا على الحقيقة هو الشاعر وشعره.. وسيان فى عالم الخيال أن يكون الشعر مهارا فتية، أو يكون تصهالا مدويا، إذ هو فى الحالتين صادر من منطلق واحد.

ذلك حديثنا عن فخر المتنبى بذاته وفخره بشعره.. أما حديثنا عن فخره فى الجانب الثالث وهو الحياة العامة وصراعه مع أهلها فهو موضوع حديث تالٍ إن شاء الله تعالى.

جنسية الزوجة وأولادها من أجنبى

الإحصاءات تشير إلى وجود أربعة ملايين من الأبناء أمهاتهم مصريات وآباؤهم أجانب

من حين لآخر يثير البعض مسألة جنسية المرأة المتزوجة من أجنبى وأولادها منه، واعتبرها البعض مشكلة ضخمة تحتاج إلى تدخل تشريعى لحلها، وفى إحصائية حديثة صادرة عن مصلحة الهجرة والجنسية بوزارة الداخلية المصرية تشير إلى أن حوالى أربعة ملايين من الأبناء أمهاتهم مصريات ولكن آباؤهم غير مصريين يرغبون فى الحصول على الجنسية المصرية، منهم حوالى مائتى ألف فى سن المراهقة وخمسمائة ألف دون هذه السن، ولكن النظرة المتأنية لدلالة هذه الإحصائية على ضوء التشريع المنظم للجنسية فى جمهورية مصر العربية يبرز الحجم الحقيقى لهذه المشكلة وإمكان قيام الحل المناسب لها، وهذا يقتضى بيان النقاط الآتية:

المستشار/ حسن حسن منصور

أولا: تعريف الجنسية:

الجنسية كما ورد تعريفها فى اللغة هى من الفعل الرباعى (جانس) بمعنى شاكل، فيقول: جنس (بتشديد النون) الأشياء أى شاكل بين أفرادها، والجنس بمعنى الأصل، فيقال: تجانس الشيئان إذا اتحدا فى الجنس أى الأصل، والجنسية هى الصفة التى تلحق بالشخص من جهة انتسابه لشعب أو أمة، والجنسية فى القانون هى علاقة قانونية تربط فردا معينا بدولة معينة سواء كانت جنسية أصلية أو مكتسبة.

ثانيا: طبيعة الجنسية:

والجنسية من الحقوق الشخصية البحتة أى من الحقوق اللصيقة بشخص الإنسان من لحظة ولادته إلى وقت وفاته فى الحياة الدنيا، وفى العصر الحديث بعد استقرار النظام السياسى للدولة أصبح من غير المتصور أن يكون هناك أى إنسان بلا جنسية، باعتبار أن الجنسية أحد مظاهر السيادة فى الدولة الحديثة، ومن عوامل استقرار الأسرة فى المجتمع أن يتمتع أفرادها جميعا بجنسية دولة واحدة، حتى تكون لهم جميعا المساواة فى الحقوق والواجبات داخل هذه الدولة، واختلاف الجنسية بين أفراد الأسرة الواحدة يؤدى إلى مشكلات عديدة قد تهدد كيان الأسرة بالانهيار، ومايترتب على ذلك من آثار خطيرة على الفرد والمجتمع.

ثالثا: الأساس فى منح الجنسية:

فى النظام السياسى الحديث للدولة يجب أن تكون لها السيادة الفاعلة على أرضها ومن عليها من السكان، ومن مظاهر هذه السيادة أن تكون لها جنسية تمنحها لمن تشاء من هؤلاء السكان وفقا لمعايير معينة تحقق مصالحها العليا.

وقد تبنى قانون الجنسية المصرى عدة معايير لمنح الجنسية المصرية، ومنها معيار الدم أو النسب وهو أن يكون الشخص مولودا لأب مصرى فى كل الأحوال ولأم مصرية فى بعض الحالات، ومعيار الميلاد على الأرض بشروط معينة، وأخيرا معيار الإقامة على الأرض مع توافر شروط خاصة فى الشخص.

والأساس فى منح الجنسية هو مراعاة ما يحقق المصلحة العليا للدولة، وقد أجمع شراح قانون الجنسية المصرى على أن الأساس فى منح الجنسية المصرية هو المحافظة على الأمن القومى المصرى، وذلك بضرورة توافر ما يقوم عليه الانتماء والولاء للتراب الوطنى، وهذه غاية سامية يجب أن يحرص عليها كل إنسان محب لوطنه.

إن الجنسية ليست مجرد تبعية واقعية لدولة معينة، بل هى رابطة سياسية وقانونية بين الفرد والدولة، بمقتضاها يعتبر الفرد جزءا من شعب الدولة ويتمتع بالحقوق التى تمنحها للأفراد ويلتزم بالواجبات التى تفرضها عليهم، ومن هنا كان ارتباط الجنسية بكلمة الوطنية، بحيث لا يطلق اسم مواطن تابع لدولة معينة إلا على من يحمل جنسية هذه الدولة.

إن الوطنية ليست مجرد كلمة ترددها الألسن، بل هى شعور متدفق بالانتماء لتراب الدولة التى يحمل جنسيتها، بحيث يصدق القول: «إن الجنسية عنوان الوطنية» أى: أنه لا يستحق الجنسية إلا من كان وطنيا، يكابد الصبابة فى حب الوطن، وهذا يبرر عدم منح الجنسية إلا بمعايير تحقق هذه الوطنية، ولا يكفى لمنحها أن يكون الفرد أحد العناصر التى تؤهل هذا المنح، بل يجب توافرها جميعا، وهو ما تضمنه قانون الجنسية المصرى رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٥م المعمول به حاليا فى مصر.

يجب أن يكون للدولة سياسة فاعلة فى منح الجنسية لمن تشاء ممن يقيمون على أرضها وفقا لمعايير تحقق مصالحها العليا

إن الجنسية ليست حقا مطلقا للفرد، ولكنه حق مقيد بشروط عديدة، تجعله أقرب إلى المنحة منه إلى الحق الطبيعى، وذلك بأن الدولة لا تمنح جنسيتها إلا لمن تتوافر له هذه الشروط، ويظل لها الحق فى العدول عن هذا المنح، فيمكن لها إسقاط الجنسية عن أى فرد تحصل عليها، وذلك فى الأحوال وبالأوضاع المبينة فى القانون.

رابعا: التنظيم التشريعى للجنسية:

وقد نظمت مصر حق الجنسية على أرضها منذ أواخر القرن التاسع عشر، فأصدرت أول قانون للجنسية سنة ١٨٦٩م فى ظل الدولة العثمانية، وبعد استقلال مصر عن الخلافة العثمانية أصدرت قانون الجنسية سنة ١٩٢٩م الذى أدخلت عليه التعديلات المتلاحقة حتى أصدر المشرع المصرى القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٥م بشأن الجنسية المصرية والمعمول به الآن، وعلى ضوء أحكام هذا القانون سنحاول البحث عن

حلول لبعض المشكلات المتعلقة بجنسية بعض أفراد الأسرة.

خامسا: الأب مصدر الجنسية المصرية:

قانون الجنسية سالف الذكر يضع معيارا أساسيا لكسب الجنسية المصرية الأصلية وهو معيار النسب من الأب، فتنص المادة ١/٢ من هذا القانون على أنه (يكون مصريا كل من ولد لأب مصرى) ، وطبقا لهذا النص يشترط لثبوت الجنسية المصرية للولد توافر الشرطين الآتيين:

١ ـ أن يكون الأب مصريا وقت ميلاد الولد سواء كانت الجنسية المصرية للأب أصلية أو مكتسبة، ولو كان متعدد الجنسية إلى جانب الجنسية المصرية، والعبرة فى هذا الشرط أن تثبت الجنسية للأب وقت ميلاد الابن ولو زالت عنه بعد ذلك.

المصرية التى تتزوج من أجنبى تحتفظ بجنسيتها حتى ولو كان عقد زواجها من الأجنبى باطلاً طبقاً لأحكام القانون المصرى

٢ ـ أن يثبت نسب الولد إلى أبيه قانونا طبقا للقانون المصرى وهو الشريعة الإسلامية باعتبارها القانون العام الواجب التطبيق على مسائل الأحوال الشخصية ومنها مسألة النسب، وقد حددت هذه الشريعة أدلة إثبات النسب وهى الفراش وذلك بالزواج الصحيح لقول رسول الله ﷺ: **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»** والإقرار بالبنوة من الأب، والبينة الشرعية وهى شهادة الشهود المتمثلة فى رجلين عدلين أو رجل وامرأتين عدول.

وفى هذا الصدد تثور مشكلة عملية يمكن الوقوف عليها من خلال قضاء الأحوال الشخصية، وهى المتمثلة فى إنكار الأب لنسب المولود وقت ولادته ثم تلجأ الأم للمحكمة لإثبات نسب هذا المولود لأبيه ثم تقضى محكمة الأحوال الشخصية بثبوت نسب هذا المولود إليه، ولكن هذا يكون فى تاريخ لاحق على الميلاد، فهل يحصل هذا المولود على الجنسية المصرية فى هذه الحالة؟ وحل هذه المشكلة يتطلب الانتظار حتى تفصل محكمة الأحوال الشخصية فى مدى ثبوت نسب المولود، والأمر هنا لا يخرج عن أحد فرضين هما:

الأول: أن تقضى المحكمة بثبوت نسب المولود لأبيه وبذلك يسقط إنكاره، والحكم فى هذه الحالة يكون كاشفا لواقعة النسب منذ الولادة، فيكون النسب ثابتا من وقت حدوث الولادة، أى يكون للحكم أثر رجعى فى إثبات النسب، ويكتسب الولد الجنسية المصرية من هذا الوقت.

الثانى: أن ترفض المحكمة إثبات النسب أى تأييد إنكار الأب لنسب المولود، وهنا يتعين البحث عن مصدر آخر غير الأب لاكتساب المولود للجنسية المصرية وقد يكون هذا المصدر هو الأم.

سادسا: متى تكون الأم مصدرا للجنسية؟:

إذا كان قانون الجنسية المصرى قد جعل الأصل فى اكتساب الجنسية المصرية هو الأب أيا كانت جنسية الأم ولو لم تكن مصرية، وأيا كانت الأرض التى ولد عليها المولود ولو كانت هذه الأرض غير مصرية، إلا أنه جعل الأم هى الاستثناء فى اكتساب الجنسية المصرية، وذلك فى الحالتين الآتيتين:

الأولى: تنص المادة ٢/٢ من هذا القانون على

أنه: «يكون مصريا من ولد فى مصر من أم مصرية ومن أب مجهول الجنسية أو لا جنسية له»، وطبقا لهذا النص يكتسب المولود الجنسية المصرية بالشروط الآتية:

أ ـ أن تكون الأم متمتعة بالجنسية المصرية وقت ميلاد الابن كما هو الشأن بالنسبة للأب.

ب ـ أن يتم ميلاد الولد على أرض مصر.

جـ ـ أن يكون الأب مجهول الجنسية أو عديم الجنسية وقت ميلاد الولد، ولكن إذا اكتسب هذا الأب جنسية معلومة بعد هذا الميلاد، فإن هذا لايؤثر على اكتساب الولد للجنسية المصرية.

الثانية: تنص المادة ٣/٢ من هذا القانون على أنه: «يكون مصريا من ولد فى مصر من أم مصرية ولم تثبت نسبته إلى أبيه قانونا». وطبقا لهذا النص يكتسب المولود الجنسية المصرية بالشروط السابقة، ولكن فى حالة محددة وهى أن يكون هناك ادعاء بثبوت نسب المولود لأب معين وينكره هذا الأب، وينتهى الأمر إلى تحقيق هذا الإنكار بحيث لا يثبت نسب هذا المولود للأب المدعى عليه بالبنوة، وهذا يكون بصدور حكم نهائى من محكمة الأحوال الشخصية بنفى نسب المولود عن هذا الأب.

ويرى شراح قانون الجنسية أن الحكمة من جعل الأم مصدرا استثنائيا لاكتساب الجنسية المصرية هى أن تأثير الأم على المولود ليس كما هو الشأن بالنسبة للأب، فإذا كان للأب الدور الكامل فى غرس روح الانتماء للوطن، فإن دور الأم فى هذه المهمة ينال منه ارتباط الأب بجنسية دولة أجنبية، أو أن يتم ميلاد الابن على غير الأرض المصرية، الأمر الذى لا يتحقق معه اندماج المولود فى الجماعة الوطنية بما يضعف معه الشعور بالانتماء للتراب الوطنى.

وهذه حجة قوية نرى أن لها الاعتبار الأول فى منح الجنسية الوطنية لمن يولد لأب أجنبى ولو كانت أمه مصرية.

سابعا: جنسية الزوجة:

المقصود بالزوجة هنا هى المرأة المصرية التى تتزوج من أجنبى، وأيضا المرأة الأجنبية التى تتزوج من مصرى، إذ أن كلا منهما لها جنسيتها الأصلية، وقد تكتسب جنسية أخرى فتكون مزدوجة الجنسية، وقد تفقد الجنسية الأولى إذا اكتسبت الجنسية الأخرى.

وقد أورد قانون الجنسية المصرى أحكام جنسية الزوجة كالآتى:

أ ـ طبقا للمادة ١٢ من هذا القانون المرأة المصرية التى تتزوج من أجنبى تظل محتفظة بجنسيتها المصرية، حتى ولو كان عقد زواجها من هذا الأجنبى باطلا طبقا لأحكام القانون المصرى وصحيحا طبقا لأحكام قانون بلد الزوج، ويجوز لها الحصول على جنسية بلد الزوج إذا أثبتت رغبتها فى ذلك عند الزواج أو أثناء قيام الزوجية وكان قانون هذا البلد يسمح بذلك، وفى هذه الحالة تفقد الزوجة جنسيتها المصرية مالم تعلن رغبتها لوزير الداخلية بالاحتفاظ بالجنسية المصرية خلال سنة من تاريخ حصولها على جنسية بلد الزوج.

ب ـ طبقا للمادة السابعة من هذا القانون المرأة الأجنبية التى تتزوج من مصرى لا تكتسب الجنسية المصرية بمجرد الزواج، ولكن يجب أن تعلن رغبتها لوزير الداخلية فى الحصول على هذه الجنسية أثناء قيام الزوجية، فيصدر قرارا بذلك.

جـ ـ لا يترتب على اكتساب الأجنبى الجنسية المصرية أن تكتسب زوجته لهذه الجنسية مالم تعلن رغبتها فى الحصول عليها لوزير الداخلية أثناء قيام الزوجية بينهما.

د ـ إذا اكتسبت الزوجة الأجنبية الجنسية المصرية فلا تفقدها عند انتهاء الزوجية، إلا إذا استردت جنسيتها الأجنبية أو تزوجت من أجنبى

ودخلت فى جنسية بلده.

هـ ـ إذا زالت الجنسية المصرية عن الزوج المصرى لحصوله على جنسية أجنبية فلا يترتب عليه زوال جنسية الزوجة المصرية، إلا إذا قررت رغبتها فى الحصول على جنسية الزوج واكتسبتها طبقا لقانون البلد الأجنبى.

و ـ الزوجة التى كانت مصرية وفقدت جنسيتها المصرية لأى سبب، وكل زوجة من أصل مصرى، تكتسب الجنسية المصرية بمجرد منح هذه الجنسية لزوجها أو بمجرد زواجها من مصرى، وذلك بعد إعلان رغبتها فى ذلك لوزير الداخلية.

ثامنا: جنسية أولاد المصرية من أجنبى:

إذا تزوجت المرأة مصرية الجنسية من رجل أجنبى معلوم الجنسية وأنجبا أولادا، فإن قانون الجنسية المصرى لا يمنح هؤلاء الأولاد الجنسية المصرية، لأنهم يعتبرون تابعين لجنسية الأب الأجنبى، ولم يعترف هذا القانون بالأم كمصدر للجنسية المصرية فى هذه الحالة، وقد لا تكون هناك مشكلة إذا ظلت الزوجة المصرية مقيمة مع زوجها الأجنبى بدولته خارج مصر، ولكن المشكلة تثور إذا عادت المصرية ومعها هؤلاء الأولاد وأقامت معهم على أرض مصر، فهل من حقهم فى هذه الحالة الحصول على الجنسية المصرية تبعا للأم؟ والإجابة عن هذا السؤال تقتضى التفرقة بين حالتين هما:

الأولى: أن يتم ميلاد هؤلاء الأولاد فى خارج مصر، وفى هذه الحالة لا يعترف القانون المصرى بمنحهم الجنسية المصرية، حتى ولو حضروا بعد ذلك وأقاموا بمصر مهما طالت مدة هذه الإقامة.

الثانية: أن يكون ميلاد هؤلاء الأولاد على أرض مصر، وفى هذه الحالة اعترف القانون بمنحهم الجنسية المصرية بقرار من وزير الداخلية إذا توافرت الشروط الآتية:

١ ـ أن يكون الولد قد بلغ سن الرشد، وهى حسب القانون المدنى المصرى ٢١ سنة ميلادية.

٢ ـ أن يجعل إقامته العادية فى مصر قبل بلوغ سن الرشد.

٣ ـ أن يطلب من وزير الداخلية منحه الجنسية المصرية خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد.

٤ ـ أن يتمتع بالصفات الآتية:

أ ـ أن يكون سليم العقل غير مصاب بحالة تجعله عالة على المجتمع.

ب ـ أن يكون حسن السلوك محمود السمعة ولم يسبق الحكم عليه بعقوبة جناية أو بعقوبة مقيدة للحرية فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن رد إليه اعتباره.

جـ ـ أن يكون ملما باللغة العربية.

د ـ أن تكون له وسيلة مشروعة للكسب.

تاسعا: مشكلة جنسية أولاد المصرية من أجنبى:

إذا كان قانون الجنسية المصرى لا يعترف بمنح الجنسية المصرية لأولاد المصرية من زوج أجنبى معلوم الجنسية، فإن هذا قد يمثل مشكلة لبعض هؤلاء الأولاد ولكنها ليست كبيرة بالحجم الذى يثيره البعض، لأن أصحاب هذه المشكلة لايتجاوز عددهم نصف مليون شخص طبقا لاحصائية مصلحة الجنسية والهجرة سالفة الذكر، وهذا العدد يتناقص ببلوغ بعض أفراده سن الرشد مع توافر الشروط التى تطلبها القانون لمنح الأجنبى الجنسية المصرية، وذلك بقرار من وزير الداخلية فى الأحوال الآتية:

١ ـ إذا ولد الشخص فى مصر لأب أجنبى ولكنه من أصل مصرى، بشرط أن تكون له إقامة عادية بمصر وأن يقدم طلب الجنسية المصرية لوزير الداخلية.

٢ ـ إذا وُلد الأجنبى فى مصر لأب أجنبى مولود أيضا فى مصر، بشرط أن يكون طالب

الجنسية ينتمى لغالبية السكان فى بلد لغته العربية أو دينه الإسلام، وأن يقدم الطلب لوزير الداخلية خلال سنة من تاريخ بلوغه سن الرشد.

٣ - إذا كان الأجنبى ينتمى إلى الأصل المصرى ولو لم يولد فى مصر، بشرط أن يجعل إقامته العادية بمصر، وأن يقدم طلب الجنسية لوزير الداخلية بعد خمس سنوات من هذه الإقامة.

٤ - إذا كان للأجنبى إقامة عادية فى مصر لمدة عشر سنوات متتالية على الأقل سابقة على تقديم طلب الجنسية لوزير الداخلية، وبشرط أن تتوافر الصفات المطلوبة فى الشخص المولود فى مصر من أم مصرية وأب أجنبى سالفة البيان.

٥ - طبقا للمادة الخامسة من قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ١٩٧٥م يجوز بقرار من رئيس الجمهورية منح الجنسية المصرية دون أية شروط لكل أجنبى يؤدى لمصر خدمات جليلة وأيضا لرؤساء الطوائف الدينية المصرية.

وبعد هذا لا يبقى من أصحاب مشكلة أولاد المصرية من أجنبى إلا الأولاد القصر الذين لم يبلغوا بعد سن الرشد، وحتى هؤلاء القصر لا يحرمون من الجنسية مطلقا، بل إن بعضهم يكتسب الجنسية المصرية طبقا للمادة ٢/٦ من قانون الجنسية سالف الذكر إذا اكتسب الأب الأجنبى الجنسية المصرية طالما كانت إقامتهم العادية بمصر.

ولكن العبرة فى اكتساب الحقوق ليست بعدد المستفيدين بها أو المحرومين منها، ولكن بأهلية هؤلاء لاكتسابها، والمرجع فى تحديد هذه الأهلية هو القانون المنظم لهذه الحقوق، وبصدد اكتساب الجنسية المصرية، فإن قانون الجنسية المصرى هو الذى تولى تنظيم ذلك بنصوص متكاملة لا تحتاج إلى مزيد، وهو يبتغى تحقيق مصلحة وطنية معينة، على نحو ما سلف.

عاشرا: الجنسية والمساواة بين الرجال والنساء:

من الغريب أن البعض يحاول فى هذا الصدد إقحام مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة فى مسألة كسب الجنسية، رغم الاختلاف الواضح بين هذا المبدأ وهذه المسألة وذلك من الوجوه الآتية:

أ - من المعلوم للكافة أن الجنسية هى حق مشروط للشخص ذاته، وليس لأحد غيره ولو كان أقرب الناس إليه كالوالدين، فإذا نص الدستور فى مادته ٤٠ على أن المواطنين لدى القانون سواء، وهم متساوون فى الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة، فإنه يقصد المساواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات الخاصة بهم شخصيا دون غيرهم، فمثلا مبدأ المساواة يقتضى فى مجال الجنسية أن تحصل المرأة على الجنسية بذات الكيفية والشروط التى يحصل بها الرجل عليها لأن هذا حق لكل منهما، ولكن مدى حصول الابن عليها ليس حقا لأى منهما بل هو حق خالص له، ومن ثم لا محل للقول بالمفاضلة بين الأبوين كمصدر لكسب الابن لهذا الحق.

ب - إن كل دولة لها الحرية الكاملة فى وضع الأساس الذى تراه مناسبا لظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى منح جنسيتها لأى شخص يقيم على أرضها أو تحقيق مصالحها العليا، دون إلزام عليها بقيد أو شرط معين، فضلا عن ذلك فإن المشرع عندما أخذ فى قانون الجنسية بمعيار الأبوة فى كسب الجنسية كان يضع فى اعتباره المصلحة القومية العليا للوطن، ولم يقصد التفرقة بين الرجل والمرأة فى شىء.

هذا وبالله التوفيق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عقيدة اليهود وتطبيقها

شذرات من تاريخ شعب إسرائيل وعقيدته (١)

أ.د. آمنة نصير

تمهيد:

إن التعرف على عقيدة شعب وثقافته من الأهمية بمكان، فما بالنا نحن أمام عدو لا يرعى الله ولا يخافه فى حرمات الإنسان والمكان أمثال هؤلاء الصهاينة، وإنه من قدر هذه الأمة الإسلامية والعربية من قديم الزمان أن تكون مطمعا فى موقعها وثرواتها، بجانب العداء المستحكم لعقيدتنا، فمن الصليبيين إلى التتار إلى الاستعمار الحديث من قبل تلك الدول على اختلاف لغاتهم إلى البلاء الأعظم فى هذا الوعد المشئوم من قبل من لا يملك لمن لا يستحق، لكى يتخلصوا من شرور تواجد اليهود فى أوروبا، لأنهم قوم لم يعرفوا على طول تاريخهم حسن الجوار أو المودة مع أحد، حتى مع الله سبحانه وتعالى لم يخلصوا له العبادة التى هى أصل اختيارهم، كما كانوا قتلة الأنبياء والمرسلين كما تشهد عليهم كتبهم وتاريخهم.

التعريف بألقابهم:

أ ـ اليهودية:

كلمة يهودى تنسب إلى الابن الرابع ليعقوب عليه السلام «يهوذا» وهو أحد الاثنى عشر سبطا، إلى أن زالت مملكة يهوذا حوالى ٥٨٧ قبل الميلاد، ثم تشتت اليهود فأصبحت كلمة يهودى تطلق على كل من يدين بالديانة اليهودية، سواء أكان منتسبا إلى يهوذا أو إلى غيره من الأسباط أو من الدخلاء الذين يعتنقون الديانة اليهودية، ويعرفنا صاحب كتاب «الملل والنحل» الشهرستانى باليهودية: «أنها دين انتسب إليه بنو إسرائيل فى عصر موسى من هاد الرجل أى رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: إنا هدنا إليك أى رجعنا وتضرعنا، وهم أمة موسى وكتابهم التوراة».

ب ـ العبرانية:

مفهوم كلمة عبرانى أو عبرانية، ففى الروايات المتداولة «إن العرب ينتهى نسبهم كما ينتهى العبرانيون ـ أى الإسرائيليون ـ إلى سام بن نوح(١) وإلى هذا انتسبت هذه المجموعة من الشعوب التى أطلق عليها اسم «الشعوب السامية» ويرى البعض أن يطلق عليها اسم «الشعوب العربية» بدلا من السامية ويقصد بها تلك الشعوب التى تتكلم لغات متقاربة تنتهى إلى أصل لغوى واحد وأن نسبة هذه الشعوب إلى «سام بن نوح» يعنى أنها تنتهى نسبا إليه. أما إذا نسبناها إلى مهدها الأصلى وهى الجزيرة العربية فيجب أن نقول: «الشعوب العربية» بدلا من «الشعوب السامية» ومعنى هذا أن هذه الشعوب التى أطلق عليها اسم الشعوب السامية: كالآشوريين والبابليين والفينيقيين والآراميين والكنعانيين والكلدانيين والعبريين والمصريين، ليست فى الأصل إلا من سلالة واحدة هى السلالة العربية.

من خلال مصادر التاريخ يتضح أن آباء اليهود الأوائل إبراهيم وإسحاق ويعقوب - عليهم السلام - لم يستقروا فى مكان، فلم يكن لهم موطن ثابت، أما إبراهيم عليه السلام فقد ولد فى مدينة «أور» إحدى المدن الكلدانية التى تقع فى منطقة ما بين النهرين ثم رحل مع ذويه إلى مدينة أخرى تسمى «حاران» وكانت تقع على أحد روافد نهر الفرات فى بلاد الآراميين. وبعد أن استقر بها فترة من الزمن رحل عنها مع ابن أخيه «لوط» إلى أرض كنعان المعروفة بأرض فلسطين، واستقر فى مدينة «شكيم» المسماة اليوم «نابلس» ثم لم يلبث أن رحل من هناك وضرب خيامه فى الجبل القائم بين «عامى» و«بيت ايل» فى الشمال الشرقى فى مدينة «شاليم» أى «السلام» وهى التى أصبحت بعد ذلك معروفة باسم «أورشليم» أى «مدينة السلام» ثم غادر هذا المكان وراح يتوغل ناحية الجنوب فى أرض كنعان متنقلا من موضع إلى موضع شأنه شأن البدو الذين يتنقلون باحثين عن المراعى الخصبة لمواشيهم فلا يستقرون فى مكان ولا يملكون أرضا بعينها وحين أجدبت هذه المنطقة رحل إبراهيم مع ذويه إلى مصر وكان ذلك على الأرجح فى عهد الهكسوس.

ج - إسرائيل:

هى تسمية مشتقة من الأسباط الاثنى عشر أولاد «إسرائيل» يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - أما التفسير التوراتى لإسرائيل مرجعه إلى أن «يهوه»(٢) أعطى هذا الاسم (إسرائيل) ليعقوب بعد أن تعارك معه طيلة الليل إلى أن قال له: «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله وقدرت»(٣)، وتعنى كلمة يعقوب بالعبرية «المحتال» وأصلها من «عقب» - أى المؤخرة - ومؤخرة الجسم المعنية هنا هى كعب القدم والاشتقاق يأتى عن طريق أن المحتال إنما يتتبع ضحيته بالسير خلفها يتعقبها ويقضى عليها فيسلبها مالها دون أن تنتبه، أما كلمة إسرائيل فتعنى المنتصر على الإله، وذلك لانتصار يعقوب على الإله الذى صارعه، وسمى العبريون أنفسهم بالإسرائيليين تيمنا بإسرائيل الذى هو يعقوب، وأخذوا يدعون أن الانتصار لم يكن على الله بل إلى الله غير آبهين بالتناقض الذى وقعوا فيه.

الوعد المشئوم بقيام دولة إسرائيل قام على أساس التخلص من شرور تواجدهم فى أوروبا

التعريف بأقسام العهد القديم:

تنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام:

- القسم الأول:

كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو «البانتاتيك»(٤)، وهى: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة فى نظر اليهود.

- سفر التكوين: ويقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض ومن أجل ذلك سمى سفر التكوين، إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل فى

أرض مصر، ومع تفصيل فى قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل «سام» ـ أحد أبناء نوح ـ وهو الذى انحدر منه شعب بنى إسرائيل وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط.

● **سفر الخروج:** فيعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر، وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى إسرائيل ـ ولذلك سمى سفر الخروج ـ وتاريخهم فى أثناء مرحلة «التيه» التى قضوها فى صحراء سيناء استغرقت أربعين عاما، وهى التى يشير إليها القرآن الكريم إذ يقول: **﴿قال فإنها محرمة عليهم﴾** المائدة: آية ٢٧.

● **سفر التثنية:** فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب السياسية وشئون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات.. وسمى «التثنية» لأنه يعيد ذكر التعاليم التى تلقاها موسى من ربه وأمره بتبليغها إلى بنى إسرائيل.

● **سفر اللاويين:** فلقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، و«اللاويون» هم نسل «لاوى» أو«ليفى» أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون وكان من اللاويين سدنة الهيكل والمشرفون على شئون المذبح والأضحية والقرابين والقوامون على الشريعة اليهودية،، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذى شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

● **سفر العدد:** لقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شئونهم فسمى «سفر العدد» ويحتوى على أحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات.

ـ القسم الثانى:

يسمى بالأسفار التاريخية وهى اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين وبعد استقرارهم فى فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم وهى أسفار يشوع(٥)، والقضاة(٦)، وراعوث(٧)، وصموئيل(٨)، وسفر الملوك(٩)، وسفر عزرا(١٠)، ونحميا(١١)، وإستر(١٢).

ـ القسم الثالث:

يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهى أناشيد ومواعظ معظمها دينى، وعددها خمسة أسفار، وهى سفر أيوب من بنى عيسو، وهو أخو يعقوب ـ وهو أيوب المذكور فى القرآن ـ ومزامير داود، وأمثال سليمان والجامع من كلام سليمان ونشيد الأناشيد لسليمان.

ـ القسم الرابع:

يسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرا، يعرض كل منها لتاريخ نبى من الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون، وهى أسفار أشعياء وأرميا ومراثى أرميا وحزقيال، ودانيال، ويوشع، ويوئيل، وعاموس، وعويديا، ويونس، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفينا، وحجى، وملاخى، وجميع هؤلاء الأنبياء إسرائيليون أرسلوا إلى بنى إسرائيل ما عدا «يونس».

هذا سرد سريع لأسفار العهد القديم والتى دونت بعد موت موسى بنحو خمسة أو ستة قرون.

توالت الأعمال النقدية لمصادر التوراة المختلفة فأضاف فى هذا المجال «ايشهورن» كما توصل «ألجن (١٧٩٨م)» إلى تمييز عدة مصادر للتوراة كونت مجموعة كتابات وحررت ثم وضعت فى عمل واحد. والقرآن الكريم سبق هؤلاء الناقدين من

العلماء للتوراة الذى كتب بأقلام اليهود بما تهوى أنفسهم، وليس التوراة الذى أنزله الله على موسى فيقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾** البقرة: آية ٧٩.

ويفضح القرآن فعلهم مع ما أنزل الله على موسى فيقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾** الأنعام: آية ٩١.

بعد هذه الوقفة السريعة أمام مضمون أسفار العهد القديم، والنقد الذى وجه لمصادره المختلفة وفترة تدوينه المتأخرة عن زمن موسى عليه السلام، الآن نتناول أهم قضية مما ورد فى التوراة والتى يتمسك بها اليهود وهى: الوعد والاختيار.

مفهوم الوعد:

الوعد أو العهد خلاصة مفهومه أنه عقد بين طرفين، تتضمن التزامات محددة على واحد منهما، ولكننا نجد أن ما جاء فى أسفار التوراة من عبارات العهود المختلفة بين الله وإسرائيل فى الأسفار الخمسة لموسى.. أنها أبدية ثابتة وأن الله دائما هو الذى يأخذ الاستهلال وتشمل عهود الله الآباء وتمتد إلى الأبناء فى سلسلة غير متناهية.

قصة الوعد مع إبراهيم عليه السلام(١٣):

بتصفح الأسفار الأولى، وهى الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من دعوى العهود الإلهية لإبراهيم وبنيه بامتلاك فلسطين ملكا أبديا، والقيمة الحقيقية لهذه العهود، بأن الله تعالى قطع مع إبراهيم عليه السلام عهدا أن يعطيه أرض غربته ملكا مؤبدا له ولبنيه من بعده، فلما شكا إلى الله تعالى أن ليس له وارث من صلبه وعده بنسل كثير، ثم رزق بإسماعيل من هاجر، ومن بعده إسحاق من زوجه سارة، ثم ولد له أبناء آخرون، ومضمون العهد كما جاء فى سفر التكوين الذى أشار إلى «يهوه» الذى تجلى لإبراهيم فأمره بالرحيل عن بلاده، وفى أثناء رحيله «قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

وتمضى بعد ذلك سلسلة من العهود بين الرب وبين الأنبياء إلى أن وصل العهد لإبراهيم وعلى وجه الخصوص سلالة إسحاق ويعقوب، ويعطى الرب العهد لإبراهيم ويشترط عليه أن يختصه وحده بالعبادة ولا يشرك معه أحدا، ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا: أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مافى السماء من فوق ومافى الأرض من تحت، ومافى الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب وإلهك غيور»(١٤).

انتقال العهد إلى يعقوب:

اتجه العهد بملكية الأرض إلى يعقوب وبنيه خاصة من دون شقيقه وبكر أبيه عيسو بعد أن أخذ يعقوب البركة التى أرادها اسحاق لبكره عيسو(١٥)، فنالها يعقوب بطريق الخداع لأبيه، وساهمت فى هذا الخداع زوجة إسحاق محبة ليعقوب وهى أمهما معا، جاء العهد ليعقوب فى رؤيا منامية وفيها: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التى أنت عليها أعطيها لك ولنسلك فإنى لا أهملك حتى أفى لك بكل ماوعدتك».

واضح مما جاء فى التوراة أن هذا العهد أو الوعد الذى قطعه الرب لبنى إسرائيل عهدا مشروطا ومحددا بإخلاص العبودية لله وحده لا

يشاركه فيه تمثال منحوت وإلا حاق بهم الدمار والهلاك لا محالة: «فالآن إن استمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب(١٦)، وزيادة فى التأكيد على شروط العهد وهذه الخصوصية بين الرب وشعبه المختار يحذرهم ويتوعدهم إذا هم أخلفوا شروط هذا الميثاق: «احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك»(١٧). ولم يقف الرب عند التحذير بل أشهد عليهم مخلوقاته الأخرى: «أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها، لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة(١٨). وهل أوفى شعب إسرائيل مع الرب شروط العهد الذى عاهدهم عليه؟ نصوص التوراة تؤكد أنهم لم يوفوا(١٩) بهذا العهد وأنهم عبدوا جميع المعبودات الوثنية التى عرفت فى كل مكان حلوا فيه».

الهوامش:

١ ـ كلمة السامية ومعاداتها أصبحت خطا أحمر يجيد اليهود التلاعب بها فى تخويف من يقترب منها أو ينتقدهم فى الغرب. وكأنهم هم وحدهم الساميون.

٢ ـ سفر التكوين: ١٣/١٤، وسفر الخروج ١٩/١، أبرام وهو اسم إبراهيم.

٣ ـ «يهوه» اسم من أسماء الله التى وردت فى التوراة العهد القديم.

٤ ـ سفر التكوين ٢٨/٣٢.

٥ ـ يشار إليها بكلمة تاناخ TANAKH.

٦ ـ يشوع: هو فتى موسى والقائد الحربى الذى قاد بنى إسرائيل فى الدخول إلى بلاد كنعان.

٧ ـ القضاة: هم الذين تولوا الإشراف على بنى إسرائيل بعد دخولهم أرض كنعان.

٨ ـ راعوث: جدة داود من جهة أبيه.

٩ ـ صموئيل: هو أحد أنبيائهم وآخر قضاتهم وهو الذى عين طالوت بوحى من الله ملكا على بنى إسرائيل ليتولى قيادتهم فى حروبهم ضد جالوت ملك الفينقيين وجنوده، فكتب لهم النصر بفضل شجاعة داود الذى قتل جالوت. وتولى داود الملك بعد طالوت، ثم تولى سليمان بعد أبيه،، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأحداث فى سورة البقرة الآيات ٢٤٦ ـ ٢٥١.

١٠ ـ الملوك: هم الذين تولوا الحكم بعد القضاة، وأولهم طالوت ثم داود وسليمان.

١١ ـ عزير: يرجع إليه الفضل فى إعادة طائفة من بنى إسرائيل فى القرن الخامس ق. م. من منفاهم فى بابل، وهو الذى حرر الديانة اليهودية وأعاد إليها بعض معالمها، وإليه ينسب تحرير كثير من الأسفار التى كانت قد احترقت فى أثناء الغزو البابلى، وقد تبوأ مكانة كبيرة فى نفوس بنى إسرائيل حتى لقد اعتقد فريق منهم أنه ابن الله وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾**.

١٢ ـ نحميا: يرجع إليه الفضل فى قبول ملك الفرس مساعدة عزرا فى تجديد أبنية بيت المقدس.

١٣ ـ إستر: وهى إسرائيلية كانت زوجة لأحد ملوك الفرس، وكانت سندا عظيما لقومها اليهود فى بعض المحن التى تعرضوا لها.

١٤ ـ الاب الأول لليهود من الجنس السامى، فهو ابن تارح بن ناحور بن سروج بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفشكا بن سام، نشأ قبل الميلاد بنحو ألفى عام بمدينة «أور» إحدى مدن الكلدانيين التى كانت تقع فى أرض ما بين النهرين جنوبى بابل فى المنطقة التى نسميها اليوم العراق.

١٥ ـ مسألة البكورية وأهميتها فى الفكر اليهودى استحوذت على مساحة كبيرة لديهم.

١٦ ـ خروج ٥/١٩.

١٧ ـ تثنية ٢٢/٤ ـ ٢٣.

١٨ ـ تثنية ٢٨/٤.

١٩ ـ هذا الشعب الذى لم يعرف طوال حياته معنى الوفاء بالعهد سواء مع الرب أو البشر.

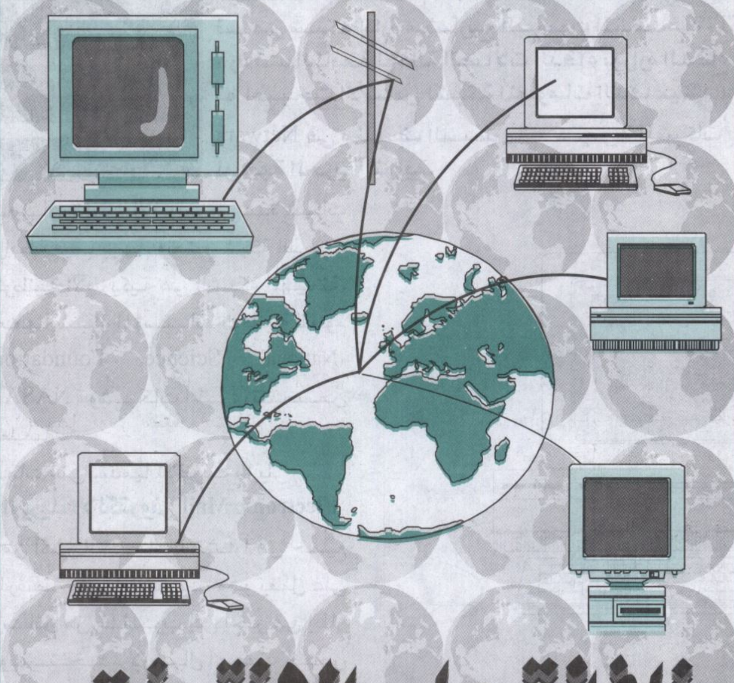

نافذة على الإنترنت

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses: Coun 11@ hotmail. com
council @ alazhr. org
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951238- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

إعداد : منى القاضي

خدمات شبكة الإنترنت

بدأت شبكة الإنترنت فى أواخر الستينيات فى الولايات المتحدة الأمريكية كمشروع تشرف عليه وكالة مشاريع البحوث العسكرية المتقدمة. فمنذ عام ١٩٦٩م، أصبحت هذه الشبكة الأولى التى تسمى شبكة إدارة مشاريع البحوث المتقدمة «ARPANET» «أربانت» التابعة لوكالة اتصالات الدفاع بوزارة الدفاع الأمريكية، ثم أصبحت الأساس لشبكة المعلومات الدفاعية Defense Data Netwark فى منتصف السبعينيات، كتجربة للشبكات بعيدة المدى لمواجهة الحرب النووية.

وفى التسعينيات تكونت الإنترنت من عدة شبكات عديدة مترابطة فيما بينها، وتعتبر شبكة البحوث والتربية الوطنية الأمريكية هى الشبكة المهيمنة، وتشترك معها شبكة المؤسسات الوطنية للعلوم «National Science Foundation» «NSF» و«ناسا» «NASA» وشبكات أخرى تتضمن مؤسسات تعليمية.

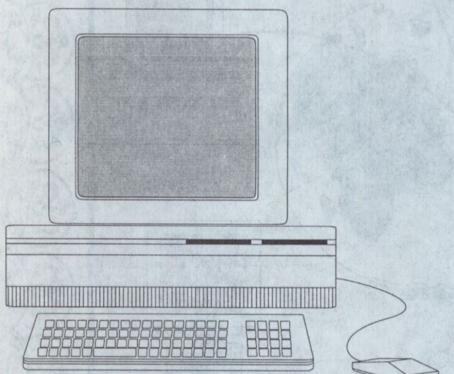

ومن الخدمات التى يقدمها الإنترنت ما يلى:

١ - خدمة البريد الإلكترونى Electronic Mail

ويعتبر من أكثر الخدمات انتشارا فى جميع الشبكات المرتبطة بشبكة الإنترنت، وهو يعمل على إرسال الرسائل من حاسوب إلى آخر فى إطار الشبكة. ويستخدم لإرسال أى ملف خاص بالحاسوب، بما فى ذلك الصور والأصوات والبرامج والأشرطة المرئية.

٢ - خدمة نقل الملفات File Transfer

وهى من الخدمات المميزة لشبكة الإنترنت حيث يمكن للباحث نقل آلاف من ملفات الحاسب على الإنترنت إلى الحاسب الخاص وتسمى هذه العملية بروتوكول نقل الملفات «FTP» «File Trandfer Protocol».

٣ - ندوات المناقشة News Groups

وتعرف بمجموعات الأخبار. وتتم عبر هذه الندوات تغطية الموضوعات التى تهم المستفيدين.

٤ - شبكة الإخباريات USENET NEWS

وهى تستخدم فى نقل أخبار الشبكة، والتى تعمل على تنسيق وتوزيع واسترجاع، والاستعلام عن المقالات الإخبارية، وهذا ما تنتج عنه المجموعات الإخبارية News Groups وتعتبر هذه الشبكة أكثر استخدامات الإنترنت شيوعا.

٥ - الاتصال عن بعد Telnet

تسهل هذه الخدمات للمستفيد الاتصال بكمبيوتر فى أى مكان فى العالم وإدخال كلمة السر User Password الخاصة بالنظام الذى يريد الدخول إليه.

٦ - تصفح المعلومات Browsing Information

تسهل هذه الخدمة العثور على المعلومات التى يحتاجها مستفيد ما ومخزنة على حواسيب نائية. وتسهل له التعرف على مواصفات هذه المعلومات قبل الحصول على نسخ منها وتوفر للمستفيد عرض المعلومات المتاحة واسترجاع أو طباعة نسخ مما يتم اختياره من معلومات.

المخاطر الصحية لاستخدام الكمبيوتر والإنترنت

لوحظ تزايد أعداد المرضى من الشباب المترددين على عيادات أطباء العظام ومراكز العلاج الطبيعى فى جميع أنحاء العالم.

ولقد دلت الإحصاءات الأخيرة على أن معظم هؤلاء المرضى من مستخدمى الحاسب الآلى والإنترنت لمدة تزيد على ساعتين يوميا.

ومن أخطر الآثار المترتبة على استخدام الحاسب والإنترنت:

أولا: آثار بدنية ونفسية قصيرة المدى، وتشمل توتر وإجهاد عضلات العين. وتبدأ بالشعور بالحرقان فى العين، والقلق النفسى، وضعف التركيز.

ثانيا: آثار بدنية ونفسية بعيدة المدى ومنها آلام العضلات والمفاصل والعمود الفقرى. ومثال ذلك آلام الرقبة وأسفل الظهر وآلام الرسغ، وزيادة الوزن نتيجة عدم الحركة.

ثالثا: هناك مخاطر إشعاعية صادرة عن الأجهزة، فضلا عن التأثير الضار للمجالات المغناطيسية الناتجة عن الدوائر الكهربائية والإلكترونية.

وينصح الأطباء بعدم إجهاد العين وذلك بالنظر إلى صورة أو منظر بعيد لتأخذ العين قسطا من الراحة وليكن كل نصف ساعة أو ساعة من النظر إلى شاشة الكومبيوتر.

مدرسة فرنسية لتعليم القرصنة عبر الإنترنت

افتتحت فى باريس أول مدرسة من نوعها فى العالم، وتسمى مدرسة «هاكاديمى» التى اشتق النصف الأول من اسمها من كلمة هكر، والجزء الثانى يعنى أكاديمية. ويحتشد الطلبة فى المدرسة الجديدة لتعلم فنون القرصنة والتسلل عبر الإنترنت.

يقول بعض الطلبة الملتحقين بالمدرسة أنهم أقدموا على الالتحاق بها، لتعلم كيفية حماية مواقعهم من المخربين الآخرين، مشيرين إلى أن الإنترنت هى أفضل مثال على الحرية، لكنها قد تتحول أيضا إلى كابوس مزعج.

فى المدرسة أكثر من قسم، فهناك المستجدون. أما المستوى الأعلى فيطلق عليه اسم صف المتوحشين والأعلى يطلق عليه صف الغزاة.

ويدفع الطالب رسوما دراسية بما يعادل ٤٥ جنيها استرلينيا للدورة. على أمل أن تتحسن مهارات القرصنة عنده بانتهاء الدورة.

شرطة باريس تراقب المدرسة باهتمام، لكنها لم تتخذ أى خطوات لإغلاقها بعد. وربما تتمحور القضية حول ماسيفعله الطلبة بالمعارف التى سيحصلون عليها هنا. وهو سؤال لا يمكن لأحد الإجابة عليه.

معلومة غير معلومة

معنى كلمة (WWW)

هى اختصار لكلمة (World Wide Wed) وهى تطلق على نظام عالمى يستخدم لتسهيل عملية الحصول على معلومات من شبكة الإنترنت، وفى هذا النظام تستطيع الحاسبات المتصلة بالشبكة من خلال استخدام بروتوكول خاص للربط بين صفحات الشبكة يسمى HTTP اختصار لكلمة: Hyper Text Transport protocol.

من الانتقال بين الصفحات بمجرد الضغط على الكلمة أو الصورة المربوطة بصفحة أو موقع آخر على الشبكة وتسمى Hyper link وجميع عناوين المواقع الموجودة على شبكة الإنترنت تبدأ بـ(WWW) بل إنه أصبح جزءا أساسيا من عنوان أى موقع حتى إنك تستطيع كتابة العنوان دون كتابة هذا الجزء، حيث تقوم معظم برامج تصفح الإنترنت بإضافته أتوماتيكيا للعنوان الذى تكتبه دون الحاجة إلى كتابة كلمة WWW.

الطريق إلى أول بيت وضع للناس

رؤية حضارية متجددة لطرق جديدة تطرحها ندوة: «طرق الحج»

الجلسة الافتتاحية للندوة

متابعة وإعداد
مصطفى إبراهيم خيان

إذا كان الحج طريق السالكين إلى الله على دروب الروحانيات والحب الإلهى، فللحج طرقه ودروبه التى يسلكها الحاج ليبلغ غايته ويحقق مراده فى القرب من الله غير عابئ بطريق الأشواك الوعر، فقد مهدته أشواق الحب الإلهى وأنارته مصابيح الهداية، فهان الطريق على من عزف عن الدنيا وعانق أشواق الآخرة.

ومنذ قديم الزمن كانت طرق الحج مؤسسات إسلامية موصولة إلى البيت الحرام تلتقى فيها الأفئدة وتتواصل خلالها الحضارات والثقافات.

وفى هذا الخصوص عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة الدعوة الإسلامية ندوة دولية عن «طرق الحج» خلال الفترة من ٢٥ - ٢٧ يونيو الماضى، بالتعاون مع اللجنة الوطنية لليونسكو شاركت فيها نخبة متميزة من أعلام الفكر والثقافة والخبراء والباحثين من عدد من الدول العربية والمنظمات الإسلامية.. انطلاقا من الأهمية الكبرى التى تمثلها طرق الحج فى توطيد العلاقات بين دول العالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه.

الجلسة الافتتاحية جسدت بجلاء الأهمية البالغة التى تمثلها طرق الحج فى توطيد أواصر العلاقات بين أرجاء العالم الإسلامى فى شتى المجالات، كما رسمت صورة صادقة لما تحويه الأبحاث المقدمة من فكر متجدد ورؤى حديثة لموضوع قديم كان حديث أصحاب الفكر والرأى فيما مضى.

التصدى لحملات التشكيك

وفى كلمته - التى ألقاها نيابة عنه عادل شعبان - رئيس قطاع العلاقات الثقافية والبعثات بوزارة التعليم العالى - أكد الدكتور مفيد شهاب - وزير التعليم العالى ورئيس اللجنة الوطنية لليونسكو - أن عالمنا الإسلامى مع مشارف الألفية الجديدة يواجه تحديات كبيرة وتكتلات عالمية من مختلف القوى السياسية والاقتصادية والعسكرية، إلا أننا مازلنا نقف بعيدا عن هذه التحديات والظروف الدولية التى يمر بها العالم هذه الأيام بما فيها من توترات ومعاداة للمسلمين والإسلام.

ولهذا يتعين علينا فى خضم هذه الظروف أن نبذل قصارى جهدنا لتوضيح طبيعة ديننا الحنيف وما يتسم به الإسلام من أخلاق وتسامح، وأن نتصدى لحملات التشكيك الموجهة ضد حضارتنا وذلك من خلال إبراز الجوانب المشرقة للحضارة العربية الإسلامية وما قدمته من إسهامات للحضارة الكونية، وكذلك من خلال فتح باب للحوار أرحب وأوسع مع الآخر.

روابط أزلية

وأشار الوزير إلى أن الروابط التاريخية والأثرية هى روابط أزلية وهى حقيقة فى الدين الواحد واللغة الواحدة والحضارة الواحدة؛ فأرض العرب هى أرض الأجيال فكان منها الرسل أئمة للهدى يستقبلون رسالات السماء وينشرون دعوة الله وتعاليمه التى نزلت إلى أهل الأرض جميعا لتنير لهم الطريق دون فرق بين عرقيات أو جنسيات أو لغات. على أيديهم انطلقت رسالات السماء لتبنى حضارات إنسانية جديدة لتنشر السلام والتآخى بين الشعوب.

د. مفيد شهاب: فوق هذه الأرض الطيبة انطلقت رسالات السماء لتنير الطريق لكل البشر

وقال الدكتور شهاب: إنه فى عالم يتزايد فيه الاتصال لابد من إبراز أوجه التنوع للثقافات المختلفة التى تشكل ثراء إنسانيا ويتطلب ذلك منا عملا يوميا وجرأة ومثابرة، وأن يكون مبنيا على أسس متينة من الندية والاحترام المتبادل.

استخلاص دروس التاريخ

وقال الدكتور عبدالحميد الهرامة - ممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -: إننا لا نقرأ التاريخ لنهرب من الحاضر ولا نلجأ إلى

د. عبدالحميد الهرامة: قراءة التاريخ ليست للهروب من الحاضر إلى أحلام الماضى ولكن لنمد بزاده رصيد تجاربنا ونخطط بنتائجه آفاق مستقبلنا

إحدى قوافل الحجاج سنة ١٣٠٥هـ

أخباره لنعيش فى أحلام الماضى البعيد ولا ندرسه لنستقيم فى مراجعة أمجاده عن صناعة مستقبلنا وإنما نقرأه لنأخذ منه العبر والدروس نمد بزاده رصيد تجاربنا ونخطط بنتائجه لآفاق مستقبلنا.

ومن يدرس وثائق التاريخ يجد غنى واسعا لمادة طرق الحج وآثاره التاريخية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية.. يجدها فى الرحلات الحجازية وفى الوثائق ذات الموضوعات المختلفة وفى التاريخ العام وفى كتب التراث والطبقات وكتب الفقه، ويجده كذلك فى كتب المسالك والممالك والجغرافيا والتاريخ الخاص بالمدن والخطط والمعالم والمساجد والمدارس والزوايا التى كان لها حضور فى طرق الحجاج ولهم فيها ذكريات وعليها ملاحظات.

لقد نقل الحجاج فى طريقهم العلم وبنوا المساجد والمدارس والزوايا وأخذوا عن الشيوخ وتصدوا لحلقات الدرس وتصاهروا مع من التقوا بهم وتعاملوا بالتجارة وشهدوا أحداثا ووقائع مهمة فى طريقهم وسجلوها فى الكتب ونقلوها على رواحلهم زاد مسافر وتحفة قادم ورحلة حج، ونتج عن ذلك من العلاقات والرحلات تراث جدير بالاهتمام.

الدور الحضارى لرحلات الحج

وأشار ممثل المنظمة إلى أنه نظرا لأهمية مشروع طرق الحج فقد وضعت المنظمة هذا المشروع ضمن برامج خطتها الثلاثية ٢٠٠١ - ٢٠٠٣م وهو برنامج يسعى إلى تحقيق أهداف أهمها:

- إبراز الآثار التى خلفتها طرق الحج فى المجتمعات الإسلامية بجوانبها المختلفة.
- الكشف عن معلومات ووثائق تسهم فى الكشف عن تطور العلاقات الإسلامية من خلال هذه الطرق.
- إبراز الدور الحضارى لرحلات الحج فى التواصل الإنسانى.

تعزيز الجهود الدراسية

وأكد مجد الدين عوض - ممثل منظمة الدعوة الإسلامية بالقاهرة - أن عقد مثل هذه الندوة يساهم فى تعزيز الجهود الدراسية فى مجال طرق الحج وتأثيراتها الاجتماعية والاقتصادية وثمة أمر يتعلق بدور الحج عند قراءة كتب الرحلات العربية الإسلامية وأصناف وأنواع هذه الرحلات المهمة التى تكاد تنسى أو استكمال المعرفة أو تنقيحها أو مجالسة العلماء أو الأخذ بالرحلات العلمية عبر مرور الحجاج بدور العلم أو قد تكون الرحلات متصلة بالحياة الروحية ولعلها تكون مزيجا من هذا كله.

دور الإسلام الحضارى

وأشادت السيدة ميرفت عمر - الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة - بالإسهامات المتميزة للعلماء والباحثين من خلال أبحاثهم المقدمة عن طرق الحج التى تساهم فى ازدهار العلاقات الإنسانية، وتبرز دور الإسلام الحضارى فى إعلاء القيم والمثل النبيلة.

وأضافت الأمين العام للجنة: إن العالم الإسلامى يعد بوتقة انصهرت فيها المعارف والعلوم الإغريقية والروحانية القديمة والنابعة من بلاد الفرس، بل ظل العالم الإسلامى منبعا للإبداع والتجديد على مدى عصور طويلة.

وقالت إنه من يمن الطالع أن هذه الندوة استطاعت أن تستجمع نخبة من العلماء المتميزين لإلقاء المزيد من الضوء حول موضوع له أثر كبير فى تشكيل وجدان الشخصية الإسلامية، وترسيخ قيم الديانات السماوية التى ازدهرت على هذه الأرض الطيبة.

الانتشار السريع للإسلام

وقد اشتملت الندوة على محاور أربعة:

المحور الأول: تناول الجانب الحضارى والثقافى والاجتماعى لطرق الحج حيث تحدث فيه الدكتور محمود على مكى - أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة - عن أثر الحج فى الثقافة الأندلسية وأوضح أنه خلال النصف الأول من القرن الثانى الهجرى وهى الفترة التى توافق حكم الولاة والتابعين لخلافة بنى أمية لم تكن الظروف مهيئة لكى يقوم أهل الأندلس بأداء فريضة الحج وذلك لاشتغال فاتحى هذه البلاد بمهام الاستقرار فى أنحاء شبه الجزيرة وبسبب ما نشب من فتن وحروب أهلية، على الرغم من الانتشار السريع للإسلام، ولكن مع حكم عبد الرحمن بن معاوية واستقرار الحكم الأموى تهيأ لمسلمى الأندلس أن يؤدوا فريضة الحج باعتبارها ركنا أساسيا من أركان الإسلام.

وقد سلك الحجاج الأندلسيون - كما يضيف الدكتور مكى - طرقا شتى، منها البحرى ومنها البرى ومنها ما يجمع بين الطريقين، وكانت تلك الطرق آمنة إلى حد بعيد خلال القرون الأربعة الأولى من حياة الأندلس المسلمة، وكان الفضل لقادة الفتح الإسلامى فى معرفة الأندلسيين للطريق البحرى وذلك بفضل السفن التى اجتاز بها طارق بن زياد وموسى بن نصير مضيق جبل طارق من مرسى سبتة فى أقصى شمال المغرب.

بحيرة إسلامية

وقد ظل البحر المتوسط بحيرة إسلامية تمخره

ميرفت عمر: العالم الإسلامى هو البوتقة التى انصهرت فيها كافة المعارف والعلوم القديمة

مراكب المسلمين من مرافئ الأندلس والمغرب إلى المشرق حتى قرب نهاية القرن الخامس الهجرى ولكن الأحوال بدأت فى التغير خلال هذا القرن بعد أن شرعت موازين القوى فى الاختلال. ولم يعد البحر المتوسط آمنا لرحلات الحجاج من المغرب والأندلس إلى البقاع المقدسة؛ الأمر الذى جعل الكثيرين منهم يؤثرون الطريق البرى على الرغم من بطء الرحلات عبره.

قافلة من الحجاج تغادر جدة ١٩١٩م

حكم التوقيت القمرى

وأشار الدكتور عبدالهادى التازى - المفكر المغربى المعروف - إلى حقيقة باهرة ذات مغزى عميق وتنم عن حكمة بالغة أرادها الله فى فريضة الحج لبيت الله الحرام فقد جعل أداء الفريضة تبعا للشهور القمرية وليست طبقا للتوقيت الشمسى فقد ترك ذلك لنا ثروة هائلة فى وصف رحلات الحج التى يتغير فيها الطقس من عام إلى آخر، وذلك أن موسم الحج قد يأتى صيفا أو ربيعا أو يأتى فى الشتاء أو فى الخريف، وبالتالى تتنوع الكتابات والأبحاث تبعا لتنوع الطقس واختلافاته.

وأكد الدكتور التازى أن الجوانب الحضارية لطرق الحج لا يمكن للمرء أن يحصيها فهى طرق تحمل الكثير من المعارف والمعلومات وتحتاج من جميع الباحثين أن يدلوا بدلوهم لتسليط المزيد من الضوء حول هذا الموضوع الحيوى الذى يرتبط بحضارة المسلمين وبعقيدتهم.

مؤسسة الحج الإسلامية

وتحدث عمار جحيدر - من مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - عن قناة التواصل الثقافى بين ليبيا والمغرب. مطالبا بأن نطلق لفظ مؤسسة على رحلة الحج حيث إنها - كما يقول - هى القناة الوحدوية الأولى التى غالبت كل ضروب التفتت السياسى والاختلاف المذهبى، والتباين الاجتماعى واللغوى فى تاريخ الإسلام عبر العصور، وظلت تؤدى دورها الفعال بانتظام سنوى مطرد تجمع الشتات وتعمق التواصل وتغذى ثراء التنوع الثقافى بين مختلف البيئات.

أدبيات الحج

وأضاف الباحث الليبى: إن هذه المؤسسة الإسلامية قد أفرزت تقاليدها الإجرائية وأدبياتها الغزيرة المحررة فى الرحلات الحجازية أو الحاجية وغيرها من الوثائق الثقافية كما كان لرحلة الحج آثارها أو أبعادها الاجتماعية والاقتصادية الظاهرة على المجتمعات الإسلامية لاتصالها بمختلف الشرائح الاجتماعية التى تحتوى عليها

د. محمود مكى: قادة الفتح الإسلامى فتحوا الطريق أمام رحلات الأندلسيين البحرية

جماعات الحجيج، وفى مقدمة هذه الآثار يأتى البعد الثقافى فى المقام الأول من جانبها التاريخى.

وأشار الباحث إلى أن هناك طريقين كانا يمران بليبيا أو فجين للحج أحدهما شمالى مارا بالساحل والآخر جنوبى مارا بفزان، وقد نحتت رحلات الحجيج آثارها على الوجدان الشعبى فظلت طريق الحج تعرف باسم «الحاجية» حتى اليوم كما كانت مدينة طرابلس نقطة التقاء ومحطة رئيسية فى طريق الحجيج بين الأقصى ومصر تستريح بها القوافل حينا وتشد الرحال من جديد لمواصلة المسير.

توثيق التاريخ

المحور الثانى: الجانب التاريخى والجغرافى

وفيه قدم على محمد عثمان العراقى - من جامعة وادى النيل - مشروع طريق الحج الإفريقى من تمبكتو إلى سواكن من أجل تحقيق عدد من الأهداف الاستراتيجية أهمها (كما يؤكد):

- تعزيز التعاون الثقافى وتشجيع الحوار بين الحضارات وابتداع أشكال جديدة من الثقافات تؤدى إلى تحسين التفاهم والتعايش بين شعوب الإقليم.
- تقديم نماذج عملية لوحدة شعوب المنطقة المرتكزة على الإرث الثقافى.
- توثيق تاريخ وتراث الإقليم برؤية حضارية وتوحيدية والبناء على خبرة الشعوب فى التواصل.
- ربط المؤسسات العاملة فى النشاط السياحى والثقافى بدول الإقليم عبر مشروعات تنموية.

وأكد العراقى أن طرق الحج من الحزام السودانى للأراضى المقدسة قد أفرزت واقعا توحيديا ووحدويا على المستوى الديموغرافى، وكذلك على المستوى الثقافى والاجتماعى بتقارب ثقافات كالزى والتعليم، وطالب الباحث السودانى بضرورة إعادة دراسة طرق الحج فى سياق وحدوى ومحاولة استدعائه لتمثله كمشروع طريق ثقافى تقدمه للعالم فى إطار حوار الحضارات وإبراز الآثار الإيجابية التى أحدثها الإسلام فى هذه الشعوب.

تفرد الإسلام

وفى دراسة جغرافية للدكتور أحمد على إسماعيل - أستاذ الجغرافيا بجامعة القاهرة - أكد على تفرد الإسلام فى شعائر الحج فلا يوجد فى الديانات الكتابية أو التقليدية ما يقترب من شعائر الحج فى الإسلام، فإذا كان تعبير الحج يستخدم فى المسيحية أحيانا فى زيارة القدس أو بعض دور العبادة عندهم فإن تلك مجرد زيارات من ناحية وليس لها أصل فى المسيحية من ناحية أخرى. كما أنه ليس فى اليهودية حج وينطبق ذلك على الديانات الوضعية حيث لا صلة بين ما يمكن أن يعبر عنه فيها بالحج وبين الحج كأحد أركان الإسلام.

تسعة قرون من التواصل الحضارى

أما المحور الثالث فقد تناول الجانب الاقتصادى.

وقد تعرض فيه الدكتور عطية القوصى - أستاذ التاريخ الإسلامى - «لطريق الحج المصرى على البحر الأحمر فى العصور الوسطى» حيث أبرز الآثار التى خلفها هذا الطريق فى المجتمعات الإسلامية فى العصور الوسطى فى الجوانب

المختلفة، كما أظهر الدور الحضارى الذى لعبه فى التواصل الإنسانى خلال تسعة قرون من عمر الفترة الزمنية التى تعرف فى التاريخ بفترة العصور الوسطى الإسلامية وهى الفتر التى ربطت التاريخين القديم والحديث، من خلال المدينتين اللتين تقعان على طرفى الطريق وهما «عيذاب وجدة».

المحور الرابع : الوثائق المرجعية المؤكدة للتقارب والحوار والتعايش والسلام:

وتناول الدكتور عبدالرحمن عطية من خلال هذا المحور الغايات والوسائل مشيرا إلى أن أقدم ما أُلف حول مسالك طرق الحج كتاب «المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة العربية» لإبراهيم بن اسحاق الحربى وفيه سرد جغرافى يشير إلى الطرق المؤدية إلى مناسك الحج من الأماكن المجاورة لها.

د. عبدالهادى التازى: الجوانب الحضارية لطرق الحج تفوق كل حصر

منافع الحج

وقال الدكتور عبدالرحمن عطية إلى أن المنافع التى جاء ذكرها فى آية الحج قد يغفل الكثيرون عن إدراك أبعادها وعن حصر ما يمكن أن تولده من قيم تتجدد مع مرور الأزمان، ولعل من أوضح هذه المنافع على مستوى الأفراد، ذلك الصفاء الروحى الذى يتملك قلب المسلم وهو يؤدى مناسكه شاعرا بقربه من ربه قربا لا يتملكه فى أية أماكن أخرى لأن الحج عبادة تنظم للمسلم قلبه وبدنه وماله وليس ذلك لغيرها من العبادات.

ومن باب التطوع والتقرب إلى الله كان كثير من المسلمين يحجون بيت الله - عز وجل - مشاة احتسابا لزيادة الأجر، وعرف عن هارون الرشيد أنه حج ماشيا، كما حج الحسن بن على خمسا وعشرين حجة ماشيا.

ومن الميزات التى تتفرد بها هذه البقاع المقدسة عن كل بقاع الدنيا تمتعها بألوان من الحماية والأمن تشمل كل ما عليها: بشرا أو حيوانا أو نباتا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**﴾ البقرة: آية ١٢٥.

توصيات:

فى ختام الندوة خلص المشاركون إلى عدد من التوصيات أهمها:

١ - المزيد من العناية بدور طرق الحج فى تعميق الصلات بين الشعوب الإسلامية وإبراز الكثير من جوانبها وآفاقها الموضوعية التى لم تنل حظها الكافى من البحث والدرس.

٢ - أن تكون الدورة القادمة لانعقاد ندوة طرق الحج بمكة المكرمة لتتزامن مع احتفاء العالم الإسلامى بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية سنة (٢٠٠٤م).

٣ - دعوة العلماء والباحثين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى للكتابة فى موضوع الندوة.

٤ - الاهتمام بمشروع طريق الحج الإفريقى بالتعاون مع منظمة الدعوة الإسلامية.

٥ - ضرورة الاهتمام بالدراسات الميدانية لطرق الحج القديمة والمعاصرة لتوثيقها بشكل نهائى.

رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية لـ «منبر الإسلام»:

نصحح الصورة المغلوطة ونقدم الحقائق عن الإسلام والمسلمين للرأى العام الأمريكى

مازالت تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١م والتى وقعت بالولايات المتحدة الأمريكية، والتى لم يتأكد بعد بالأدلة القاطعة من الذى قام بها، مازالت هذه التداعيات تنعكس سلبا على العرب والمسلمين، خاصة مسلمى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى محاولة لتشخيص واقع المسلمين والعرب فى الولايات المتحدة الأمريكية التقت مجلة «منبر الإسلام» بالمدير التنفيذى لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية على هامش فعاليات المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس المعروف اختصارا «كير» السيد نهاد عوض وأجرينا معه هذا الحوار:

الدكتور نهاد عوض
رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية

حوار: محسن عبدالفتاح

• فى البداية نود التعرف «بالمجلس» وجهوده فى خدمة الإسلام ومسلمى أمريكا على وجه الخصوص؟

ـ يعتبر مجلس العلاقات الإسلامية المعروف اختصارا «كير» إحدى المنظمات الإسلامية الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم إنشاؤه منذ ثمانى سنوات ويعتبر المجلس من أهم ٤٠٠ مؤسسة دعوية وخيرية وأبرزها، إلى جانب عدد من المنظمات الإسلامية الأخرى مثل اتحاد المنظمات الإسلامية ورابطة الشباب المسلم العربى، والحلقة الإسلامية، والمجلس الإسلامى الأمريكى وجمعية الطلبة المسلمين، واللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز. كما أن المجلس له اثنا عشر فرعا إقليميا فى كبريات المدن الأمريكية ويعمل على تحسين صورة الإسلام والمسلمين فى المجتمع الأمريكى.

لنا دور فاعل قبل أحداث سبتمبر وبعدها، فنحن نتعامل مع ٢٥ ألف موقع تحريرى عن طريق ـ الإنترنت ـ حتى نستطيع توضيح الصورة المغلوطة وتقديم الحقائق اللازمة عن الإسلام والمسلمين إلى الشعب الأمريكى، نتيجة لذلك ازداد عدد المقالات التى تتحدث عن الحقوق العربية بشكل إيجابى وعن الإسلام بصورة حيادية عادلة. لكننا مازلنا لم نصل بعد لتحييد الدور الأمريكى كاملا!

أنشأنا موقعا جديدا يتناول الحقوق الإسلامية

ضرورة تركيز المقاطعة الاقتصادية على الشركات المؤيدة لإسرائيل ولابد أن تتسع الدائرة إلى الدول الإسلامية جنبا إلى جنب مع الدول العربية

بالمجتمع الأمريكى على شبكة «الإنترنت» ووصل عدد المطلعين عليه إلى نصف مليون مسلم أمريكى ليعرف كل مسلم أمريكى حقوقه وواجباته خاصة بعد أحداث سبتمبر.

• وما أهم الصعوبات التى تواجه عملكم فى ظل الأوضاع الحالية؟

- الصعوبات كثيرة، أهمها قلة العنصر البشرى المدرب فى مجال العمل الإعلامى والسياسى على وجه الخصوص.

كذلك نعانى من مشكلة كبرى تتمثل فى قلة الموارد المالية لتأدية كافة خدماتنا على الوجه الأكمل. فميزانية «المجلس» تبلغ ٣ ملايين دولار وهى تكاد تكفى الضروريات، والمطلوب أن تصل تلك الميزانية إلى ١٢ مليون دولار لكى ننفذ الواجبات المطلوبة منا فى هذه المعركة الشرسة ضد منظمات يهودية أمريكية تصل ميزانياتها لأكثر من ٥٠ مليون دولار!!

ولكى يكون هناك مردود إيجابى مؤثر لعملنا لدى الرأى العام الأمريكى لابد من زيادة الموارد المالية من قبل التجمعات الأهلية والأفراد بالدرجة الأولى.

لقد استطعنا رغم قلة الإمكانيات وبالتنسيق مع المنظمات المساندة للحقوق العربية الإسلامية القيام بمظاهرة كبرى ضمت أكثر من ٢٠ ألف مؤيد للحق العربى وذلك فى ٢٠ أبريل الماضى.

• ماذا عن جهود «المجلس» لخدمة مسلمى أمريكا خاصة بعد أحداث سبتمبر وما تعرضوا له من اجراءات قمعية وفضح هذه الممارسات غير الإنسانية أمام المواطن الأمريكى؟

- يبلغ عدد المسلمين والعرب بأمريكا حوالى ٨ ملايين مسلم وعربى، ويتوقع أن يصل عددهم إلى ١٦ مليونا بحلول عام ٢٠١٠م.

دورنا لخدمة مسلمى أمريكا قبل أحداث سبتمبر تمثل فى الجوانب الاجتماعية والتعليمية والدينية، وقد تضاعف هذا الدور واتسع ليشمل مجالات أخرى بعد تلك الأحداث، وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى ارتفاع حالات التمييز ضد المسلمين إلى ثلاثة أضعاف عن العام الماضى إضافة إلى القوانين التى صدرت عقب حوادث سبتمبر والتى اتسمت بعدم الدستورية وصبغتها العنصرية ضد المسلمين الأمريكيين ومؤسساتهم المدنية.

لقد أصدرنا التقرير السنوى السابع هذا العام عن أوضاع الحقوق المدنية للمسلمين فى أمريكا، وهو التقرير الوحيد من نوعه لتوثيق ما تتعرض له حقوق وحريات المسلمين فى أمريكا من انتهاكات.

يحصى تقرير العام الحالى حالات التمييز والعنف والمضايقات التى تعرض لها المسلمون خلال الفترة من مارس ٢٠٠١م حتى مارس ٢٠٠٢م 1516 شكوى من انتهاكات وتمييز. بينما قدر التقرير أعداد المسلمين المتضررين من أحداث سبتمبر بستين ألف مسلم. بينهم خمسون ألف متبرع لمؤسسات الإغاثة الإسلامية الأمريكية التى تم إغلاقها، وأكثر من خمسة آلاف مسلم تم استجوابهم على ذمة التحقيق من قبل السلطات الأمريكية.

كما تناول التقرير عددا من الممارسات الحكومية التى أثرت سلبا على حقوق المسلمين المدنية منذ أحداث سبتمبر، من قانون مكافحة الإرهاب الجديد والذى توسع فى إعطاء الأجهزة الأمنية صلاحيات

واسعة فى تعقب أى مشتبه فيه من أصل عربى الأمر الذى اعتبر تعديا على الحريات المدنية وتمييزا عنصريا. وقد تراوح عدد ضحايا الاعتقال من ١٢٠٠ إلى ١٧٠٠ مسلم وعربى يقيمون فى أمريكا، مازال الكثير منهم فى السجون دون توفر معلومات ضرورية عنهم.

كما قامت السلطات الأمريكية بإغلاق عدد من مؤسسات الإغاثة الإسلامية الأمريكية. والتوسع فى حملات التنصت وتفتيش المنازل والمقار للجمعيات الإسلامية، واستجواب الآلاف واعتقالهم رهن التحقيقات دون تهم محددة.

لقد تصدى «المجلس» لأهم هذه التحديات التى واجهت مسلمى أمريكا عقب أحداث سبتمبر فعملنا مع المؤسسات الإسلامية الأخرى على توضيح صورة الإسلام الحقيقية وتصدينا لأكاذيب الدوائر اليهودية والصهيونية فكانت المناظرات والبرامج التليفزيونية والمقالات فى الصحف والمطبوعات الدعائية. اضافة للقاءات مع المؤسسات الأمريكية الشعبية والرسمية لتوضيح الأمور وكشف الأكاذيب وتوضيح الحقائق عن الصراع العربى الإسرائيلى على وجه الخصوص وبشكل عام عن الإسلام والمسلمين داخل أمريكا وخارجها، وصورة الإسلام السمحة وعدالته بشكل يناسب العقلية الأمريكية.

كما تمت دعوة الكثير من ممثلى السياسة الأمريكية من الشخصيات المعتدلة كذلك رجال الإعلام المتعاطفين مع الحقوق العربية لتوطيد العلاقات وإظهار مواقفهم المؤيدة للجانب العربى والإسلامى حتى نوضح للمواطن الأمريكى أن الأمور مغلوطة وأنه يرى الأمور بعيون يهودية فقط!

• عم الوطن العربى عقب أحداث سبتمبر ثورة غضب شعبية تمثلت فى دعوة لمقاطعة السلع الإسرائيلية والأمريكية التى تنتجها شركات تدعم إسرائيل، كيف ترون كعرب أمريكيين أثر هذه المقاطعة؟

- لاشك أن هذه الخطوة جاءت كرد فعل لانحياز بعض الساسة والشركات الأمريكية إلى جانب إسرائيل. ونحن نرى فى هذا الموقف من المواطنين العرب رسالة إلى أمريكا إننا نرفض هذا التأييد والانحياز الصارخ واستمرار اعتداءات إسرائيل على الشعب الأعزل فى فلسطين.

المواطن الأمريكى استطاع أن يفرق بين ما وقع من إرهاب فى بلاده وبين العمليات الاستشهادية فى فلسطين

وإننا كدول عربية وإسلامية وسوق أولى لبضائعهم نقول لمن يؤيد عدوان إسرائيل، إن استمرار هذا التأييد الأعمى سوف يهدد المصالح التجارية الأمريكية بالمنطقة العربية والدول الإسلامية.

غير أننى أرى ضرورة تركيز المقاطعة على الشركات المؤيدة فعلا لعدوان إسرائيل، ونحن بذلك لن نضر الشعب الأمريكى الذى يجب أن نتحاور معه ونوضح حقيقة الأمر له عن هذا الصراع وعلينا ألا نترك المواطن الأمريكى فريسة لأكاذيب اليهود المسيطرة على الإعلام الأمريكى. وعلينا العودة إلى أسلوب مقاطعة الشركات التى تدعم إسرائيل والتى طبقته جامعة الدول العربية بنجاح فى فترة السبعينيات، حتى لا تكون المقاطعة رد فعل عاطفى

غاضب! فالمقاطعة من الدائرة العربية إلى الدائرة الإسلامية حتى تصبح دعوة عالمية مؤثرة.

● عملت الدوائر الصهيونية عقب أحداث سبتمبر على إلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين وادعت أن وراء ما وقع فى نيويورك وواشنطن عرباً ومسلمين، ثم جاء تصاعد أحداث الصراع الإسرائيلى الفلسطينى وقيام عناصر فلسطينية بعمليات استشهادية صورتها إسرائيل على أنها عمليات إرهابية كيف تعاملتم مع هذا الخلط والتشويه؟

- فى اعتقادى أن المواطن الأمريكى استطاع أن يفرق بين ما حدث من هجمات إرهابية فى بلاده وبين العمليات الاستشهادية التى تقع فى فلسطين، ورغم أن الكثير من الرأى العام الأمريكى يرى تبعا لما سمعه من حكومته وإعلامه الذى يسيطر عليه اليهود أن وراء هجمات نيويورك وواشنطن عرب ومسلمون من عناصر طالبان وتنظيم القاعدة، إلا أنه بات مقتنعا أن ما يجرى فى فلسطين هو عدوان من قبل جيش إسرائيل واحتلال لأرض فلسطينية اضطر هذا الشعب الأعزل إلى استخدام سلاح الاستشهاد عوضا عن الأسلحة التقليدية من دبابات وطائرات ومدافع لا يملكها!

هذه الرؤية الجديدة نلمسها بوضوح فى تأييد نسبة كبيرة من الأمريكيين لإقامة دولة فلسطينية، كذلك سمعناها ولأول مرة من الرئيس «بوش» الذى شنت عليه حملة انتقادات واسعة من قوى اليمين المحافظ وجماعات الضغط اليهودية.

● هل أثرت الإجراءات القمعية التى فرضت من قبل الجهات الأمنية الأمريكية ضد مسلمى أمريكا عقب أحداث سبتمبر على قضية الصراع العربى - الإسرائيلى واهتمامات الجالية الإسلامية بها؟

- هذا ليس صحيحا، فعدوان إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى وما يرتكبه الجيش الإسرائيلى من مجازر يومية فى حق المدنيين العزل جعل الاهتمام يزداد من قبل عرب أمريكا بالقضية عن ذى قبل. بدا ذلك واضحا فيما يكتب بالصحف الأمريكية لتوضيح حقوق الشعب الفلسطينى وما يجرى من مقابلات وحوارات بالقنوات التليفزيونية يوميا لكشف الممارسات غير الإنسانية من قبل جيش إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى من قتل وتشريد وهدم لبنية تحتية وإبادة وقمع واعتقال.

أصبحنا قوى سياسية لها صوت مؤثر لا يستهان به فى الانتخابات الأمريكية

صحيح أننا نواجه جماعات يهودية وصهيونية مؤثرة فى دوائر صنع القرار الأمريكى مسيطرة على الإعلام الأمريكى وبالتالى نسبة كبيرة من عقلية المواطن الأمريكى تنحاز ضد حقوقنا، إلا أننا ومع تصاعد الهجمة نظمنا صفوفنا وتكاتفت المنظمات والجماعات الإسلامية بشكل جيد ترك أثرا طيبا وملموسا فى الشارع الأمريكى وداخل المؤسسات السياسية الأمريكية ومازالت المعركة طويلة ونحن أصبحنا الآن قوة سياسية لها صوت مؤثر فى الانتخابات الأمريكية لا يستهان به فى أى انتخابات مقبلة.

لقد قررنا خوض الانتخابات القادمة عبر مرشحين مسلمين فى الولايات التى بها ثقل إسلامى، وسوف ندفع بثلاثة مسلمين أمريكيين لخوض انتخابات الكونجرس القادمة ولأول مرة.

حوار الحضارات لماذا وكيف؟

الحوار هو أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجا لنقل معلوماته إلى غيره.. لأنه وسيلة اتصال بين اثنين أو أكثر، ولقد عرف الحوار منذ قديم الزمن؛ لأنه وجه من أوجه الحرية فى التعبير عن الرأى ووسيلة إقناع به.. وقد يكون الحوار مباشرا بين اثنين وهناك جمهور يستمع لحوارهما.. وقد يتم الحوار بين أكثر من اثنين كما هو الحال فى ساحة البرلمان.. أو فى جلسة عمل لوضع خطة.. وقد يكون بوسائل اتصال مثل (الهاتف أو الإذاعة أو التلفاز) أو عبر صفحات الصحف والمجلات كالرد على الجماهير فى أسئلتهم.. فالحوار من هذا المنطلق هو فن إعلامى اتصالى وتطبيقى.. وهو لغة كل عصر.. وأفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجا لنقل معلوماته إلى غيره..

الشيخ / منصور الرفاعى عبيد

لذلك أصبح لزاما علينا أن نتعلم أسلوب الحوار الذى يتسم بالمرونة وعدم التعصب والبعد عن الجدل الذى لا يوصل إلى غاية ولا يصحح معلومة ولا يؤصل فكرة.. لذا بات مقررا أنه لابد من صحوة مرشدة بعقول مفكرة تضع الأولويات لحوار يزيد من المعرفة الثقافية ويؤكد على القيم النبيلة ويكون الهدف من وراء ذلك هو تعويد الناس لغة التخاطب السليمة التى تقضى على التعصب وتزيل الجهل وتقلل من الصراعات التى تنشأ بسبب عدم الفهم لما هو مراد.

هدف الحوار:

للحوار أهداف يرتكز عليها أهمها:

١ ـ تعميق التفاهم بين فئات المتحاورين.

٢ ـ تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع الدولى حتى يتزود الفرد بالمعارف والأفكار والقيم والعادات والأنماط السلوكية المختلفة.

٣ ـ للحوار دور فعال فى نقل التراث الثقافى من جيل إلى جيل مع تنشيط المعلومات وتحديثها.

٤ ـ نقل التجارب من بيئة إلى بيئة والاستفادة منها (تبادل الخبرات الإنسانية).

من هنا كان للحوار أهمية كبرى فى حياة البشر لأنه يهدف إلى أمور عظيمة فيها خير للبشر وصلاح للمجتمعات.. وفى ذلك فائدة كبيرة.. الأمر الذى يجعلنا نتنبه لأهمية الحوار فى وقتنا المعاصر.

حوار الحضارات

الحضارة هى نتاج تخطيط فكرى.. وعمل بدنى بتخطيط منضبط وعمل منظم، والمجتمع الإنسانى قامت عليه حضارات منذ أن هبط آدم إلى الأرض إلى يومنا هذا لأن يد البناء والتعمير مع التفكير السليم والتخطيط المبتكر والتجويد فى الأداء كل ذلك يتلاقى للعمل بجد وإخلاص فى بناء صرح الحضارة الإنسانية، والذى نعيش فيه اليوم من تقدم وابتكار فى أساليب متنوعة لأمور تخدم الإنسانية وتسهل أمامها الاستمتاع بالحياة فى جو من الرفاهية، كل

ذلك بدأت فيه أجيال وأجيال حتى وصلت الإنسانية إلى ما نحن فيه وسوف يشهد المجتمع الإنسانى تقدما رهيبا فى كل المرافق التى تخدم المجتمع الإنسانى، لأن الأرض سوف تأخذ زينتها أكثر وأكثر حيث أشار ربنا إلى ذلك وهو أصدق القائلين **﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس﴾** يونس: آية ٢٤، والمسلم الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله مطالب أن يحافظ على تراث الإنسانية وأن يدرس هذه الحضارة من كافة جوانبها السياسية، الاجتماعية، التعليمية، الاقتصادية.. لأن دراسة المناخ العام للتعرف على أسباب قيام هذه الحضارة ونهضتها أمر مهم جدا لنتعرف من خلال الدراسة على العوامل التى أدت إلى ضعف أرباب هذه الحضارة والأسباب التى حالت دون نموها ثم أسباب اندثارها.. من هنا كان للحوار مع الحضارات أهمية عظيمة لأنه من خلال الحوار نتبين هذه الأمور، يشير الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: **﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾** آل عمران: آية ١٣٧، ويقول سبحانه: **﴿وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال﴾** إبراهيم: آية ٤٥. إن الإسلام يرغبنا فى حوار الحضارات وينهى عن الصراعات لأن المسلم مطلوب منه أن يتعرف على حضارة غيره، ويعرف غيره بحضارة الإسلام الذى يقبل التعددية، ويتعايش فى تناغم ومودة مع أى حضارة وأى فكر وفى أى موقع؛ ذلك لأن المسلم الفاهم لأمور دينه لديه حصانة تحميه من أن يذوب فى أى مجتمع. لأن سلامة العقيدة وقوة اليقين والمحافظة على العبادات كل ذلك يقوى عزيمته ويشد أزره، ولأن ثقافته فى الدين واسعة لذلك فهو يؤمن أن من وراء هذا الحوار خدمة لدينه واقناع الناس به عن جدارة.. إن بعض الناس يعتقدون أن الحوار لا يؤدى غرضا. لكن هذا فهم خاطئ لمجريات الأحداث، فالقرآن الكريم وهو أصدق كتاب ذ كر لنا أنبياء الله الذين حملوا وحيه إلى خلقه وأن كل نبى حاور قومه وأقام عليهم الحجة بأسلوب مهذب ولغة واضحة لذلك رأينا أن الحوار له أهمية عظمى فى ترسيخ القيم الأخلاقية وهو بلاشك أفضل أسلوب يتخذه الإنسان منهجا لنقل معلوماته إلى غيره.

فكر خاطئ

نظرا لأن المسلمين لم يحسنوا مخاطبة غيرهم ومحاورتهم وتقديم الإسلام إلى المجتمع الدولى بصورته الجميلة وأحكامه العادلة ونظرته الشمولية إلى الأشياء وحث أتباعه على العلم وتملك زمام المبادرة فى استصلاح الأراضى واستخراج المياه الجوفية والانتفاع بما فى الكون فأدى ذلك إلى أن العالم الدولى بدأ ينظر إلى الإسلام نظرة مريبة لأن معتنقيه تخلفوا عن ركب التقدم وليست لديهم القدرة الكافية على مواجهة التطور والتقدم فى كافة الأشياء فهذا دليل على أن الإسلام حجر على عقولهم لذلك أصبحوا فى ذيل القافلة وهم يستحقون ذلك لأنهم نشروا الإسلام بالسيف ولذلك فهم يحتضنون الإرهاب بسبب تطرف فكرهم.. هذه النظرة الخاطئة سيطرت على كثير من قادة العالم ومفكريه والمسلمون فى غمرة انشغالهم باختلافهم على بعضهم فى بعض الآراء الجانبية وعدم تمكنهم من صياغة خطاب يلائم الفكر المتطور صدقت جماهير الشعوب هذا الكلام واعتبرته حقيقة، فالعيب فى سوء الفهم الذى نشأ ليس من أعداء الإسلام وإنما من المسلمين أنفسهم لأنهم مع اختلافهم مع بعضهم فى آراء هامشية وعدم قدرتهم على صياغة الخطاب الذى يشرح الإسلام ويبين أهدافه ومراميه وأن يتنوع الخطاب بتنوع المتلقين، فأدى ذلك إلى سوء فهم الإسلام والنظرة الخاطئة إلى معتنقيه، ثم إن الإعلام الذى أصبح لا يتوقف على البث المسموع والمرئى عليه أن يفسح المجال للعلماء المتميزين بأصالة الفكر وغزارة العلم ليقدموا ما لديهم بإتقان وبلغة كل الناس مع جمال اللفظ ووضوح المعنى

وعذوبة الكلمات ورقتها.. إنه ليس بعيب أبدا أن نواجه عيوبنا ونعلن أننا فى حاجة ماسة إلى إعادة صياغة العقل وترتيب الأولويات والتدريب على فن الحوار ونحن أمة ما أكثر الجامعات التى تقع على أرضها.. لكن علينا أن نطالب بإعادة النظر فى المناهج التربوية التعليمية لأن الواضح من المنهج أنه ملىء بالحشو دون المضمون.. فإذا ما سألت بعض المسلمين عن أسماء الرموز الإسلامية التى وضعت مفاتيح العلم وأرست دعائم النهضة الحضارية وأسهمت بنصيب وافر فى تنوير العقول وتثقيفها ترى أن كل ذلك غائب عن عقول الكثير من المسلمين.. الأمر إذًا يتطلب وضع خطة ملائمة لإعادة صياغة العقل الإسلامى وترتيب الأولويات ولذا بات مقررا أن المسلمين اليوم مطالبون أن يهيئوا أبناءهم للمستقبل لأنهم غدا قادة الوطن وحماته وأرباب الفكر فيه مع إدراكنا بأنه لكل زمان رجاله، وأن الأبناء خلقوا لزمان غير زماننا، إن الحوار مع الحضارات له أثره الفعال لأن المسلم ينزل إلى حلبة الحوار وبين يديه حضارة تعاملت مع جميع الحضارات بالتسامح والإنصاف والعدل مع الاعتراف بكل جهد بنى حجرا فى صرح الحضارة.. والإسلام لم يغفل أن الخلاف طبيعة البشر لكنه يؤكد على أنه لا يصح إلا الصحيح ولا يدوم إلا الحق وصدق الله العظيم: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض﴾** الرعد: آية ١٧، لهذا وجه الإسلام أتباعه إلى أسلوب حسن متميز نطلق عليه (فن التعامل مع الجماهير) لأن بقاء أى أمة رهين بتآلف القلوب وهى لا تأتلف إلا على الحق لأنه ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل.. والناس لو اختلفوا فتحاوروا فيما اختلفوا فيه بدافع من الحرص على إظهار الحق.. وعدم اتباع الهوى لبات كل عن أخيه راض لأن الاختلاف وعدم الانصياع إلى الحق والتعصب الأعمى للرأى وافتقاد الحوار البناء والبعد عن آدابه وأخلاقياته يؤدى إلى التفرق والتمزق نتيجة ما أصاب أبناءها

لهذا قال الحق سبحانه: **﴿ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾** الأنفال: آية ٤٦، ويقول سبحانه: **﴿ولا تكونوا من المشركين* من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾** الروم: الآيتان ٣١، ٣٢، إنه لكى نرد على افتراءات ومزاعم الذين يسيئون إلى الدين وعلمائه وأتباعه علينا أن ننهض نهضة مرشدة لأننا نمتلك أعظم ثروة إنها كتاب الله سبحانه الذى نزل على أمة متفرقة فوحد صفها وعلى أمة لا كيان لها فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وعلى أمة متفرقة فوحد صفها، وعلى أمة لا كيان لها فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وعلى أمة متصفة بالأنانية فغير أخلاقها وجعلها أمة رائدة فى الإيثار.. إن القرآن نزل على أمة جاهلة فتعلموا منه فن الحياة فأصبحوا علماء حكماء انساحوا فى الدنيا ومعهم كتاب الله وهدى رسوله فأضاءوا ظلام المجتمع الإنسانى وتحول هؤلاء من رعاة غنم إلى قادة أمم ومن مجتمع متخلف إلى مجتمع يسود العالم بالحكمة المتزنة والعقول المتفتحة والسماحة واليسر ولأصالتهم لم يذوبوا فى أى مجتمع فتحوه لأن فيهم حصانة دينية وعزيمة قوية واستيعاب لأى حضارة ومقارنتها بما يهدف إليه الإسلام ويبتغيه فوجدوا أن مافى الإسلام أعظم وأكمل وأحسن لأنه صبغة الله وهديه إلى خلقه.. ولك أن تعجب أن المسلمين عندما انساحوا فى الأرض وفتحت لهم الشعوب أبواب بلادها لم يحاولوا طمس هوية الشعوب ولا العمل على إذابة شخصية أفراد البلاد المفتوحة ولا القضاء على أى حضارة ولا تشويه أى لغة وإنما تعاملوا بالعدل والإنصاف والرحمة والعطف وقرأوا على سمع الزمن كل ما تعلموه من توجيهات القرآن وهدى النبى محمد ﷺ، فقد قال الحق سبحانه معلما المسلمين أن يقولوا لغيرهم فى حوار يتسم بالموضوعية وعدم الخروج عن الموضوع المطلوب شرحه وتوضيحه: **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به**

شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران: آية ٦٤.

فى نفس الوقت تعامل المسلمون بالتسامح مع أتباع أى ملة أو إذا تمسك الناس بأى عقيدة فلا إكراه لأى أحد على تركها واعتناق الإسلام وإنما علم الإسلام أتباعه أن يقولوا: **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾** الكهف: آية ٢٩، ويعلم المسلمين كذلك أن يقولوا لغيرهم: **﴿لكم دينكم ولى دين﴾** الكافرون: آية ٦، إن الناس عليهم أن يتعايشوا مع بعضهم فى أمن وسلام ليتمكنوا من إسعاد أنفسهم وإدخال السرور على الجميع.. لهذا وجه الإسلام إلى الحوار وضرب لنا الكثير منه فى القرآن الكريم الذى هو **﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾** هود: آية ١، فى نفس الوقت **﴿فيه هدى للمتقين﴾** البقرة: آية ٢، لأن فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا.. هو الفصل ليس بالهزل، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.. لقد أرشد الله المسلمين أن يتخيروا فئة من بينهم هذه الفئة تعكف على دراسة ما يجرى على ساحة المجتمع الدولى.. بعد أن يقسم المجتمع الدولى بحسب لغاته.. ثم يتخصص كل فريق فى دراسة بيئة معينة مثل المناخ الاقتصادى الحالات الاجتماعية. الاتجاهات السياسية إلى غير ذلك مما تلزم دراسته مع دراسة السيرة النبوية وتاريخ المسلمين طوال فترة المرحلة التاريخية وما العقبات التى صادفت الإسلام فى مسيرته. والتهم التى ألصقت به والافتراءات التى روجها أعداء الإسلام ضده وكل ذلك يسبقه حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا مع معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وإلمام بمدارس علماء التفسير والمذاهب الإسلامية وكيف نشأت والفرق والملل والنحل التى ظهرت وقامت فى المجتمع الإسلامى والإسباب الخفية التى كانت وراءها والأيدى المحركة لها.. وهذه الفئة تعكف على دراسة كل ذلك ثم تنطلق باسم الله هادية داعية باسم الحق ومن أجل الحق وشعارهم: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** النحل: آية ١٢٥. وإرشاد الله للمسلمين لتكوين هذا الفريق قوله سبحانه: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾** التوبة: آية ١٢٢.

وبهذا الأسلوب الذى أرشدنا إليه القرآن ونبهنا إلى أن ننتهجه حتى نقوم بتوصيل رسالة الله إلى خلقه لأننا الأمناء عليها.

إن الإسلام علم أتباعه وأرشدهم إلى أن يهتموا بالثقافة العامة وأن يتعلموا لغة المجتمع الدولى ليستطيعوا مخاطبة الناس بلغتهم مع دراسة الاتجاهات العامة لهذا قال الله موجها ومرشدا **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾** وأن الداعى عليه أن يخاطب الناس على قدر عقولهم وأن يخاطب كل فئة بما تفهم.. فللعمال لغتهم، وللتجار ثقافتهم، وللمعلمين والموظفين أسلوبهم لأن الحصافة من المحاور أن يتعرف على مشاكل المنطقة التى سيتم فيها الحوار وأن يخاطب الناس بما يفهمون لأن الرائد الأول للدعاة يقول: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم».

لذلك ننادى عقلاء الإنسانية ومفكريها ومصلحيها والذين ينشدون للمجتمع الدولى الأمن والسلام، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وادرسوا النظم الإسلامية وليكن مرجعكم كتاب الله وهدى رسوله ﷺ وإن اشتبه عليكم شىء أو تشككتم فى شىء فليكن بيننا وبينكم حوار وأن كل واحد منا عليه أن ينصاع للحق ويتبع طريقه حتى نخدم الإنسانية ونهيئ لها من أمرها رشدا.

الغِناء والموسيقى: حلال.. أم حرام؟؟!!

الغناء: كلام.. ولحن.. وأداء..
ولقد دار الحديث عن هذا الغناء فى الموروث الإسلامى ـ سنة شريفة، وفقها، وفكرا ـ تحت مصطلحات عدة، منها: مصطلح «اللهو» ومصطلح «السماع»..
وقد يتبادر إلى الذهن المعاصر أن استخدام مصطلح «اللهو» فى وصف الغناء إنما يحمل معانى سلبية، تشى بالكراهة أو التحريم للغناء.. ولما كان هذا الذى يتبادر إلى الذهن المعاصر غير وارد ولا صحيح، كان علينا أن نبادر بضبط مضمون مصطلح «اللهو» الذى صنفت تحته ـ فى كتب السنة ـ الأحاديث التى وردت فى موضوع الغناء.. والذى استخدم كذلك فى القرآن الكريم.

أ.د. محمد عمارة

فاللهو ـ فى مصطلح العربية ـ ليس بالضرورة ما يلهى عن الطيبات والعبادات والخيرات.. وإنما هو كل ما يشتغل به الإنسان وينشغل به فيلهيه ويتلهى به عن سواه.. فالاشتغال بالطيبات لهو عن الخبائث، والعكس صحيح.. واللهو: ما يأنس به الإنسان ويُعجَبُ به.. لكن استعمال هذا اللفظ غلب على ما يطرب النفس ويؤنسها ويروح عنها.. وكما جاء فى «لسان العرب» ـ لابن منظور ـ «فاللهو: ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما.. ولهيت عن الشىء: إذا سلوت عنه وتركت ذكره، وإذا غفلت عنه. ولهت المرأة إلى حديث المرأة تلهو لهوا: أنِست به وأعجبها. واللهو: النكاح ـ أى الزواج ـ واللهو: المرأة والولد ـ أى زينة الحياة ـ.. وقد يكنى باللهو عن الجماع.. والملاهى: هى آلات اللهو.. أى مطلق الوسائل التى تحدث الأنس واللذة للإنسان، فتشغله عند حدوثها عما سواها.

وكذلك الحال فى القرآن الكريم، يرد الحديث عن اللهو فى سياق المناشط الإنسانية المباحة، إذا هو لم يله الإنسان عن الفرائض والواجبات والضرورات.. فتتحدث الآيات عن فرائض، وضرورات، ومباحات ـ عن صلاة الجمعة، والبيع، والانتشار فى الأرض، والابتغاء من فضل الله، وذكر الله، والتجارة، واللهو ـ داعية المؤمنين إلى وضع كل منها فى مقامها وتوقيتها.. وناعية عليهم الخلل الذى يضع الأمر فى غير موضعه، أو يصرف عن الواجب إلى المباح **﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وإذا رأوا تجارة**

أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴿ الجمعة: الآيات ٩ ـ ١١.

فالبيع ليس حراما.. لكن الحرام أن يلهينا ويشغلنا عن صلاة الجمعة.. والانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله من الضرورات. لكن وقتهما ومكانهما فى وقت الصلاة.. والتجارة واللهو من المباحات.. بشرط ألا يشغلا الإنسان ويصرفاه عن صلاة الجماعة.. فاللهو ـ أى اللذة بالطرب ـ وضع هنا مع البيع والتجارة والانتشار فى الأرض والابتغاء من فضل الله ـ أى مع الضرورات والمباحات ـ وإذا كان اللهو هو مطلق ما يلهى ويشغل الإنسان عن أمر آخر، فإن الآيات لا تحرمه، لأنه ليس محرما لذاته وعينه، وإنما لما فيه من الذهول عن الواجب ـ ولقد وضعته مع المباحات والضرورات والواجبات ـ وإنما هى تدعو إلى التوازن الجامع فى حياة الإنسان، ليقوم بالواجبات، ويحقق الضرورات، ويحصل الحاجيات، ويجدد ويزين حياته بالتحسينات والكماليات واللذات من المباحات.

بل إن هذا الإنسان لو لهته وشغلته الصلاة ـ غير المفروضة ـ مثلا كل الوقت عن الضرورات والمباحات لعُدّ ذلك غلوا فى الدين.. وكذلك الحال لو لهته الضرورات عن الفرائض، أو شغلته المباحات عن الواجبات والضرورات.

ولقد روى عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبى أو مملوك، فمن استغنى بلهو أو تجارة استغنى الله عنه، والله غنى حميد**»(١).. فترك التجارة واللهو هنا مطلوب ممن وجبت عليه الجمعة، أما من لم تجب عليه الجمعة من النساء والمرضى والمسافرين والصبيان فلا عليهم أن يمارسوا المباحات(٢).

وعن جابر بن عبدالله: «كانت الجوارى إذ نُكحن يمررن بالمزامير والطبل، فانفضوا إليها، فنزلت» آيات سورة الجمعة: «وقيل إن خروجهم لقدوم دحية الكلبى بتجارته، ونظرهم إلى العير تَمُرّ»(٣).

وفى سورة الأنعام: **﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾** الأنعام: آية ٣٢، وليس المراد بها ذم الحياة الدنيا، ولا ذم اللعب واللهو، وإنما المذموم هو قول الكفار: **﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾** الأنعام: آية ٣٢، وهو الذى جاءت فى سياقه الآية: **﴿وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾** الأنعام: الآيات ٢٩ ـ ٣٢.

وفى النص على أن المذموم ليس الحياة الدنيا ولا اللعب واللهو، وإنما المذموم هو إنكار الكافرين للبعث، يقول القرطبى: «فالمقصد بالآية تكذيب الكافرين فى قولهم: **﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا﴾**(٤).

فالنظرة الإسلامية للهو ـ الغناء ـ تضعه فى خانة المباحات، المباحات لذاتها، والتى تعرض لها بسبب ما يلحق ويقترن بها وينتج عنها ـ الأحكام الشرعية التى تعرض للمباحات.. فقد يبقى الغناء على الإباحة ـ التى هى الأصل ـ وقد يعرض له ما يجعله واجبا، أو مندوبا، أو مكروها، أو حراما.. مثله فى ذلك مثل سائر المباحات ـ ومنها الأكل والشرب ـ الأصل فيها الإباحة، وقد يعرض لها ما يجعلها واجبة، أو مندوبة، أو مكروهة، أوحراما.

وإذا كان الغناء فى جوهره: صوت جميل تصاحبه ألحان وأنغام مؤتلفة تزيده جمالا، فلقد عرض الفكر الإسلامى لهذا الغناء باعتباره فطرة إنسانية تحاكى بها الصنعة الإنسانية الخلقة الإلهية التى أبدعها الله وخلقها فى الطيور والأشجار.. فالصوت الجميل الصادر من حنجرة الإنسان هو محاكاة للأصوات الجميلة الصادرة من حناجر البلبل والعندليب والكروان.. ومعزوفات الأوتار التى تثمر الألحان المؤتلفة والجميلة هى محاكاة الصنعة الإنسانية لما تعزفه الأشجار والأغصان والأوراق فى الحدائق الغناء عندما تهب عليها الرياح والنسمات.. وإذا كان غير وارد ولا جائز ولا معقول تحريم الأصوات الجميلة إذا جاءت من حناجر الطيور، فلا منطق يحرمها إذا صدرت من حنجرة الإنسان، إذ لا فرق بين حنجرة وحنجرة.. وإذا كان غير وارد - ولم يحدث - أن حرم أحد الأصوات المنكرة، ولا الأنغام المتخالفة.. فمن غير المنطقى ولا المعقول تحريم الأصوات لأنها جميلة غير منكرة، أو الأنغام لأنها مؤتلفة غير متخالفة.

بهذه النظرة الفطرية نظر العقل المسلم - والإسلام دين الفطرة - إلى الغناء والألحان، وجاءت كلمات حجة الإسلام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥هـ - ١٠٥٨ - ١١١١م) معبرة عن هذا المنطق الفطرى عندما قال:

«فالأصل فى الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر، وهو تشبيه للصنعة بالخِلْقَة التى استأثر الله تعالى باختراعها، فمنه تعلم الصناع، وبه قصدوا الاقتداء.. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة موزونة، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب، وسائر الطيور، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة، ولا بين جماد وحيوان، فينبغى أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره»[٥].

❖❖❖

وإذا كان هذا هو منطق الفطرة وبرهان العقل، فإن برهان النص والنقل - فى الإسلام - يدعم هذه النظرة، التى جعلت الغناء من المباحات فى ذاتها، والتى جعلت الأحكام الأخرى عارضة له وعليه بسبب ما يعرض له فيخرجه عن أصل الإباحة.

فالنموذج الإسلامى للحياة الإنسانية - والذى نتأسى فيه برسول الله ﷺ - هو النموذج المتكامل المتوازن، الذى يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا، والذى يُقبل على الآخرة التى هى خير وأبقى، دون أن ينسى نصيبه من زينة الحياة الدنيا وطيباتها، والذى يتجنب غلوى الإفراط والتفريط فى كل مناحى الحياة.

فالأسوة الحسنة ﷺ كان نبى الملحمة، وأيضا نبى المرحمة، وكان يأنس إلى المساكين ويستطيب الخشن من العيش والفراش، وفى ذات الوقت يستعيذ بالله من الفقر والدَّين.. وكان يستشعر ويستلهم آيات ومظاهر ومصادر الجمال التى أودعها الله، سبحانه وتعالى، فى الوجود.. فيستعيذ بالله - فى دعاء السفر - من كآبة المنظر.. ويدعو ربه - فى صلاة الاستسقاء - : **«اللهم أنزل علينا فى أرضنا زينتها»**.. ويطلب للمسلم - حتى فى المجتمع الفقير - الزينة والجمال، فى الاسم.. والثوب.. والطيب.. بل وحتى فى النعال!.. حتى ليحكى خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، فيقول: **«ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله، ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ألين مسا من كف رسول الله.. كان أزهر[٦] اللون، كان عرقه اللؤلؤ»**[٧]..

إنه كل ذلك.. الأسوة المتكاملة والجامعة والمتوازنة.. فالأقدام تتورم من الوقوف بين يدى الله، والاستشعار للجمال روح سارية فى كل مناحى الحياة.. والمزاح والنكات تعانق الصدق الباسم والبشاشة الصادقة.. ذلك لأن عبادة الله هى الشكر له سبحانه على نعمه المبثوثة فى الحياة، ومنها نعمة الجمال، التى لن نستطيع تقدير عظمتها، وشكر الله عليها، إذا نحن أدرنا الظهور والعقول والقلوب، وأغلقنا قنوات استشعارها فى هذاالكون، الذى أبدعه الخالق الجميل، الذى يحب الجمال.

ولأن هذا هو النموذج الإسلامى فى الحياة، والذى نتأسى فيه برسول الله ﷺ.. كان للغناء مكانة فى المجتمع النبوى، والسنة النبوية، بالقول والإقرار - حتى أصبحت هذه السنة من «السنن العملية» التى قامت وتجسدت فى واقع خير القرون.

ففى صحيح البخارى تروى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - فتقول: «دخل رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث[8]، فاضطجع على الفراش، وحول وجهه، فدخل أبو بكر، فانتهرنى، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ؟! فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما» فنحن أمام سنة نبوية - عملية - أقر فيها رسول الله ﷺ الغناء، فى بيت النبوة، من فتاتين، ويسمعهما رجال، ويغنيان بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب فى التاريخ، بل والتاريخ الجاهلى، وعندما اعترض الصديق أبو بكر رضي الله عنه مجتهدا فى المنع، اعترض الرسول ﷺ على هذا الاجتهاد مؤكدا الإباحة.

وتحويل الرسول وجهه عن الفتاتين المغنيتين هو غض للبصر، وليس كفا للأذان عن السماع.

ولم يطعن أحد من علماء الجرح والتعديل على أحد من رواة هذا الحديث الذى رواه البخارى فى الصحيح.

وفى ذات الحديث تكملة تروى فيها السيدة عائشة أحداث واقعة ثانية لسنة عملية أخرى فى هذا الموضوع.. تقول - رضى الله عنها -: «وكان يوم عيد، يلعب السودان - الحبشة - بالدرق[9] والحراب، فى المسجد فإما سألت رسول الله ﷺ، وإما قال: «تشتهين تنظرين»؟ فقلت: نعم، فأقامنى وراءه، خدّى على خده، يسترنى بثوبه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون - أى يرقصون - فزجرهم عمر رضي الله عنه، فقال النبى: «أمْنًا بنى أرفدة[10]».. دونكم بنى أرفدة»، حتى إذا مَلَلْتُ، قال: «حسبك»؟ قلت: نعم. قال: «فاذهبى».

فهنا، أيضا سنة عملية أقرت اللعب - التمثيل والرقص - المصحوب بالغناء - ففى بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول:

ياأيها الضيف المعرِّج طارقا

لولا مرت بآل عبدالدار

لولا مررت بهم تريد قراهُمُ

منعوك من جهد ومن إقتار

وفى بعض الروايات: «كانت الحبشة يزفنون» - (أى يرقصون) - وفى بعضها: «يرقصون بين يدى رسول الله ﷺ، ويقول: محمد عبد صالح»[11].

وفى البخارى - أيضا - عن عائشة ما يشهد بأن هذا الغناء المباح قد يعرض له ما يجعله مطلوبا ومندوبا - فى الأعراس - والطالب له والحاث عليه هو رسول الله ﷺ، فعن أم المؤمنين عائشة أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة، ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».**

وفى رواية النسائى لذات الحديث، يقول الرسول ﷺ: **«يا عائشة، أهديتم الفتاة؟ ألا بعثتم معها من**

يقول: آتيناكم آتيناكم، فحيانا وحياكم؟».

فيحث على الغناء، بل ويرشح الكلمات.. ولهذا الحث على الغناء - فى مناسباته - نظير فى الحديث الذى خرجه الإمام أحمد - فى مسنده - عن عبدالله بن عمير - أو عميرة - قال: «حدثنى زوج ابنة أبى لهب، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ حين تزوجت ابنة أبى لهب، فقال: **«هل من لهو؟»**.

وفى سنة أخرى، يروى النسائى - عن السائب ابن يزيد -: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال لعائشة: «ياعائشة، أتعرفين هذه؟ قلت: لا يانبى الله، قال: **«قَيْنَة[١٢] بنى فلان، تحبين تُغنيك؟» فغنتها.**

وإذا كانت القينة هى الجارية المغنية، فنحن أمام مغنية تحترف الغناء لبنى فلان - أى للرجال والنساء - يعرض الرسول على عائشة أن تسمع غناءها، فتغنى لها، فى حضرة رسول الله ﷺ.

ولقد مضت هذه السنة - إباحة الغناء .. أو ندبه - جارية مرعيّة فى مجتمع الصدر الأول.. فيروى النسائى عن عامر بن سعد يقول: دخلت على قرظة بن كعب، وأبى مسعود الأنصارى، فى عرس، وإذ جوار يغنين، فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ﷺ، ومن أهل بدر، يُفْعَلُ هذا عندكم؟! فقالا: اجلس إن شئت فاسمع معنا، وإن شئت اذهب **«فقد رُخِّص لنا فى اللهو عند العرس».**

فالبدريون من صحابة رسول الله ﷺ قد مضوا على سنة الاستماع والاستمتاع بلذة الطرب بالغناء الحلال المباح.

ولقد رأينا الراشد الثانى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يميز بين الغناء الحلال والغناء الحرام، بناء على الكلمات والمقاصد التى يتغياها ويثمرها هذا الغناء.. فيما يرويه عبدالله بن بريدة الأسلمى، قال: «بينما عمر بن الخطاب يَعُس[١٣] ذات ليلة، فإذا بامرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج؟

فلما أصبح عمر سأل عن نصر بن حجاج هذا - وكان شابا وسيما يخايل نساء المجاهدين الغازين - فأمر له بما يصلحه، وغَرَّبه إلى البصرة - حيث يعسكر المقاتلون[١٤]!

فالتحريم هنا قد عرض للغناء بسبب الكلمات الماجنة، والمقاصد المحرمة من وراء هذا الغناء.

وفى موقف آخر للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يروى الحسن البصرى فيقول: «أن قوما أتوا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقالوا:

- يا أمير المؤمنين، إن لنا إماما إذا فرغ من صلاته تَغَنَّى.

- فقال عمر: من هو؟!

- فذُكر الرجل.

- فقال عمر: قوموا بنا إليه، فإنا إن وجّهنا إليه يظن أنا تجسسنا عليه أمره.

- قال: فقام عمر، مع جماعة من أصحاب النبى ﷺ حتى أتوا الرجل، وهو فى المسجد، فلما أن نظر إلى عمر، قام فاستقبله فقال:

- ياأمير المؤمنين، ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن نأتيك، وإن كانت الحاجة لك فأحق من عظّمناه خليفة رسول الله ﷺ.

- فقال عمر: ويحك! بلغنى عنك أمر ساءنى.

- قال: وماهو ياأمير المؤمنين؟

- قال: أتتمجّن فى عبادتك؟!

- قال: لا، ياأمير المؤمنين، لكنها عظة أعظ بها نفسى.

- قال عمر: قلها، **فإن كان كلامك حسنا قلته معك، وإن كان قبيحا نهيتك عنه.**

ـ فقال الرجل:

وفؤاد كلما عاتبته

فى مدى الهجران يبغى تعبى

لا أراه الدهر إلا لاهيا

فى تماديه، فقد برّح بى

ياقرين السوء ما هذا الصِّبا

فنى العمر كذا فى اللعب

وشباب بان عنى فمضى

قبل أن أقضى منه مأربى

ما أُرجِّى بعده إلا الفنا

ضَيَّق الشيبُ علىّ مَطْلَبى

ويح نفسى! لا أراها أبدا

فى جميل ولا فى أدب

نفسُ لا كُنْتِ ولا كان الهوى

راقبى المولى وخافى وارهبى

ـ فقال عمر رضي الله عنه:

نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى

راقبى المولى وخافى وارهبى

على هذا فليُغَنِّ من غنى..»(١٥)

فنحن هنا أمام إمام للصلاة، يغنى فى المسجد، عقب الصلاة، بكلام حسن.. وأمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى يسمع هذا الغناء، فى المسجد، فيحاكيه، ويرشحه للغناء، قائلا: **«على هذا فليغن من غنى»**، بناء على القاعدة التى جعلها معيارا للمباح وغير المباح من الغناء.. قاعدة: **«إن كان كلاما حسنا قلته معك، وإن كان قبيحا نهيتك عنه»**.

تلك هى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغناء.. وتلك هى ممارسات مجتمع النبوة والخلافة الراشدة مع هذا اللون من الترويح عن النفس والإشباع للعواطف الإنسانية والتجديد لملكات وطاقات الإنسان باللهو ـ الغناء ـ المباح..

فالأصل فى الغناء: الحل والإباحة.. وتعرض له الحرمة أو الكراهة أو الندب أو الوجوب ـ كما فى القتال جهادا فى سبيل الله ـ بسبب ما يعرض له مما ينقله من الإباحة إلى هذه الأحكام.. إنه كلام ولحن وأداء، يحاكى به الإنسان الأصوات الجميلة والأنغام المؤتلفة العذبة التى أفاضها الجمال الإلهى فى بديع المخلوقات.

❖❖❖

الهوامش:

١ ـ أخرجه الدارقطنى. انظر: القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ١٨ ص١٠٣. طبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

٢ ـ المصدر السابق، جـ١٨ ص١٠٧.

٣ ـ المصدر السابق جـ١٨، ص١١١.

٤ ـ (الجامع لأحكام القرآن) جـ٦ ص٤١٤.

٥ ـ (إحياء علوم الدين) ص١١٢٦ طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

٦ ـ الأزهر ـ وجمعه زُهر ـ بضم الزاى وسكون الهاء ـ : النَّيِّر، الصافى اللون، والمشرق الوجه.

٧ ـ رواه مسلم والإمام أحمد.

٨ ـ بُعاث: حصن للأوس، دارت عنده وقعة من وقائع الجاهلية، انتصر فيها الأوس على الخزرج.

٩ ـ الدرقة" الترس من جلوس، ليس فيه خشب ولا عقب.

١٠ ـ أمْنًا: أى لكم الأمان. وفيه سماح وتشجيع على مواصلة اللعب. وأرْفَدَة: أشهر أجداد الحبشة.

١١ ـ أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك، ورواه النسائى أيضا عن أبى هريرة ـ فى «باب اللهو بالحراب».

١٢ ـ الفينة: معناها ـ هنا ـ المغنية.. وتطلق على الأمَة.. والماشطة..

١٣ ـ يَعُسّ: أى يطوف بالليل، يحرس الناس، ويكشف أهل الريبة.

١٤ ـ ابن سعد (كتاب الطبقات) جـ٣ ق١ ص٢٠٥. طبعة دار التحرير ـ القاهرة.

١٥ ـ الشاطبى (الاعتصام) جـ١ ص٢٧٢، ٢٧٣ تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا. طبعة مصورة، مكتبة أنس بن مالك ـ القاهرة سنة ١٩٨٠م.

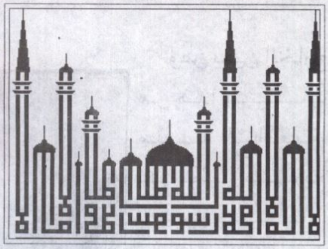

مساجد لها تاريخ

المسجد الأموى بدمشق

المسجد الأموى من المساجد العريقة فى القدم، ففيه تشم رائحة التاريخ، ومنه يفوح عبق الماضى، وأريج الزمن التليد، فهو قلب المدينة القديمة التى هى قلب دمشق، أنفق الوليد بن عبد الملك على بنائه أربعمائة صندوق، وفى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، واشترك فى عمارته أمهر الصناع، وأحذق مهندسى العمارة الإسلامية، وكان يعمل فيه اثنا عشر ألف مرخم، واستغرق بناؤه تسع سنوات، كما يرويه المؤرخون حتى صار مفخرة من مفاخر المساجد الإسلامية، وأعجوبة من أعاجيب الدنيا فى فن العمارة والبناء. فيه كان يجتمع طلاب العلم من كل أنحاء العالم الإسلامى، يتلقون كل فنون المعرفة على أيدى كبار العلماء، فأصبح المدرسة الجامعة لعلماء دمشق وطلابها، إذ عقدت فيه حلقات العلم كحلقات الإمام الغزالى، والمؤرخ ابن عساكر، والمقادسة، وأقيم فيه زوايا للقضاة، ونوابهم، فكان المحكمة التى تفصل بين الناس بالعدل، وعلى منبره خطب الخلفاء لشرح سياستهم للرعية، ومنه أيضا انطلقت جيوش الفتح الإسلامى لنشر الإسلام شرقا وغربا.

صلاح عبد الرحيم محمد

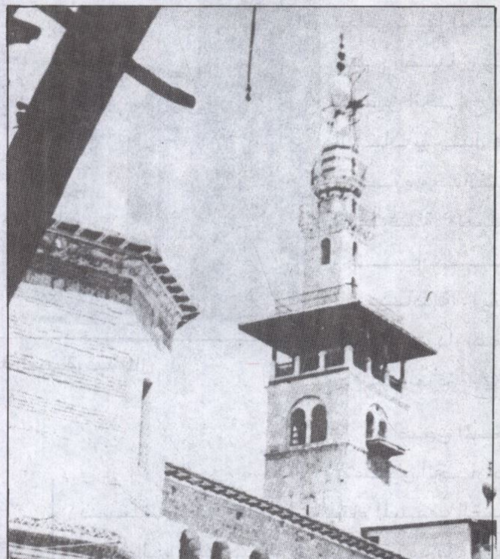

مئذنة العروس

وللمسجد أربعة أبواب: الأول هو الباب القبلى، وهو باب الزيارة، وكان يسمى قديما باب الساعات، لأن الساعات كانت تعمل بجواره، وله دهليز كبير واسع، ذو أعمدة كبيرة، فيه حوانيت للخرديين وغيرهم، وعن يسار الخارج من هذا الباب سماط الصفارين (النحاسين)، حيث كانت دار معاوية، وتُعرف أيضا «بالخضراء». والباب الثانى: هو باب «جيرون» وهو أعظم الأبواب، ويوجد فى الجهة الشرقية، وله دهليز ببلاط عريض، وعلى جانبى الدهليز أعمدة عليها شوارع مستديرة، فيها حوانيت العطارين وغيرهم، وقامت عليها أيضا شوارع مستطيلة، بها البيوت التى تطل على الدهليز، والباب الثالث: وهو الباب الغربى المعروف «بباب البريد»، وله دهليز فيه حوانيت البقالة، والعطارين، وسماط لبيع الفواكه، وفى أعلاه باب عظيم يُصعد إليه على درج، وتحت الدرج سقايتان مستديرتان: واحدة على اليمين، والثانية على الشمال، ولكل سقاية خمسة أنابيب تحمل الماء إلى حوض مستطيل من الرخام.

القبة الغربية: قبة المال

وعن يمين الخارج من هذا الباب مدرسة الشافعية، يتوسطها صهريج يجرى فيه الماء. والباب الرابع: هو الباب الشمالى، ويسمى «باب النطافين» وله دهليز ذو مصاطب، كان يجلس عليها المعلمون لتعليم الصبيان، وعن يمين الخارج من الباب يوجد فى دهليزه «خانقاه للصوفية» وتسمى «خانقاه السميساطية». ويقال أنها كانت دار عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنه.

أما صحن المسجد الأموى الخارجى فسعته مائة ذراع، باستثناء المسقف القبلى والشمالى، والمسجد من الخارج مسقف بألواح من الرصاص. والصحن مُغَشًّى ببلاط من جهاته الشرقية والغربية والشمالية، وفى جداره القبلى المتصل بالصحن عشرون بابا على امتداد الجدار، وقد علتها قسى جصية مخرمة كلها على هيئة شمسيات، فتبصر العين أجمل منظر، وأحسن رؤية، والبلاط المحيط بالصحن الخارجى للمسجد من جهاته الثلاث المشار إليها على أعمدة تعلوها أبواب مقوسة تحملها أعمدة أصغر تحيط

بالصحن كله، كما يوجد فى صحن المسجد الخارجى ثلاث قباب: القبة الأولى أكبرها، وهى فى الجانب الغربى، وهى القبة الغربية المعروفة «بقبة المال» التى بناها الفضل بن صالح أمير دمشق، وبناية القبة ارتفاعها حوالى ١٥ مترا، وقطرها حوالى ٦ أمتار، وهى عبارة عن حجرة مثمنة الشكل يعلوها قبة مشيدة فوق ثمانية أعمدة من الرخام، ومزينة بنقوش وزخارف آية فى الحسن والجمال.

ويقول «فاروق الجاسم» خبير الآثار الإسلامية السورية: «إن هذه القبة كانت تستخدم بيتا لمال المسلمين، أى المكان الذى تحفظ فيه أموال المسلمين فى الفترة من ٤٠هـ إلى ١٣٤هـ فى عهد خلافة بنى أمية. وكان بابها مزودا بخمسة أقفال، وكان لكل قفل مفتاح مع الخليفة، والقاضى الشرعى، والمحتسب، وخازن المال. ولذلك يتعين أن يجتمع هؤلاء جميعا عند فتح باب القبة. وظلت القبة تقوم بوظيفة بيت المال حتى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٤هـ، كما أصبحت - فيما بعد - المكان الذى تحفظ فيه أمانات الحجاج قبل سفرهم لأداء مناسك الحج، ويُغلق عليها، ولا توزع إلا بعد حضور الحجاج فى يوم معين لاستلام الأمانات الخاصة بهم»(١).

وفى نهاية العصر المملوكى جُمع عدد من نسخ المخطوطات القديمة، ووضعت فى القبة، وأغلق عليها، ولم تفتح إلا فى عام ١٣١٧هـ عندما زار الامبراطور الألمانى «غليوم الثانى» دمشق، وطلب أن يدخل فى القبة، وفتح له بابها بعد أن أذن له الوالى العثمانى بذلك، وأخذ إحدى المخطوطات معه إلى ألمانيا(٢). كما استطاع رحالة ألمانى هو «البارون فون سودون»، أن يحصل على موافقة السلطان العثمانى على فتح هذه القبة فى مناسبة خاصة، حضرها الوالى، ووجهاء دمشق، وأخرجت من القبة مئات المخطوطات، والرقائق مكتوبة باللغات العربية، والسريانية، والآرامية، واليونانية، واللاتينية، فكانت هذه القبة هى الذاكرة الحافظة لكل الحضارات التى شهدتها دمشق. والقبة الثانية: هى القبة الوسطى، وتقع وسط الصحن الخارجى للمسجد، وهى مثمنة الشكل، ومغشاة بالرخام، وقائمة على أربعة أعمدة صغار من الرخام، وتحتها شباك حديد مستدير، وفى وسطه أنبوب نحاسى يدفع الماء بقوة إلى أعلا، وحوله أنابيب صغيرة تقذف الماء إلى علو، فيبدو كأغصان لتلك الدوحة المائية التى تسر العين، وتبهج الخاطر.

أما القبة الثالثة: فتقع فى الجانب الشرقى من الصحن الخارجى، وتعرف بقبة الساعات، أو «قبة زين العابدين»، وهى تقوم على ثمانية أعمدة على هيئة «قبة المال» ولكنها أصغر منها.

ومن أعلى المسجد تطل مآذن الأموى الثلاث: أولها وأجملها هى مئذنة «قايتباى» نسبة للسلطان المملوكى «قايتباى» الذى أعاد بناءها، فقد عرف المماليك بولعهم ببناء المساجد وتعميرها، وتأخذ هذه المئذنة ذات الطرف المستدق، وتلك الكرة الحجرية التى تعلوها، الطابع المصرى. والمئذنة الثانية هى المئذنة البيضاء (المنارة البيضاء) أو «مئذنة عيسى» التى يقال إن المسيح سوف يخرج من تحتها آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلا وقسطا بعد أن امتلأت ظلما وجورا. وفى مواجهتها توجد المئذنة الثالثة، وهى «مئذنة العروس» التى تبدو حين تأخذ زخرفها، وزينتها، وتضاء ليلا، كالعروس، ويقال إنها قد أنقذت بلاد الشرق الإسلامى إذ كانت تتلألأ بأضوائها من فوقها صوب مصر، فتكشف بأنوارها الساطعة أى تسلل

لجيوش الأعداء، وفى الحرم الداخلى للمسجد الأموى تلمس، وتشاهد الجو الإسلامى، بكل ما فيه من روحانية وقدسية، ولعل المفكر الإسلامى «روجيه جارودى» كان يشير إلى المسجد الأموى حين قال: «جميع الفنون فى الإسلام تصب فى المسجد، فكل شىء فيه يدعو إلى العبادة حتى لتكاد أحجاره تصلى»(٣). وقبلة المسجد جدارها عرضه ١٣٦ مترا، وعمقه ٣٦ مترا، وعدد نوافذه من الشرق والغرب ٤٠ نافذة، وأبوابه أربعة، ومحاريبه أربعة، وعدد أعمدته ٥٢ عمودا، ارتفاع كل واحد منها ٨ أمتار، أما الثريا المتدلية من سقف المسجد فهى مزيج من عصور تاريخية مختلفة، بعضها مملوكى، والبعض الآخر عثمانى، ولكن أكثرها من النحاس الشامى المطروق، كما أن السجاجيد التى تغطى أرضية المسجد من إنتاج بلاد عديدة، تحمل توقيعات من قاموا بصنعها(٤).

وفى وسط المسجد تقريبا مقام النبى «يحيى ابن زكريا» ، ويقال إن رأسه كان مدفونا فى هذا المكان قبل بناء المسجد. وفى الخلف توجد «مقصورة النساء» بنقوشها الخشبية الرائعة حيث كانت تجلس «حفصة بنت عمر» و«خولة بنت الأزور» لتعلما نساء الشام أمور الدين الجديد، وأمامه المقصورة التى كان يجلس فيها السلطان، وهو نفس المكان الذى بناه معاوية بن أبى سفيان ليصلى فيه، وقد تحولت هذه المقصورة، بعد ذلك لتكون قلب المسجد الأموى النابض، فعليها كانت تتلى القوانين الجديدة، وينشد الشعراء قصائدهم، وتعقد الزيجات الكبرى، ويعرض أصحاب الشكاوى مظالمهم، وعلى امتداد جدار قبلة المسجد يوجد «محراب الصحابة»، وهو أول موضع صلى فيه «خالد بن الوليد» و«أبو عبيدة بن الجراح»، بعد

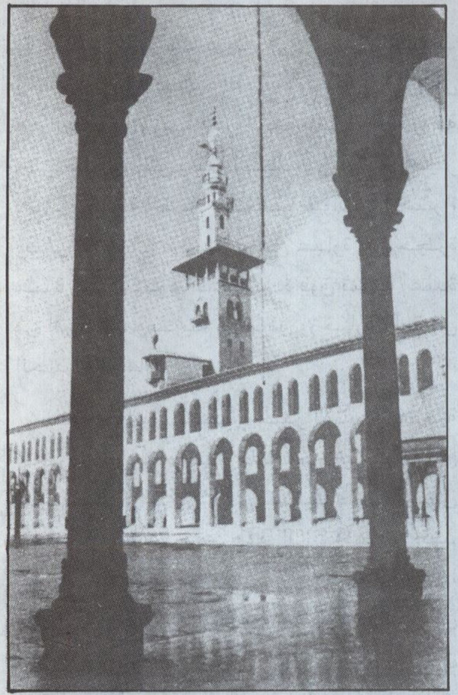

الصحن وتظهر فيه مئذنة العروس

فتح دمشق، وصار هذا المكان ملتقى أهل الفكر، وفقهاء الدين الإسلامى، ومن هذا المكان أيضا ارتفعت أصوات المعارضة فى الإسلام.

وفى أركان المسجد الأربعة توجد أربعة مشاهد على أسماء الخلفاء الأربعة وهى مشهد أبى بكر الصديق، فى الركن الشرقى، ومشهد على بن أبى طالب فى الركن الشمالى، ومشهد عمر بن الخطاب فى الركن الغربى، ويُعرف الآن «بمشهد عروة» وعلى شماله مشهد عثمان بن عفان، وبه كان يصلى نائب السلطان والحاكم الشافعى بجواره، كما كانت تعقد بمشهد عثمان أيضا مجالس القضاة الأربعة، والعلماء للفصل فى قضايا الرعية، فيجتمعون بأمر نائب السلطان للنظر فى هذه القضايا، ويحكمون فيها بالإجماع.

وفى المسجد الأموى كان يوجد العديد من المدارس مثل مدرسة الغزالية، وتُعرف بالشيخ نصر الدين المقدسى، والمدرسة الأسدية للملك المظفر أسد الدين شيركوه، وهى شافعية، والمدرسة المنجائية لابن منجا، وهى حنبلية، والمدرسة القوصية، وهى حنفية، والمدرسة السفينية وهى حنفية، ومدرسة المقصورة الكبيرة، وهى حنفية، والمدرسة الزواوية وهى مالكية، والمدرسة الشيخية لابن شيخ الإسلام، وكان للمسجد تسعة أئمة ـ فى عام ٦٧٤هـ ـ يصلون فيه الصلوات الخمس: إمام فى مقصورة الحنابلة، وإمام فى الكلاسة، وإمام فى مشهد زين العابدين على رضي الله عنه، وإمام فى مشهد أبى بكر رضي الله عنه، وإمام فى مقصورة المالكية، وإمام فى مشهد عروة، وإمام فى مقصورة الكندى.

وكان فى المسجد مائة وعشرون حلقة لقراءة القرآن الكريم وتعليمه، وكل منها لها راتب محدد على ديوان الجامع، مثل حلقة الكوثرية التى وقفها «نور الدين» على صبيان صغار وأيتام يقرأون فى كل ليلة بعد العصر ثلاث مرات: **«قل هو الله أحد»** ويهدون ثوابها للواقف، وتمثل قبة النَّسر مركز القلب من المسجد الأموى، فهى تهيمن بسحرها، وجمالها على هذا المكان، فقد قال عنها «ابن عساكر» فى تاريخه: «وشاهدت مافى استطاعة الواصف أن يصفه، ولا الرائى أن يعرفه، فهى بكر الدهر، ونادرة الوقف، وأعجوبة الزمان، وغريبة الأوقات، وعجيبة الساعات»، وتحت القبة يرى الرائى لوحة بديعة من الفسيفساء تكاد تفيض سحرا وجمالا.

هذا وقد تم تشكيل لجنة لإعادة تجديد إعمار المسجد جمعت المتخصصين فى الآثار والتاريخ، والإنشاءات المعمارية، والطبوغرافية والفنون، وقد بلغت نقاط الضعف فى المسجد ٣٠ ألف نقطة كما يقول «محمد أمين أبو الشامات» الذى ذكر أن عمليات الإعمار بلغت ٢٥ عملية شملت كل أجزاء المسجد بدءا من مدخل المسجد حتى طرف أعلى مئذنة: من أعمال إنشائية، وتزيينية، وكهربية، وتجديد للمفروشات. وذكر «أبو الشامات» أيضا أنه أضيف تطور جديد إلى أرضية المسجد بتركيب جهاز للتدفئة تحت الرخام، وأضيفت شبكة جديدة للصرف الصحى، وتصريف مياه الأمطار، وتم وضع نظام حديث للإضاءة الساطعة التى تتناسب مع التصوير التليفزيونى، وتم علاج كل الثريات، ووضع نظام للإنذار ضد الحرائق. وقد بلغت التكلفة الإجمالية لعمليات الإعمار والتجديد للمسجد الأموى ما يزيد على ٣٠٠ مليون ليرة سورية. وقد أقيم حفل كبير بهذه المناسبة الجليلة فى يناير ١٩٩٨م حيث تم افتتاح المسجد بحضور الرئيس السورى حافظ الأسد «رحمه الله» بعد أن عاد المسجد شامخا بهندسته المعمارية الإسلامية الفريدة التى جمعت بين جلال القديم وجمال الحديث.

الهوامش:

١ ـ ملحق الأهرام فى ٢٠٠٠/٧/٢٨ صفحة ٩.

٢ ـ نفس المرجع السابق ص٩.

٣ ـ مجلة العربى ـ الكويت، العدد ٤٧٨ سبتمبر ١٩٩٨م.

٤ ـ مجلة العربى المرجع السابق.

شيخ الأزهر ووزير الأوقاف يفتتحان معسكر أبى بكر الصديق لشباب العالم الإسلامى والجامعات المصرية بالإسكندرية

وراء الأخبار

منير بيومى

الأمة الإسلامية تواجه تحديات كبيرة تتطلب منها الأخذ بأسباب العلم والتقدم

الإمام الأكبر شيخ الأزهر وعن يمينه وزير الأوقاف وعن يساره رئيس جامعة الإسكندرية فى حفل الافتتاح

تصوير: إسماعيل رجب

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف معسكر أبى بكر الصديق الذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لأبناء العالم الإسلامى والجامعات المصرية بالعصافرة بالإسكندرية صيف كل عام.

يضم المعسكر أربعة أفواج مدة كل فوج عشرة أيام، الأول فى الفترة من ٦ إلى ١٥ يوليو للطلبة الوافدين من مختلف دول العالم الدارسين بالأزهر الشريف وعلى منح من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والثانى من ١٨ إلى ٢٧ يوليو، والثالث من ٣٠ يوليو إلى ٨ أغسطس لطلبة الجامعات المصرية من الوجهين القبلى والبحرى، أما الفوج الرابع فيبدأ من ١١ إلى ٢٠ أغسطس وهو مخصص للطالبات الوافدات وطالبات الجامعات المصرية.

وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن الشباب بالمعسكر يلتقون بعدد من الوزراء والمسئولين والعلماء ليتحدثوا إليهم بكل صراحة ووضوح فى مختلف قضايا الساعة المثارة على الساحتين المحلية والدولية، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ولتوعيتهم بأمور دينهم. كما يتعرف الشباب من خلال جولات ميدانية على معالم النهضة الحديثة فى مصر، ومن خلال الحوارات المفتوحة يجيب العلماء على تساؤلات الشباب.

ومن المقرر أن يلتقى بالشباب الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالى،والدكتور علىّ الدين هلال وزير الشباب والرياضة، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والدكتور صوفى أبوطالب رئيس مجلس الشعب الأسبق، والدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية، والشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر، والدكتور زغلول النجار.

إضافة إلى ذلك يشمل المعسكر نشاطا ثقافيا فى مسابقات حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأبحاث الدينية والمسابقات الرياضية.

عصر العلم والتقدم

فى حفل الافتتاح وجه فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة إلى أبناء العالم الإسلامى رحب بهم فى وطنهم الثانى مصر بلد الأزهر الشريف. وقال: إن مصر تفتح قلبها ودور العلم لأبناء العالم الإسلامى، ويشهد على ذلك تاريخها فى خدمة الإسلام والمسلمين فقد وقفت مصر تدافع عن الإسلام والمسلمين وتصد الأعداء وتنصر المظلوم.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر أن شريعة الإسلام اهتمت بتربية الشباب تربية دينية وعلمية خلقية ومن الأمانة أن نوضح لأبنائنا أن الإسلام دين يقوم على العدل وإخلاص العبادة لله والتحلى بمكارم الأخلاق.

وقال: إننا نعيش عصر العلم والتقدم فى مجالات العلوم المتنوعة وإن تقدم الأمة يقاس بالكيف وليس بالكم لأننا فى عصر التخصص، وكم من أمة قليلة العدد استطاعت أن تتفوق وتتقدم وتمتلك القوة، وقد أمرنا الإسلام أن نتسلح بالقوة التى تبنى ولاتهدم، تعمر ولا تخرب، تصلح ولا تفسد، القوة التى تحافظ على ممتلكات الدولة والمال العام.

تحديات ومسئوليات

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق فى الحفل الذى شهده الدكتور محمد نصر الدين دمير - رئيس جامعة الإسكندرية - والدكتور محمد عبدالله نائب رئيس الجامعة - أن مصر منذ أكثر من ألف عام تستقبل أبناء العالم الإسلامى من كل البلاد ليتلقوا العلم فى الأزهر الشريف ويشهد التاريخ على ذلك حيث كانت هناك أروقة بالأزهر متعددة باسم جاليات إسلامية مختلفة وستظل مصر على هذا النحو تقدم لأبناء العالم الإسلامى الزاد العلمى والفكرى ليعودوا إلى بلادهم ينشرون الاعتدال والسماحة التى تعلموها فى مصر بلد الأزهر الشريف.

وأوضح وزير الأوقاف أن الواقع الذى يعيشه العالم الإسلامى اليوم - وهو يقف عند مفترق طرق - يؤكد أن المسلمين أمة حائرة فى عالم محير فى ظل تفاقم الأوضاع وإلصاق الاتهامات بالإسلام والمسلمين لتجعل منهم أناسا معادين للحضارة والتقدم والديمقراطية مشيرا إلى أن بعض الأخطاء التى تقع من بعض أبناء المسلمين أمر وارد ليس عند المسلمين وحدهم بل عند كل أصحاب ديانة أو حضارة ولكن من العجب أن يلصق الإرهاب بالإسلام والمسلمين فقط بالرغم من وقوع أحداث مشابهة لدى أطراف أخرى.

وأكد وزير الأوقاف أن الأمة الإسلامية تواجه تحديات ومسئوليات كبرى حيث بلغت نسبة الأمية الأبجدية حوالى ٤٠٪، والعالم من حولنا يحاول أن يمحو الأمية التكنولوجية بين أبنائه وهذه تعد كارثة ووصمة عار لأمة نزل الوحى على رسولها ﷺ بأمر من الله أن يقرأ فى قوله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان مالم يعلم﴾** العلق: الآيات ١ ـ٥.

وأضاف وزير الأوقاف أن العالم الإسلامى مطالب بالتزود بالعلم والابتكار والاختراع لكى يخرج من هذه المحنة وهذا أمر يدعونا إلى التأمل وقراءة الكتاب المسطور وهو القرآن الكريم، وقراءة الكتاب المفتوح وهو الكون لنتأمل فيه ونكتشف سنن الله والقوانين التى تحكم سير هذا الكون وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾** الجاثية: آية ١٣، ولو تأمل المسلمون هذه الآية لعلموا أن الله سخر الكون لنا مجالا للبحث والدرس والنظر والتعمق لنتمكن من الابتكار والاختراع وألا نفهم الدين فهما ضيقا لا يتجاوز أداء العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، ولكن بطلب العلم أيضا الذى هو فريضة بنص الحديث النبوى الصحيح «**طلب العلم فريضة على كل مسلم** »، فالإسلام ليس عبادات فقط إنما هو عقيدة وشريعة وأخلاق وحضارة.

لقد جاء الإسلام ليقرر أن الرحمة هى السمة السائدة لهذا الدين حين امتدح الله نبيه ﷺ قائلا: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾** آل عمران: آية ١٥٩.

وأوضح وزير الأوقاف: أن القضية ليست قضية تلقى العلوم الدينية ثم العودة إلى بلادنا للبحث عن عمل إنما هى الريادة فى أوطان المسلمين بالتوعية السليمة الصادقة المخلصة بتعاليم الإسلام السمحة وآدابه وأخلاقه لأن الإسلام انتشر فى كثير من البلاد ليس لأن جنود بلاد المسلمين دخلوا هناك وإنما لأن هناك نماذج إسلامية اقتدى بها الناس واقتنعوا بها، ولذلك دخلوا فى الإسلام. لم يدخل الجنود المسلمون جنوب شرق آسيا ولا غرب أفريقيا، ولكن انتشر الإسلام عن طريق التجار المسلمين والمتصوفة المسلمين فى غرب أفريقيا، انتشر الإسلام بالنموذج والقدوة والسلوك الحسن، ونحن أمامنا الأسوة الحسنة **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**.

إن أبناء العالم الإسلامى عليهم مسئولية كبيرة مهمة وجليلة وهى أن ينقلوا ماتلقوه من علم يمثل السماحة الإسلامية والرحمة والخلق الإسلامى والعلم الإسلامى أن ينقلوا ذلك ليسهموا فى تغيير أحوال الأمة الإسلامية ولا يجوز لفرد أن يقول إننى لا أستطيع أن أفعل شيئا فكل فرد مسئول فى هذا الصدد.

تخريج أول دفعة من طلاب الشريعة الإسلامية من جامعة كازان بوسط روسيا

شهدت جامعة كازان فى جمهورية تتارستان الواقعة فى حوض نهر الفولجا الشهير بوسط روسيا تخريج أول دفعة من طلاب الشريعة الإسلامية من أول جامعة إسلامية تأسست فى سنة ١٩٩٨م

ويتقن الخريجون البالغ عددهم أربعة عشر باحثا اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ويواصلون اتقان قواعدها، كما يدرسون الفقه والتفسير والسيرة المحمدية والأحاديث النبوية الشريفة والعلوم الإسلامية الحديثة وسوف يعمل هؤلاء أئمة للمساجد وفى الوقت نفسه من حقهم مواصلة دراساتهم العالية بالمراسلة وذلك لرفع مستواهم فى العلوم الإسلامية.

ويتقن الأئمة من الخريجين الجدد ثلاث لغات هى العربية والتترية والروسية وقد شرعوا فى العمل فور تخرجهم وقد تقرر أن يواصل أربعة من الخريجين دراستهم العالية فى جامعة الأزهر فى مصر وستة يعملون أساتذة فى الجامعة فى كازان والبقية يعملون أئمة فى الجوامع والمساجد.

مسابقة وقف د. الفنجرى

دعوة إلى إعمال العقل وإثراء الفكر ونشر الوعى الدينى والثقافى

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووزير الأوقاف ورئيس هيئة قضايا الدولة فى حفل توزيع جوائز مسابقة د. الفنجرى

تصوير: سيد الزفزاف

من الأعمال الخيرية التى تدعو أبناء الأمة إلى إعمال العقل وإثراء الفكر ونشر الوعى الدينى والثقافى والاجتهاد فى معالجة قضايا الدعوة الإسلامية مسابقة وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى التى تجرى كل عام فى خدمة الدعوة والفقه الإسلامى.

هذه المسابقة تعد رافدا من روافد العلم الذى يطرق المشكلات المعاصرة من منظور إسلامى وينبه إلى الأخطار التى تحيط بأمتنا العربية والإسلامية.

مسابقة هذا العام ٢٠٠٢م جاءت حول موضوعين مهمين الأول: الأسرة فى الإسلام والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها، والثانى: حول اللغة العربية وكيف ننهض بها نطقا وكتابة.

صرح المستشار محمد شوقى الفنجرى - رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية وصاحب الوقف - أن هذه المسابقة تحظى برعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وقال: إن مبلغ جوائز المسابقة ٥٠ ألف جنيه توزع على ٣٥ فائزا وفائزة، بواقع ٢٠٠٠ جنيه لكل فائز من العشرة الأوائل، وألف جنيه لكل فائز من العشرين الآخرين.

حضر حفل توزيع الجوائز الذى أقيم بالنادى النهرى لهيئة قضايا الدولة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والمستشار بدر المنياوى النائب العام الأسبق، والمستشار حسام عبدالعظيم - رئيس هيئة قضايا الدولة وناظر الوقف.

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته أن هذه المسابقة تسهم بدور كبير فى خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتنهض بالدعوة الإسلامية فهى من الأعمال التى تنشر الفائدة العلمية حيث تنشر

البحوث الفائزة ليستفيد منها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها، وقال: إن تكريم الفائزين من العلماء والباحثين من الأمور التى حث عليها الإسلام وقد كرم الله العلماء وأمر النبى ﷺ أن يسأله المزيد من العلم **﴿فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علما﴾** طه: آية ١١٤، وقد وصف الرسول ﷺ مجالس العلماء بأنها روضة من رياض الجنة.

وأكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وأشار إلى أن الخروج من المأزق الحضارى الذى تعانى منه الأمة الإسلامية باللجوء إلى العلم بأوسع معانيه وفى مقدمته العلم الإسلامى الذى يفتح للناس أبواب الاستنارة الدينية والعقلية الواعية فالأمر يوجب على المسلمين أن يعيدوا النظر فى أمورهم حتى يمكن للمجتمع الإسلامى أن يخطو خطوات نحو التقدم والارتقاء والتعمير والبناء لأن بناء الحضارة أمر إلهى للمسلمين منذ ١٤ قرنا من الزمان.

وطالب الباحثين أن يستمروا فى البحث وأن تتواصل قراءاتهم وتعمقهم فى فهم القضايا الإسلامية وهذا يعد رصيدا علميا للأمة الإسلامية.

جدير بالذكر أن باحثى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قد فازوا بالنصيب الأكبر فى هذه المسابقة، فقد فاز الزميل محمد كامل شاهين المحرر بمجلة «منبر الإسلام» بالجائزة الأولى عن موضوع الأسرة فى الإسلام، وعبدرب النبى أبو السعود وحسن أحمد خليل الباحثان بمركز السيرة والسنة بجائزة تشجيعية فى نفس الموضوع.

وقد فاز الدكتور محمد يونس الحملاوى - أستاذ الحاسبات بكلية التجارة جامعة الأزهر - بالجائزة الأولى فى موضوع اللغة العربية وكيف ننهض بها.

الأسرة فى الإسلام

حول اختياره لموضوع المسابقة يقول الزميل محمد كامل شاهين المحرر بمجلة «منبر الإسلام» والفائز بالجائزة الأصلية فى موضوع الأسرة فى الإسلام والرد على ما يخالف أحكامها وآدابها: إن أمتنا الإسلامية تواجه عداء على دينها وتشويه ماضيها مشيرا إلى أن بعض المتأثرين بالمدنية الغربية مازالوا يرددون الأباطيل ضد المبادئ الفاضلة التى يقوم عليها كيان الأسرة المسلمة.

وأضاف أن سر قوة العالم الإسلامى فى عصوره الزاهرة ترجع إلى تمسك الأسرة بتقاليدها وآدابها وأخلاقياتها التى جاء بها الإسلام.

وتناول الزميل محمد كامل فى بحثه الذى قسمه إلى ستة فصول التعريف بالأسرة وأهداف الإسلام من تكوين الأسرة ودورها فى بناء المجتمع مؤكدا أن رابطة الزواج الشرعى هى الوسيلة الوحيدة لتكوين الأسرة الفاضلة.

ثم انتقل إلى الحقوق والواجبات بين أفراد الأسرة والمشكلات الأسرية وعلاج الإسلام لها، وفى الفصل الأخير تناول الرد على ما يخالف أحكام الأسرة وآدابها والقضايا المثارة مثل قضية القوامة والميراث والطلاق وتعدد الزوجات.

النهوض باللغة العربية

ويقول الدكتور محمد يونس الحملاوى الفائز بالجائزة الأصلية فى موضوع: اللغة العربية وكيف ننهض بها نطقا وكتابة: القضية الأساسية التى يمكن أن تستنهض همة الأمة بكاملها هى إيجاد وعاء لغوى واحد يتفاعل من خلاله مختلف أفراد المجتمع وتصب فيه مختلف مناشط الأمة، هى قضية تعريب العلوم التى هى وعاء عملى يشكل قضية محورية تنموية بالدرجة الأولى.

إن من الأمور التى تتوهمها الغالبية أن التعليم بلغات أجنبية يؤدى إلى التفوق، لقد أثبتت الدراسات التى قمت بها مع بعض زملائى الأفاضل على طلبة بعض كليات القمة وعلى طلبة المرحلة الإعدادية فى مرحلة التعليم الأساسى، أن الحقيقة تكمن فى عكس هذه المقولة، لقد أثبتت النتائج أن التفوق من نصيب الطلبة الذين درسوا المواد العلمية كالرياضيات والكيمياء والأحياء والدراسات باللغة العربية.

قطوف

الرحمة

الرحمة مشتقة من الرحم، وهى القرابة، والرحمة تعنى الأمن للضعفاء والمحتاجين وهى العطف والرفق والشفقة واللين.

والرحمة من صفات الله عز وجل إذ يقول سبحانه وتعالى فى سورة الإسراء: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ آية ٨٣، وقال تعالى فى سورة الروم: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ آية ٢١.

وقال عز وجل فى سورة الأنبياء: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ آية ١٠٧.

خضرة رشاد

فأى معلم كان؟ وأى إنسان؟ هذا المُترع عظمة، وأمانة، وسموا؟

ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمقدورون.. وإن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الرابحون.. ابن عبدالله محمد.. رسول الله فى قيظ الحياة.. أى سر توفر له فجعل منه إنسانا يشرف بنى الإنسان؟ وبأى يد طولى بسطها شطر السماء فإذا كل الأبواب رحمتها ونقمتها وهداها مفتوحة على الرحاب.

أى صدق وأى طهر وأى أمانة وأى نقاء أى تواضع، وأى حب وأى رحمة، وأى وفاء، أى تقديس للحق.

لقد آتاه الله من أنعمه ما يجعله أهلا لحمل رايته والتحدث باسمه بل وجعله أهلا للرحمة لعباده.

ومهما تتبارى القرائح والإلهام والأقلام متحدثة عنه عازفة أناشيد عظمته فستظل جميعا كأن لم تبرح مكانها ولم تحرك بالقول لسانها.

فعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت: قدم أناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أتُقَبِّلون صبيانكم؟ فقال «نعم» قالوا: لكننا والله ما نقبل: فقال رسول الله ﷺ: **أو أملك أن الله نزع من قلوبكم الرحمة؟»** متفق عليه.

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»** متفق عليه.

فعندما توفى إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وكان طفلا صغيرا وحضر لدفنه جمع من صحابة رسول الله ﷺ وكان الرسول الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه على رأس الجميع وعندما ووری إبراهيم التراب بكى رسول الله ﷺ، فقال له الزبير بن العوام أو عبدالرحمن بن عوف ـ حتى أنت يارسول الله، فقال له الرسول ﷺ: **«إنها رحمة: وإن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضى الله وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون».**

ويقول رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم الله ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».**

وروى أن عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما كان واليا على مصر وأخذ فى بناء مسجده فى الفسطاط وأمر الناس بتجهيز المكان لبناء المسجد فوجدوا يمامة قد باضت ونامت على بيضها حتى تفقس وأخبر عمرو بن العاص بذلك فقال لهم اتركوها حتى يفقس بيضها: أى رحمة هذه رضى الله عنك ياعمرو بن العاص.

***

وروى البخارى أنه كان فى إحدى غزوات رسول الله ﷺ وقعت امرأة فى أسر المسلمين وكان لها طفل قد فقدته فى هيعة الحرب، فكانت لا تنام وجعلت تتألم حتى تألم لها رسول الله ﷺ ثم قال لهم: اذهبوا فابحثوا لها عن ولدها، فلما جىء بالوليد كشفت بطنها ولزقت ولدها فوق جلدها، فقال لهم رسول الله ﷺ : أترون هذه قاذفة ولدها إلى النار وقد وجدته فقالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ لَلّه أرحم بعباده من هذه بولدها.

وفى موقعة صفين التقى عمرو بن العاص بعلى بن أبى طالب رضي الله عنه فى مبارزة فوقع عمرو وكاد الإمام أن يجهز عليه فأعرض عنه الإمام فقيل له لماذا وقد جاءتك الفرصة فقال عطفنى عليه الرحم فكرهت أن أعجله.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

القول الصحيح

السؤال من القارئ/ محمد على سماحة، المنشية الجديدة - المحلة الكبرى، يقول:

هل القول: «اللهم أبدل أهله خيرا منه» صحيح أم «اللهم أبدله أهلا خيرا من أهله»؟

الجواب: إن التعزية التى يتسلى بها أهل الميت تحدث بأى شىء يصرف تفكيرهم فيمن فارقهم، وقد يكون ذلك بالقول أو بالفعل، وهى مندوبة لما فيها من تخفيف حدة الحزن ورحمة المسلمين بعضهم بعضا.

وخير ما يقال فى التعزية هو ما أثر عن الرسول ﷺ وعن السلف الذين أمرنا بالاهتداء بهديهم، وفيها توجيه إلى الصبر والرضا بقضاء الله، لينجح المصاب فى الامتحان الذى امتحنه الله به كما قال تعالى: **﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

فتبشير المصاب الصابر بأن الله يرحمه ويكتب له الهداية - يخفف من ألمه وحزنه.

وبخصوص ما جاء فى السؤال من أفضلية إحدى العبارتين، ورد ما يرجح العبارة الأولى حيث رواه مسلم وغيره عن النبى ﷺ **«ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها، إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها».**

وعليه فالذى يعزى أهل الميت يدعو أن يخلفهم الله خيرا من الميت، وهو دعاء ينفع من نعزيه، والذى يقول له: اللهم أبدله أهلا خيرا من أهله، دعا للميت وليس لأهل الميت، دعا له للميت أن يبدله الله فى الجنة أهلا خيرا من أهله. فالعبارة الأولى دعاء ينفع أهل الميت، والثانية دعاء ينفع الميت، وإذا كان النفع للأهل مباشرا فى الأولى فهو غير مباشر - إن صح هذا التعبير - فى الثانية لأنهم إذا اطمأنوا على راحة الميت عند ربه خفت حدة الحزن عليه، ومما يؤثر فى هذا المقام قول الشاعر وهو يعزى عبدالله بن عباس فى وفاة والده:

اصبر نكن بك صابرين فإنما
صبر الرعية عند صبر الراس
خير من العباس صبرك بعده
والله خير منك للعباس

الميت الحديث وأرواح من سبقوه

السؤال من القارئ/ رمضان الأقرع، القاهرة، يقول:

هل إذا مات شخص نهارا أو دفن فى نفس اليوم يتقابل مع أرواح من سبقوه ويرد عليهم فيما يختص بأهلهم، وهل إذا مات ليلا ودفن فى اليوم التالى وعند نفس السؤال يقول لى ألف عام لم أرهم. ما صحة ذلك؟

الجواب: موضوع الأرواح وأحوال الموتى موضوع لا يؤخذ كعقيدة إلا من النص الصحيح القاطع فى الكتاب والسنة، وأكثر ما ورد فى ذلك ليس قطعيا فى الثبوت والدلالة، وبخصوص ما ورد فى السؤال، وردت أحاديث آحاد بدرجاتها المختلفة من الصحة والحسن والضعف، واستنبط منها العلماء أحكاما اجتهادية ليست محل اتفاق بينهم.

قال ابن تيمية فى «الفتاوى»: مسألة فى الأحياء إذا زاروا الأموات، هل يعلم الأموات بزيارتهم، وهل يعلمون بالميت إذا مات من أقاربهم أو غيره أم لا؟ الجواب، نعم. قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات، كما روى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير فى الدنيا، فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم يستريح فإنه كان فى كرب شديد، قال: فيقبلون عليه ويسألونه: ما فعل فلان، ما فعلت فلانة، هل تزوجت.. الحديث.

هذا، ولم أطلع على حديث صحيح فيما جاء بالسؤال من أن الميت إذا مات نهارا ودفن فى اليوم نفسه سيتقابل مع أرواح من سبقوه ويرد عليهم فيما يختص بأهلهم، وبالعكس لو مات ليلا ودفنوه فى اليوم التالى، وعليه فلا نتعلق بمالا يثبت بطريق قوى، وعلينا الاستعداد بالعمل الصالح للإجابة على سؤال الملكين.

الجنة والنار

السؤال من القارئ/ محفوظ محمد عليمى، كفر الشيخ، يقول

هل الجنة والنار وما أعدهما الله سواء للطائعين أو العاصين داخلتان فى الشيئية الهالكة أمام وجه الله تبارك وتعالى؟

الجواب: هذه المسألة تتصل بالعقيدة وتحتاج إلى دراسة واسعة فى كتب التوحيد، وجاء فى كتاب المواقف للإيجى كلام عن الجنة والنار، هل هما مخلوقتان الآن، أو ستخلقان يوم الحساب والجزاء بعد فناء هذه الدنيا؟ أهل السنة على الرأى الأول، وأكثر المعتزلة على الرأى الثانى، وجاء فى استدلال بعض المعتزلة أن الله قال عن الجنة **«أكلها دائم وظلها»** مع أنه قال **«كل شىء هالك إلا وجهه»** فلو كانت الجنة مخلوقة فى الدنيا للزم أن تهلك وتفنى، مع أنها خالدة، فدل ذلك على أنها ستخلق بعد هلاك الدنيا، وأهل الرأى الأول ردوا على ذلك بأن دوام أكلها ليس معناه الخلود، بل التكرر والتجدد، كلما فنى شىء جىء ببدله، أو أن كل شىء هالك فى حد ذاته لضعف الوجود الامكانى فالتحق بالهالك المعدوم، وأخيرا إن مناقشة هذا الموضوع ليس هنا محلها فيرجع إليها فى كتب التوحيد ولا توجد ضرورة تلجئنا إلى ذلك فى ظروفنا الحاضرة.

دعــــاء القنــوت

السؤال من القارئ أحمد عبد الشكور محمد، من الشرقية، يقول هل القنوت فى الفجر غير مستحب؟ وهل هو سنة مؤكدة عن النبى ﷺ؟

الجواب: القنوت فى الفجر عند النوازل مشروع كبقية الصلوات. فقد قنت الرسول ﷺ فى الصلوات الخمس مدة شهر يدعو على حَىٍّ من بنى سليم: رعل وذكوان وعصية، لأنهم قتلوا بعض الصحابة الذين أرسلهم ليعلموهم، رواه أبو داود وأحمد.

أما القنوت فى غير النوازل فللفقهاء فيه أقوال، خلاصتها: أن الحنفية والحنابلة قالوا بعدم مشروعيته، مستدلين بما رواه ابن حبان وابن خزيمة وصححه عن أنس: أن النبى ﷺ كان لا يقنت فى صلاة الصبح إلا إذا دعا لقوم أو دعا عليهم.

وقال المالكية والشافعية بمشروعيته، ودليلهم ما رواه الجماعة إلا الترمذى أن أنس بن مالك سئل: هل قنت النبى ﷺ فى صلاة الصبح؟ فقال: نعم، وما رواه أحمد والبزار والدراقطنى والبيهقى والحاكم وصححه عن أنس قال: مازال رسول الله ﷺ يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا.

ومناقشة هذه الأدلة وبيان الأرجح من الأقوال يمكن الرجوع إليه فى كتاب «زاد المعاد» لابن القيم. الذى بين فى سرده للروايات أن أهل الحديث توسطوا بين من ينكرون القنوت مطلقا حتى فى النوازل وبين من يستحسنونه مطلقا عند النوازل وغيرها. فهم لا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله، ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة. كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفا للسنة، بل من قنت فقد أحسن، وهذا من الاختلاف المباح الذى لا يعنف فيه من فعله ولا من تركه، وذلك كرفع اليدين فى الصلاة وتركه، وأنا أقول: إن الخلاف بسيط، وهو فى سنة وليس فى فرض، والدين يسر.

هذا، وقد روى أحمد وأصحاب السنن عن أبى مالك الأشجعى أنه قال عن قنوت الفجر: إنه بدعة، لأنه صلى خلف النبى وأبى بكر وعلى فلم يرهم يقنتون، كما روى الدارقطنى أن ابن عباس كان يقول: إن القنوت فى صلاة الفجر بدعة. ويمكن الجمع بين روايات الإثبات وروايات النفى بأن هؤلاء المروى عنهم كانوا يقنتون أحيانا ولا يقنتون أحيانا أخرى، لأنه سنة وليس بفرض ولا واجب، والمثبت مقدم على النافى كما هو معلوم، وإذا كان بعض الصحابة لم يقنت لأنه لم يره من النبى ﷺ فإن عدم الرؤية لا يدل على النفى المطلق.

صلاة السنة والفرض

السؤال من القارئ/ أحمد سعودي عبد العاطى الشامي، ميت غمر- الدقهلية، يقول: دخلت المسجد لأداء صلاة الفجر فوجدت المصلين يصلون فصليت الجماعة معهم فهل يجوز أداء ركعتى السنة بعد الفريضة؟

الجواب: فى حديث البخارى ومسلم **«لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس، ولاصلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس».**

قال الشافعى: الصلاة الممنوعة فى هذين الوقتين هى النافلة التى لا سبب لها أولها سبب متأخر كصلاة الاستخارة، أما سنة الفجر فتجوز بعد صلاة الفرض، وأبو حنيفة يمنع صلاة السنة بعد صلاة الفجر أى الصبح وكذلك أحمد. والمالكية يجيزون سنة الفجر فقط.

من لا توبة له

السؤال من القارئ/ أحمد عبدالعظيم عبدالسلام، مركز صقر، شرقية، يقول:

من الذى لا توبة له؟

الجواب: كل إنسان فى الوجود إذا عصى الله عليه أن يتوب إلى الله، فباب التوبة مفتوح كما جاء فى الحديث حتى تطلع الشمس من مغربها، أو إلى آخر نفس من حياته، أى عند الغرغرة، فإن كان الإنسان غير مؤمن فتوبته الإيمان **﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾** الأنفال: آية ٣٨، وإن كان مؤمنا عاصيا فتوبته بالإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الصادق على عدم العودة إليه، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها أو عفوهم عنها، وبدون هذه المقومات لا تصح التوبة.

قال الله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾** النساء: الآيتان ١٧، ١٨.

اتباع ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم

السؤال من القارئ/ عادل عباس نصار المحامى، شرنجة ـ غربية، يقول:

نرجو الإفادة عن التوصية التى ترسل لنا وبها ما يفيد بضرورة تصويرها وإرسالها مثلا إلى ثلاثين شخصا. وما صحة هذا الكلام؟

الجواب: لقد ظهرت هذه التوصية من عشرات السنين، وكل العلماء قالوا: إنها غير ثابتة عن الرسول ﷺ، فلا يلزم من وصلت إليه أن ينشرها كما يقول من وضعها، ولا ضرر فى ذلك إن شاء الله، والواجب علينا هو اتباع ما جاء عن النبى ﷺ فى القرآن الذى نزل عليه وفى الأحاديث الثابتة عنه.

السرقة والإحساس بالذنب

السؤال من القارئ/ م. ع. أ. ك، بنها. يقول:

أخذت شيئا من أثاث تابع لهيئة حكومية وقيمته حوالى ٢٥ جنيها ثم ندمت على هذا العمل، فماذا أفعل؟ أرده ثانية أم أتصدق بقيمته؟

الجواب: مادمت تقر أنك ندمت على هذا العمل لأنه حرام فعليك أن ترد ما أخذته إلى الجهة التى أخذته منها مادامت معروفة، ولا يجوز لك أن تتصدق به أو بقيمته فى جهة أخرى، وحاول أن تجد طريقة فى هذا الرد تأمن فيها على الإضرار بك، كما ذكرناه فى مسألة أخرى مماثلة وأحيِّ فيك وفى غيرك الشعور بالذنب والتوبة منه، لأن المال الحرام عاقبته وخيمة، لا يقبل معه دعاء ولا عمل، ويكفى فى ذلك حديث رواه الطبرانى **«ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به».**

المكسب الحرام

السؤال من ح. س. م. القاهرة، يقول:

ما حكم الدين فيمن يتزوج من فتاة مكسب والدها من حرام؟

الجواب: إذا كان للرجل زوجة وأولاد صغار فهو مسئول عن الإنفاق عليهم، والواجب أن يتحرى الحلال ليبارك الله له فيهم، فإذا كان ماله حراما صرفا أو مخلوطا بالحرام، ولا تجد الزوجة ولا الأولاد رزقا حلالا خالصا كان لهم الأخذ من مال الزوج والأب بقدر الضرورة أو الحاجة، والذنب على مالك المال، أما إذا كان لهم مال حلال خالص كميراث أو راتب عمل، فلا يجوز لهم الأخذ من المال الحرام، وعليهم أن ينصحوا الزوج والأب لعل الله يتوب عليه، ومن هنا لا مانع من التزوج من بنت الرجل المذكور فى السؤال، مادام هناك اطمئنان على دينها وخلقها، وعلى عدم تأثرها بالبيئة التى عاشت فيها كخضراء الدمن.

طبيب الأسنان والمريضات

السؤال من القارئ على صالح ـ طنطا، يقول: أعمل طبيبا للأسنان وبحكم عملى ألمس وجه ورأس المريضات، فما حكم الإسلام فى ذلك

الجواب: من القواعد الفقهية أن الضرورات تبيح المحظورات، ومعلوم أن المرأة لا يجوز لها أن تكشف عن شىء من جسمها لرجل أجنبى ـ فيما عدا الوجه والكفين، وبالتالى لا يجوز له اللمس بدون حائل، أما عند الضرورة المصورة بعدم وجود زوج أو محرم أو امرأة مسلمة تقوم بذلك فلا مانع من النظر واللمس، مع مراعاة القاعدة الفقهية وهى: أن الضرورة تقدر بقدرها.

ولهذا الاستثناء احتياطات وآداب نورد فيها بعض ما قاله العلماء.

جاء فى كتاب «الإقناع فى شرح متن أبى شجاع» للشيخ الخطيب فى فقه الشافعية «ج٢ ص١٢٠» أن النظر للمداواة يجوز إلى المواضع التى يحتاج إليها فقط، لأن فى التحريم حينئذ حرجا، فللرجل مداواة المرأة وعكسه، وليكن ذلك بحضرة محرم أو زوج أو امرأة ثقة إن جوزنا خلوة أجنبى بامرأتين وهو الراجح، ويشترط عدم وجود امرأة يمكنها تعاطى ذلك من امرأة، أى علاج امرأة وعكسه، أى عدم وجود رجل يعالج الرجل. كما صححه كما فى زيادة «الروضة» وألا يكون ذميا مع وجود مسلم وقياسه ـ كما قال الأوزاعى ـ ألا تكون المعالجة كافرة أجنبية مع وجود مسلمة على الأصح. ولو لم نجد لعلاج المرأة إلا كافرة ورجلا مسلما فالظاهر أن الكافرة تقدم. لأن نظرها ومسها أخف من الرجل. بل الأشبه عند الشيخين أنها تنظر منها ما يبدو عند المهنة ـ أى الشغل ـ بخلاف الرجل..

وشرط الماوردى أن يأمن الافتتان ولا يكشف إلا قدر الحاجة.

وجاء فى «فتح القدير ج٨ ص٩٨ فى فقه الأحناف أن عبدالله بن الزبير استأجر عجوزا تمرضه، وكانت تغمز رجليه وتنظف رأسه، والغمز هو الكبس والتدليك، وقال ابن مفحل فى كتابه «الآداب الشرعية» فى فقه الحنابلة قوله: فإن مرضت امرأة ولم يوجد من يَطُبُّها ـ أى يعالجها ـ غير رجل جاز له منها نظر ما تدعو الحاجة إلى نظره منها حتى الفرجين، وكذا الرجل مع المرأة، ونقل عن ابن حمدان وغيره مثل هذا الكلام، وقد أذن النبى لامرأة أن يحجمها رجل اسمه أبو طيبة.

نستنتج من كل هذا أن العلاج بين الجنسين يكون عند عدم وجود الجنس المشابه، وعند عدم كفاءته، وأن يكون بقدر الضرورة مع الاحتياط حتى لاتكون فتنة، واتفاق الدين له اعتباره إن وجد.

السير فى جنازة مسيحى

السؤال من متولى محمود حميد عسكر، البحيرة، يقول: هل يجوز للمسلم أن يسير فى جنازة مسيحى، ويحضر مراسم العزاء أو الزواج؟

الجواب: قال العلماء: لا يجوز الاشتراك فى تشييع الجنازة لغير المسلم، لأن التشييع فيه تكريم، قال بعضهم: إنه حرام، وقال آخرون: إنه مكروه. والمكروه لا عقوبة عليه، بخلاف الحرام ففيه عقوبة.

أما التعزية فهى جائزة، بل قيل إنها مستحبة، وصيغتها: أخلف الله عليك، والتشييع والتعزية غير القيام للجنازة إذا مرت على الإنسان، وقد صح فى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قام لجنازة يهودى، ولما سئل عن ذلك قال **«أليست نفسا»**؟ ويوضح ذلك حديث أحمد وابن حبان والحاكم **«إعظاما لله الذى يقبض النفوس»** واختلف العلماء فى حكم القيام للجنازة هل هو مشروع أو نسخ؟ والصحيح أنه مشروع.

القرآن والشفاء

السؤال من قارئ:
يقول الله تبارك وتعالى:
﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء﴾
يقول الدكتور جمال أبو العزايم:
إن القرآن نزل كرسالة علمية وليس هو مشخصا لعلاج بعض الأمراض؟

الجواب: أما أن القرآن شفاء فذلك أمر لاشك فيه، قال الله تعالى: **﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** الإسراء: آية ٨٢، وقال: **﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور﴾** يونس: آية ٥٧.

وقد حمل كثير من العلماء الشفاء على مايعم الشفاء من الأمراض العقلية والنفسية والخلقية والجسمية، حيث لايوجد مايمنع ذلك، فهو يصحح الفكر والعقيدة، ويهذب النفس ويمنحها الأمن والطمأنينة، ويقوِّم السلوك بالأخلاق الحميدة، ويزيل العلل والأمراض التى تعترى الأجساد.

وقد روى البخارى ومسلم حكاية سيد الحى الذى لدغ، ورقاه المسلمون بفاتحة الكتاب فشفاه الله، وأخذوا على ذلك أجرا أقرهم عليه النبى ﷺ وقال: «**إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله تعالى**»، والحديث بطوله موجود فى «زاد المعاد لابن القيم ص١٢١» وذكر أن ابن ماجه روى فى سننه من حديث على قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الدواء القرآن**» ووضح تأثير العلاج بالقرآن توضيحا كبيرا يمكن الرجوع إليه.

وقال بعض العلماء: إن المراد بشفاء القرآن هو ما عدا شفاء الأجسام، بدليل أن النبى ﷺ أخبر أن لكل داء دواء إلا الموت أو إلا الهرم، وأمر بالتداوى عند المختصين، كالحارث بن كلدة، وعالج بالفصد والحجامة، وشرب العسل وبغير ذلك مما وضحه ابن القيم فى كتاب الطب النبوى.

والحق أن علاج الأمراض البدنية مطلوب عند المختصين، والقرآن هو الذى أرشد إلى ذلك بسؤال أهل الذكر، وبالأمر بالتعلم والإفادة، مع الإيمان بفاعليته فى العلاج الفكرى والنفسى، وقد ذكر السيوطى فى «الإتقان ج٢ ص١٦٣» طرفا من خواص القرآن فى العلاج العام، وأورد حديث ابن ماجه عن ابن مسعود «**عليكم بالشفاءين العسل والقرآن**»، وحديث اللديغ سيد الحى وعلاجه بفاتحة الكتاب الذى رواه البخارى ومسلم. وذكر حديث الطبرانى عن على قال: لدغت النبى ﷺ عقرب فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: **قل يا أيها الكافرون والمعوذتين.**

ثم ذكر السيوطى أن النووى قال فى «شرح المهذب» لو كتب القرآن فى إناء ثم غسله وسقاه المريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعى: لا بأس به، وكرهه النخعى، قال: ومقتضى مذهبنا - الشافعية - أنه لا بأس به، قال الزركشى: وممن صرح بالجواز فى مسألة الإناء العماد النيهى، مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية. لكن أفتى ابن عبدالسلام بالمنع من الشرب أيضا، لأنه يلاقى نجاسة الباطن، وفيه نظر.

هذا ما نقل عن العلماء فى جواز العلاج بالقرآن قراءة فهو نافع إن شاء الله، وبخاصة إذا كان القارئ صالحا ترجى بركته، أو دعا الله بعد قراءة القرآن، فقد يستجيب الله الدعاء. وقد رأينا أن النبى ﷺ فى علاج لدغة العقرب أخذ بالوسائل المادية مع قراءة القرآن.

ورأينا اختلاف العلماء فى كتابة القرآن ومحوه بالماء وشربه للاستشفاء ما بين مجيز ومانع، مع تحرزهم من تعرض القرآن للنجاسة أو الإهانة.

وخلاصة ذلك كله أن الإخبار عن القرآن بأنه شفاء ليس على طريق الحصر، بمعنى أن فيه وفى غيره من الوسائل شفاء، والحديث الشريف يقول «**تداووا عباد الله، فإن الله خلق الداء والدواء**»، رواه الترمذى وصححه وابن ماجه، وفى البخارى «**ماأنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**» وفى حديث أحمد «**ما من داء إلا له دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام**» أى الموت. وعلى هذا لابد من التعلم ومعرفة ما يداوى به كل مرض بدنى أو نفسى أو عقلى أو روحى، ولكل هذه الأمراض مختصون فى كل عصر وحين، مع مراعاة أن قوة الإيمان لها دخل كبير فى الشفاء من كل الأمراض.

مندوب المشتريات وبدل الانتقال

السؤال من، س. ف. م. الإسكندرية، يقول:
أعمل موظفا (مندوب مشتريات) وأديت فريضة الحج أكثر من مرة وأقوم بعملى خارج مكان الوظيفة بمأمورية، وقد أكون بمنزلى وتقاضيت مكافآت مالية وبدل انتقال دون وجه حق ماذا أفعل بالمبالغ التى تقاضيتها من جهة عملى؟

الجواب: مادمت تقر بأنك تتقاضى مكافآت مالية وبدل انتقال دون وجه حق، فالواجب عليك أن تتوب إلى الله وتقلع عن هذا السلوك، والتوبة لاتتم إلا بعد الإقلاع والندم والعزم على عدم العود ـ إلا بإعادة ما أخذته بدون وجه حق إلى الجهة التى تعمل بها، وأنت حر فى كيفية رد هذه المبالغ، وفكِّر فى طريقة لا تثبت عليك فيها إدانة وعقوبة دنيوية. كإرسالها سرا بدون توقيع، أو بصفة هدية، أو القيام بخدمات للمصلحة دون أن تأخذ عليها مكافأة، أو غير ذلك.

فالمهم أنه لابد من التخلص من حقوق المصلحة عليك بالطريقة التى تراها، ولو على فترات، ولا تلجأ إلى التبرع بها لمصالح أخرى مادامت المصلحة صاحبة الحق معروفة.

وأرجو أن يتنبه كل العاملين فى كل المجالات إلى الأمانة التامة فى أداء العمل، وإلى خطورة الخيانة والتحايل على الحصول على ماليس بحق.

وإلى جانب النصوص الدينية فى هذا الموضوع، أرجو أن نضع أمام أعيننا قول سيدنا يوسف لملك مصر ﴿**اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم**﴾ يوسف: آية ٥٥، وقول بنت شعيب عن موسى ﴿**ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين**﴾ القصص: آية ٢٦.

البقشيش وزكاة المال

السؤال من د. محمود أبو النصر جاد الله، دسوق، يقول:
هل يعتبر البقشيش جزءا من زكاة المال إذا أعطى للعمال ونحوهم؟

الجواب: إذا كان العمال أو الخدم أو أمثالهم محتاجين إلى الضروريات للإنفاق على أنفسهم وعلى من تلزمهم نفقتهم، ولا يكفى ما يأخذونه من أجر لتغطية هذه الضروريات كانوا مستحقين للزكاة بوصف أنهم من الفقراء أو المساكين، فإذا أعطاهم من يعملون معه أو عنده بعض المال فإن نوى به الزكاة كان من الزكاة، وإن نوى به الهبة والمكافأة ولم ينو الزكاة فلا يحسب من الزكاة، فالأعمال بالنيات كما هو معروف.

الميراث والوحدة السكنية المؤجرة

السؤال من القارئ، م. س. أ. من محافظة القاهرة، يقول:
توفى زوج وترك زوجة وثلاث بنات يقيمون بشقة تمليك (تمليك الايجار) هل يحق لأخوة الزوج المتوفى أن يرثوا أو يشاركوا الزوجة والبنات السكن بها بحجة أن لهم إرثا شرعيا؟

الجواب: المكان المؤجر ليس مملوكا للمستأجر بل لمالكه الأصلى، والذين يشغلون هذا المكان ملتزمون بدفع الأجرة للمالك حسب المدة المتفق عليها، فإذا كانت سنة مثلا ومات المستأجر فإن الإجارة باقية والمستأجرون ملتزمون بدفع الأجرة المستحقة عن هذه السنة، ثم إذا انتهت المدة يحق لصاحب المكان أن يُخلى منه الساكنين، أو يعقد معهم عقدا على مدة أخرى، والذين كانوا يقيمون مع المستأجر هم فقط الطرف الثانى مع صاحب المكان، ولا دخل لغيرهم من أقارب الميت معهم.

هذا ما يقضى به الفقه الدينى، وإن كانت هناك إجراءات قانونية يرجع إليها مادامت للمصلحة.

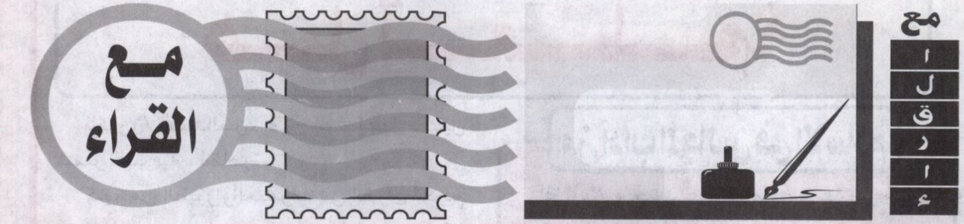

مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء ○ مع القراء □ أ. حسين السكرى □ مع القراء

نظرة الإسلام إلى العمل

للقارئ /خيرى محمد إبراهيم أبو الروس - إمام وخطيب - مسجد كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ.

لقد خلق الله - سبحانه - الإنسان وجعله خليفة له فى الأرض ليعمرها ويستثمر ما يمكن استثمارة منها وذلك لا يكون إلا عن طريق العمل النافع للفرد والمجتمع المسلم، ومن هنا نرى أن الإسلام يحث على العمل وإتقانه وإجادته كما يقدر العاملين المؤمنين المخلصين المجيدين، فيقول المولى - عز وجل -: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** التوبة: آية ١٠٥، ويقول الله - جل جلاله - : **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ۞ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** الزلزلة: الآيتان ٧، ٨. ويقول الرسول الكريم ﷺ: **«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»** رواه البخارى فى صحيحه، وكما نعلم أن الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - كانوا يعملون ويكسبون رزقهم من كدهم وعرق جبينهم، فهذا هو سيدنا نوح عليه السلام كان يعمل نجارا حاذقا فى صناعة السفن، وكذلك كان سيدنا داود عليه السلام كان حدادا يشكل الحديد فى مهارة وسهولة وإتقان، وكان يصنع السيوف والدروع ويبيعها حتى يكسب رزقه بكد يديه وعرق جبينه، وكان سيدنا محمد ﷺ قبل البعثة النبوية تاجرا وكان صادقا أمينا فى تجارته ولقب بالصادق الأمين، وقد اشتغل مع عمه أبى طالب فى التجارة ثم عمل فى مال السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - فكان مثالا للتاجر المخلص الأمين الذى يخاف الله - جل جلاله - ويتقيه، ولذلك نجد الإسلام يشجع على العمل الصالح النافع الذى ينفع النفس والمجتمع.

***

العمل عبادة والكسل بلادة، وهذه العبادة تكون لصاحبها قبل أن تكون لله - سبحانه - وللمجتمع، فلا يجوز للإنسان أن يتسول الناس أو يكون عالة عليهم، أو على أهله وذويه، فإذا وصل إلى هذه المرحلة سقط من عيونهم وازدراه الجميع وفر منه الأصدقاء والأهل والزملاء، فكيف يجلس الإنسان دون عمل متسكعا فى الشوارع والطرقات لا يستفيد ولا يفيد؟ والرسول ﷺ يقول: «لئن يحمل أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

هل تعلم؟

للقارئ/ عبدالعزيز فرج إسماعيل - عين شمس الشرقية - القاهرة.

كثير من الطيور والحشرات فى القرآن الكريم سماها الله - تبارك وتعالى - مثل البعوضة فى سورة البقرة، والغراب فى سورة المائدة، والجراد فى سورة الأنعام، والنحل فى سورة النحل، والسلوى فى سورة طه، والهدهد فى سورة النمل، والذباب فى سورة الحج، والفراش فى سورة القارعة، والنمل فى سورة النمل.

وهل تعلم أن أول مئذنة فى التاريخ الإسلامى هى مئذنة عيسى فى دمشق بسوريا، وهى مئذنة الجامع الأموى وارتفاعها ٤٨ مترا، وهل تعلم أن بئر الخاتم هى البئر التى سقط فيها خاتم النبى ﷺ من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يعثر عليه.

وهل تعلم أن أول من سن الركعتين عند القتل هو الصحابى خبيب بن عدى رضي الله عنه.

وأن أول من رسم خريطة للعالم هو العالم المسلم الشريف الإدريسى.

وأن أول سارق فى الإسلام هو الخيار بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف.

وهل تعلم أن أول من أضاء المساجد فى رمضان هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وأن الذى فتح دولة الصين هو الفاتح المسلم قتيبة بن مسلم - رحمه الله تعالى.

***

بالنسبة للطيور والحشرات والفواكه والنباتات التى ذكرت فى القرآن فإن الله - سبحانه - يقول: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ وهذا يدل على على علم الله الواسع وإحاطته الشاملة بجميع الكائنات والمخلوقات، وما قدمته من المعلومات فإنه يعتبر فائدة طيبة يحرص عليها الكبير والصغير معا ويضمها كل منهما إلى ما فى جعبته من كنوز المعرفة التى تنفع ولا تضر وتفيد إذا دعت الحاجة إليها.

من آداب المجالس فى الإسلام

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - باحث إسلامى واجتماعى.

يجب على المسلم أن يعطى الطريق حقه وهو جالس، فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والجلوس فى الطرقات»** فقالوا: يارسول الله مالنا من مجالسنا بد.. نتحدث فيها، فقال: **«فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه»**.. فقالوا: وما حق الطريق يارسول الله؟ قال: **«غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»** رواه البخارى ومسلم.

ويجب عليه أيضا إذا أخذ الحديث مجراه أن يتأدب بآداب الإسلام، فلقد روى ابن أبى الدنيا عن عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - «خمس لهم أحسن من الدهم الموقفة - يعنى الخيول الجيدة - لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعيب، ولا تمار حليما ولا سفيها فإن الحليم يقليك - بمعنى يبغضك - والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه مما تحب أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام».

***

ما أفضل هذه التعاليم الإسلامية وأكرمها إذا التزم بها المسلم وحافظ عليها لأن فيها كل القيم الرشيدة والمبادئ الحميدة والسلوك العظيم؛ فهى تحفظ لصاحبها كرامته ومهابته وأمنه وسلامته وتجعله قريبا من القلوب والنفوس محبوبا عند الناس يرغبون فى مصادقته والاستماع إليه لأنهم لا يرون فيه إلا الخير ولاينالهم منه إلا الصلاح والإصلاح والحب والاستمتاع بمجالسه وأحاديثه.

مقدسات الأمة

للقارئ/ محمد عنتر رفاعى عبدالفتاح - الشرقية - ديرب نجم - العوايد.

لكل أمة مقدسات تلتف حولها وتحافظ عليها وتعتز بها وتضعها فى المكان الأرفع من اهتماماتها بالنفس والمال، ولاتوجد أمة فى هذا الكون بدون مقدسات تعرف بهاوتكون علامة عليها، وقد اختص الله الأمة الإسلامية بالعديد من المقدسات وعلى رأسها القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وصف القرآن الكريم بالنور لأنه نور، وقد تكرر ذلك فى عدة آيات من كتاب الله - عز وجل - كقوله - تعالى -: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾** وفى آية أخرى: **﴿فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** الأعراف: آية ١٥٧.

إذن فالقرآن الكريم كله نور، وقد ارتبط شهر رمضان بنزول القرآن الكريم فزاد الشهر نورا وضياء وبهاء، وهذا النور سار عليه السلف الصالح فسادوا الدنيا وأخرجوها من ظلمات الجهالة إلى نور الحقيقة، وقد أوثق الرسول ﷺ رمضان والقرآن الكريم بوثاق من نور وضياء، وقال - تعالى - مؤكدا إن القرآن مرتبط برمضان، **﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾**، ويقول الله - تبارك وتعالى -: **﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾**، وليلة القدر هذه خير من ألف شهر كما وضحها الله - سبحانه - فى قوله **﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾**، ويقول الرسول ﷺ: **«تعلموا القرآن وعلموه واقرأوه وقوموا به»**.

***

إذا كانت المقدسات نعتز بها ونحافظ عليهاونضعها فى مكانها الأرفع والأمثل فإن القرآن الكريم يأتى فى المقام الأول والأعظم بل والأوحد، فالمقدسات ربما تكون فى الثقافة والحضارة والعلم والتقدم فإذا أمعنا النظر فى كل هذه المسميات لوجدنا أن القرآن الكريم هو السنام الأصيل لها، وقد فطن الغربيون والمستشرقون إلى هذا وحاول البعض أن يشكك فى بعض الآيات أو فى بعض المناسبات والملابسات، ولكن الله - جل وعلا - قد حفظ القرآن الكلريم وصانه من كل تحريف أو تزييف؛ ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

من دروس الأشهر المباركة

للقارئ/ إبراهيم عبدالرحمن محمد عبدالرحمن - كلية التربية - جامعة الزقازيق.

بين الفينة والأخرى من مجريات أحداث ذلك العصر سرعان ما ينبرى الفكر وتتسابق الوقائع كى تسجل لنا أحداثا أخرى تجعل الفكر والروح معا فى تسابق عملى لإيجاد حلول سريعة لما يصادف هذا الزمان ويعتريه، وبداية يعلمنا شهر رجب أول ما يعلمنا الصبر على المشاق فى الحياة بغية الهدف المنشود والالتجاء إلى خالق السموات والأرض ومدبر الكون ومدبر تلك الحياة ومسير ذلك الفلك، ويعلمنا الإسراء والمعراج الغوث والحمى بقلاع الله وحصونه؛ فالطاعة لله آخرها نجاح ورب الكعبة، ويعلمنا شعبان الكثير ورمضان الأكثر، وهكذا الحياة دائما تجدها مشقة ثم راحة ثم مشقة ثم راحة، وهكذا إلى أن ينتهى الأجل ويحاسبنا قيوم الأرض ورحمان السماء، وهو مشوار طويل نأخذ من الشهور المباركة فيه عبرة وعظة ودروسا مستفادة، سأل الفضيل بن عياض أحد الناس مرة عن عمره؟ فأجابه: عمرى ستون عاما، فقال له: تمشى إلى الله منذ ستين عاما. والعاقل الفطن هو من يوظف دينه وعقيدته فى حل عقد هذا الزمان الأخير؛ فذلك حقا آخر الزمان.

الإعلام والقيم

للقارئ / نافع السيد على محمد ـ أسيوط ـ ديروط ـ أبو الهدر.

الإعلام فى مفهوم الإسلام هو محاولة توصيل الحقائق الصادقة الهادفة إلى الناس ليتبعوا هذه الحقائق أو يتجنبوا شرورها، وإذا كان الإعلام تتعدد وسائله من حيث اتصاله بالمخاطبين، فإن الوسيلة فى الإسلام يجب أن تتبع الغاية فى شرفها، فإن الوسائل فى عرف الإسلام لاتنفصل عن الغايات، وإذا كان هدف الإعلام فى النظم الوضعية هو الترويج لمبدأ ما من المبادئ عن طريق الوسائل المختلفة من إذاعة وتلفاز وصحيفة وكتاب أو عن طريق الاتصال المباشر بعقد الندوات والمؤتمرات وغير ذلك فإن الإسلام يشجع استعمال هذه الوسائل كلها شريطة أن تستخدم فى نشر الفضيلة وحماية القيم وأن تنمى مشاعر الخير والحق والصدق فى الإنسان وأن تصوغ عقله وتفكيره ووجدانه وفق تعاليم الإسلام وأن تلتزم الوضوح والموضوعية فى مخاطبة الناس وأن تبتعد عن الخرافات والأباطيل والترويج لما يهدد الكيان المادى والمعنوى لجميع المسلمين وذلك بمصادرة الآراء الخاطئة والأفكار الخليعة لأنها تشكل خطرا على الأمة والأمن وتكون بمثابة الجراثيم والفيروسات التى تأكل وتضيع قيمها وتفسد أخلاقها ومعتقداتها، وبذلك تهلك الأمة ويضيع الكيان العام لها ويتهدد أمنها وسلامتها إذا تركت الفكر الملوث ينتشر فى عقول أبنائها.

***

ليس هناك مايمنع أبدا من أن يكون الإعلام قائما بكل وسائله المختلفة ولكن لابد من تجنب الإثارة والمغالاة وكثرة الثناء والاستخفاف بعقول المستمعين والمشاهدين فى بعض المواقف؛ بل لابد من اتباع الأسلوب الأمثل والطريق الأقوم الذى يتناسب مع تعاليم الإسلام دون نفاق.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ (٩)

السؤال : كل إنسان فى الوجود إذا عصى الله عليه أن يتوب إلى الله فباب التوبة مفتوح.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... **اسم الكاتب :** ....

العنـــوان : ....

العمـــل : ....

اسم المتسابق : .... **رقم التليفـــون :** ....

رقم البطاقـــة: .... **جهة الصدور :** ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٢هـ حتى شعبان ١٤٢٣هـ

بريد التعارف
أهلاً

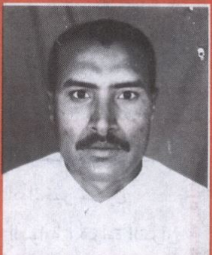

الاسم : خيرى محمد إبراهيم أبو الروس
الهواية : قراءة القرآن الكريم والخطابة
العنوان : كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ

الاسم : أحمد سعد الدين السيد شعبان
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان : كفر الجرايدة - بيلا - كفر الشيخ

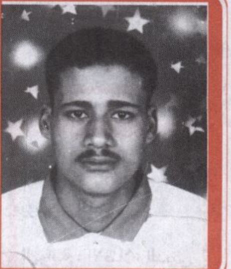

الاسم : محمود فؤاد محمود سيد
الهواية : حفظ الأحاديث النبوية
العنوان : أسيوط - الغنايم.

الاسم : عبدالكريم يونس توفيق
الهواية : حفظ القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : أسيوط - أبنوب - عرب العوامر

الاسم : إبراهيم عبدالحى محمد
الهواية : قراءة القرآن والخطابة
العنوان : ٨ ش السنارى من ترعة الجبل - المطرية . القاهرة

الاسم : محمد عشرى حسين
الهواية : نشر علوم القرآن
العنوان : عمر بن الخطاب الإعدادية - كفر قورص - أشمون

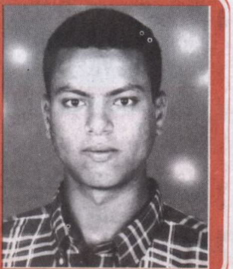

الاسم : مصطفى إبراهيم القلاوى
الهواية : الخطابة والاطلاع الدينى
العنوان : قرية ديروط مركز المحمودية - محافظة البحيرة

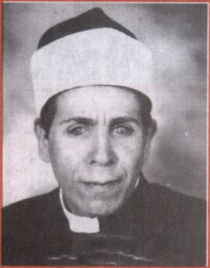

الاسم : إبراهيم أحمد إبراهيم
الهواية : قراءة القرآن الكريم
العنوان: سوهاج - المحامدة القبلية

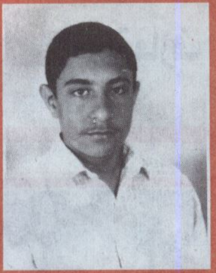

الاسم : محمد أحمد أبو هيف
الهواية : قراءة القرآن ـ الخطابة
العنوان : شبراديس مركز شبراخيت ـ محافظة البحيرة

الاسم : محمد مجدى حسن خلوى
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : أسوان ـ ادفو ـ الكلح شرق

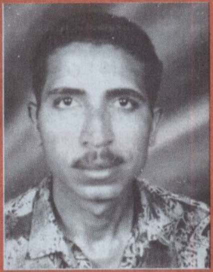

الاسم : ممتاز عطية رمضان
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : أسيوط ـ البدارى ـ نجع زريق

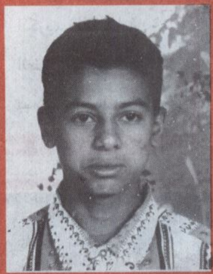

الاسم : صالح أبوالخير حسين
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان : سوهاج ـ المحامدة القبلية

الاسم : نشويى أحمد ابن محمد
الهواية: الاطلاع الدينى
العنوان : بناية ٣١ ـ رقم ١٠

الاسم : محمد على يوسف خليل
الهواية : الاطلاع الدينى
العنوان : الأقصر ـ شارع أبو جواد

الاسم : محمد جمعة عثمان عبداللطيف
الهواية : المراسلة ـ القراءة
العنوان: الفيوم ـ طامية ـ ش بورسعيد

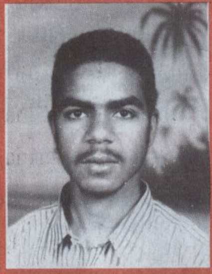

الاسم : محمد السيد محمد أحمد
الهواية : قراءة المجلات العلمية ـ المراسلة
العنوان : سوهاج ـ جرجا ـ كوم الصعايدة

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

hommes, à celui qui en possède les Moyens- d'aller pour Dieu en pélerinage à la Maison. Quant à l'incrédule qu'il sache que Dieu se suffit à lui-même, et qu'il n'a pas besoin l'univers." (La famille de "Imran" 97)

Devoir imposé dans le but d'animer la Maison sacrée et de procurer la prospérité à ceux qui vivent autour, en réponse aux supplications d'Ibrahim:

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) ﴾ [إبراهيم ٣٧]

"O notre seigneur, j'ai établi une partie de ma descandance dans une vallée qui, vraiment, est tout autre qu'agricole, près de Ta Maison sacrifiée, afin, ô notre seigneur qu'ils établissent l'office. Fais donc que se précipitent vers eux les cœurs d'une partie des gens, et nourris- les de fruits. Peut-être seront-ils reconnaissants." (Abraham, 37)

Ceci lie musulmans à la première Maison construite pour les gens; c'est à partir de là que s'est lancée la prédication islamique... ce qui augmente la foi des musulmans et renforce leur union, dans ce grand rassemblement où s'estompent les différences sociales et où s'unissent les voix dans l'invocation rituellel (me voici O seigneur me voici) et (Dieu est le grand), et où se trouve un échange aux niveaux culturel, économique, politique et autres, tel que le dit le Tout-puissant:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ﴾ [الحج ٢٧ - ٢٨]

"Fais aux gens une annonce pour le pèlerinage: qu'ils viennent à toi, à pied, et aussi à dromadaire de toute espèce, de tout chemin creux afin qu'ils témoignent eux-mêmes d'avantages qui sont leurs et qu'ils rappellent le nom de Dieu, pendant quelques jours bien connus, sur le cheptel qu'Il leur a attribuèe en nourriture." (Le pèlerinage ou Al-Hij 27,28)

Le pèlerinage se fait en des mois précis: chaoual, Dohu'lqeeda, et dix jours de Dhou'iHijja; le rite majeur en est la station du Mont d'Arafat, le 9ème jour de Dhou'l Hijja. En plus du pèlerinage obligatoire (al-Hij) il y a le pèlerinage restraint (al'omra) qui s'effectue en n'importe quelle époque de l'année. Les détails de ce sujet sont amplement exposés dans le Coran, dans les recueils de Tradition, et dans les ouvrages de jurisprudence Islamique.

"Le Coran a été révélé, durant le mois de Ramadan. C'est une Direction pour les hommes; une manifestation claire de la Direction et de la loi. Quiconque d'entre vous, verra la nouvelle lune Jeûnera ensuite le même nombre de jours. dieu veut la facilité pour vous, il ne veut pas pour vous, la contrainte. Achevez cette période de Jeûne; exaltez la grandeur de Dieu qui vous a dirigés peut-être serez-vous reconnaissants." (La Vache-185)

Et puisqu'on s'abstient de ce qui est normalement permis, il est normal que l'on s'abstienne aussi de qui est interdit. Le Jeûne est une protection contre beaucoup de maux physiques et psychologiques; il habitue la personne qui jeûne à observer Dieu dans tous ses actes et ses paroles, et à lui être fidèle; c'est aussi un entrainement à la patience et à l'endurance, une leçon de pureté, de miséricorde, de charité; de façon générale le jeûne renforce les liens sociaux.

Le jeûne est connu dans les religions juive et chrétienne, mais l'Islam en a fait un seul et même modèle pour tous les fidèle: il se pratique en un temps fixe, le même pour tous: le mois de Ramadan, mois de la Révélation du coran; l'espace du jeune se situe entre l'aube et le coucher du soleil, chaque jour du mois; les interdits sont les mêmes pour tous.

Le jeûne du Ramadan est obligatoire pour tout musulman adulte et en pleine possession de ses facultés mentales. Mais si l'on tombe malade, et l'abstention de la nourriture et de la boisson nuit à la santé, la personne a le droit de "déjeûner", et nombre de jours.

Le voyageur aussi a le droit de ne jeûner puisque le voyage le soumet à des difficultés diverses qui ne s'accordent pas avec le jeûne; mais il droit également jeûner plus tard ce même nombre de jours ratés. Une personne âgèe qui ne peut pas endurer le jeûne, ou atteinte d'une maladie chronique incurable à laquelle le jeûne nuit, a le droit de ne pas jeûner et de faire l'aumône, remplaçant chaque jour de jeûne raté par une somme d'argent, versée aux pauvres. Ces règles sont instituées par le coran même afin d'alléger la charge et lever les difficultés liées au jeûne.

5. Le pèlerinage

C'est la visite de la Maison Sacrée, ou Ka'ba, à Makka (La Mecque), pour effectuer les rites liés à cette visite; c'est un devoir imposé une seule fois dans la vie, pour ceux qui peuvent l'accomplir:

﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾ (آل عمران ٩٧)

"On y trouve des signes évidents (dans ce lieu) oû se tenait Abraham. Quiconque y pénètre est en sécurité. Il incombe aux

versé aux pauvres avant la prière de la fête. Il est de petite valeur, mais a pour but de garantir qu'il n'y ait pas de pauvre dans le besoin le jour de fête, qui doit être un jour de joie pour les musulmans. Cet impôt figure parmi les devoirs du musulman; il est toujours accouplé à celui de la prière, dans le Coran. La somme obtenue par ce prélèvement est orientée vers l'intérêt des pauvres et des nécessiteux dans la société.. Ce dû aux pauvres est une pratique religieuse et un devoir financier que doit assumer le Musulman qui possède plus que n'exigent ses besoins dans la vie, si cet argent demeure un an en sa possession, sans qu'il n'en ait besoin; mais cet argent n'est pas imposé aux pauvres ni à ceux qui n'ont plus de surplus après leurs dépenses nécessaires.

Le Coran a précisé comment cette somme doit être dépensée:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾ (التوبة ٦٠)

"Les recettes d'Etat (Sadaqats) sont pour les besogneux et les pauvres, et pour ceux qui y travaillent, et pour ceux dont les cœurs sont à gagner, et pour l'affranchissement des jougs, et pour ceux qui sont lourdement endettés, et dans le sentier de dieu, et pour l'enfant de la route." (Le repentir 60)

Ainsi les recettes couvrent les besoins des pauvres et des nécessiteux, ceux qui travaillent à la collecte, et la distribution de la somme à ceux qui la méritent, Le verset montre qu'on peut s'en servir pour rembourser les dettes des endettés, incapables de la faire, pour libérer les prisonniers de guerre, pour donner à l'étranger sans argent.. les domaines de dépense englobent aussi le bien général de la société: hopitaux gratuits pour les pauvres, écoles, aide de ceux qui luttent pour leur liberté et le droit de vivre.

En plus de la "Zakat" l'Islam encourage à faire l'aumône, dans les différents domaines de la charité; l'aumône est l'un des meilleurs moyens de se rapprocher de Dieu.

4. <u>Le jeûne (ou EL siyam)</u>

C'est s'abstenir de nourriture, de boisson et de femmes depuis l'aube Jusqu'au coucher du soleil, chaque Jour durant Ramadan:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) ﴾ (البقرة ١٨٣)

"Ho, les croyants! On vous a prescrit le jeûne, comme on l'a prescrit à ceux d'avant vous, peut-être serez- vous pieux!" (La Vache 183).. On lit aussi dans le coran:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾ (البقرة ١٨٥)

levez pour la salat, lavez vos visages, alors, et vos mains jusu'aux coudes; et passez les mains mouillées sur vos têtes; lavez- vous les pieds jusqu'aux chevilles." (La table servi, 6)

Pendant sa vie, le prophète (béni soit-il) l'apprenait aux musulmans: elle se fait à l'eau pure, et ses pas suivent ceux indiqués par le verset. A la fin on doit exprimer l'intention de prier, et accomplir la prière si on est pur; mais si les ablutions s'annulent par une impureté mineure ou majeure, il faut recommencer la purification avant de prier une autre fois.

A part les 5 prières quotidiennes, l'Islam comprend d'autres prières importantes: celles des deux fêtes, la fête de la rupture du jeûne du Ramdan, et la fête du sacrifice (le 10e Jour de Dhou'l-hegga, mois du pèlerinage). La prière est le devoir de tout musulman adulte et raisonnable qu'il faut accomplir la vie durant. On peut faire une prière volontaire aussi, par amour de dieu, pour se rapprocher de Lui, et dans l'espoir d'obtenir sa satisfaction et son pardon.

Il y aussi la prière pour les morts, qu'il faut effectuer avant d'enterrer un musulman décédè: elle se fait debout, sans génuflexions, on y lit quelques versets du Coran, suppliant Dieu d'accorder sa miséricorde et son pardon au défunt. Il s'agit d'une sort d'honorifiaction du mort, avant son enterrement.

3. <u>Le dû aux pauvres (ou Zkat)</u>

C'est le fait de prélever une part sur l'argent de la personne aisée, pour la distribuer aux pauvres; cette part équivaut généralement à 2.5% du surplus restant chez l'individu, à condition que ce surplus sera moins de 4 milles livres égyptiennes. Cette somme est versée aux nécessiteux et aux œuvres de charité: c'est un ordre divin:

Dieu promet son paradis aux pieux: "dans leurs biens le mendiant et le déshérité avaient un droit." (Qui eparpillent- ou Aldhareyat- 19)

Ce dû aux pauvres est l'un des moyens de l'assistance sociale et de la coopération en vue de la prospérité générale; en plus, cet acte purifie l'homme des vices de l'avarice et de l'asservissement matériel:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ (التوبة ١٠٣)

"Prélève une aumome sur leurs biens pour les purifier et les rendre sans taches prie sur eux; Tes prières sont un apaisement pour eux." (l'immunité 103)

Le Coran, la Tradition et les ouvrages législatifs précisent quel argent doit être ainsi purifié, de même que la valeur de cette somme et ses différents débouchés. Il existe un genre d'impot- zakat al fetr- qui suit le mois de Ramdan qui doit être

pratiques, qui en réalité, concernent toutes les missions dont l'homme est chargé, dans tous les domaines.

Les Pratiques

1. Les deux témoignages

C'est le fait de déclarer: "il n'y a de Dieu qu'Allah" et "Mohammad est le messager d'Allah", pourque la personne soit traitée comme musulmane. Si cet acte de foi est conforme aux sentiments et convictions, il est accepté de Dieu, et des gens; sinon c'est de l'hypocrisie, même si les gens l'acceptent, puisqu'ils n'y peuvent voir les apparences, ignorant les pensées secrètes.. mais Dieu ne l'accepte pas:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⟨٨⟩ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ⟨٩⟩ ﴾ (البقرة ٨ - ٩)

"Parmi les gens, il y a ceux qui disent: Nous croyons en Dieu et au jour dernier! Tandis qu'ils ne sont pas croyants. Ils cherchent à tromper Dieu et ceux qui ont cru; mais ils ne trompent qu'eux mêmes, et ils sont inconscients." (La Vache 8,9)

2. La Prière

C'est le sommet des pratiques religieuses, la prière est la base de la religion. Elle renforce les liens avec Dieu et nourrit l'arbre de la foi pour donner des fruits en tous temps, avec l'autorisation du Créateur; Il faut l'accomplir pour se rappeler le Créateur, (cf. v14 de Taha); si elle est accomplie avec honnêté et loyauté, elle fait sentir à l'homme sa dignité: il n'est humble qu'avec Allah seul; la prière donne de la droiture au comportement individuel et social de la personne: Elle se pratique cinq fois durant les ving- quatre heures, chaque prière en son temps, à des heures canoniques, à raison de 2 génuflexions (rak'a) le matin, 4 à midi, 4 l'après-midi, 3 au coucher (du soleil), et 4 à la tombée de la nuit.

A part ces prières obligatoires, toute autre prière se fait volontairement. Notons cependant que la prière collective de midi, le Vendredi, se réduit à 2 génuflexions.

La prière occupe une grande importance dans l'Islam, car elle sert à assurer une relation continue entre l'être et son Créateur: l'homme se sent ainsi rassuré, sa conscience demeure alerte, et il obtient la paix, intérieure et avec autrui.

L'ablution est l'une des conditions nécessaires de la prière: elle fait partie des rites, et doit précéder la prière; l'être humain doit se purifier: ablution rituelle s'il y a eu impureté mineure, émise par les deux èxutoires. Le Coran présente les détails de l'ablution (Woudou):

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة ٦)

"Ho, les croyants, Lorsque vous vous

LES PRATIQUES DE L'ISLAM

Parmi les buts du conseil supérieur des Affaires Islamiques, il faut compter la propagation du sens de l'Islam et de sa mission, à l'échelle des peuples du monde entier, car c'est la religion qui conclut les messages divins adressés aux hommes, et transmis à l'humanité par les messagers et les prophètes. L'Islam constitue une foi et un mode de vie pour l'individu et la société.. parmi ses principes, présentés dans le Coran et la Tradition, se trouve la paix entre les hommes, les rapports sociaux entre eux, et leur coopération dans les différents domaines de la vie, car les hommes proviennent- tel que le précise le Coran- d'une même âme, d'une même origine: Adam (Paix sur lui). Et puisque les principes de l'Islam, dans la foi, l'éthique et la conduite, sont pour certains inconnus ou mal compris. Nous donnons une brève idée sur la législation liée aux pratiques qui en réalité, concernent les missions dont l'homme est chargé dans tous les domaines.

Par. Nadia Saïd

La législation:

Pratiques et transactions

C'est un système général de la conduite et des actes qui se pratiquent du corps et des sens: les actions et les paroles, réglant les rapports entre l'homme et son Créateur, et entre l'homme et la société où il vit, dans la famille, le voisinage, et dans la fraternité entre les membres de la société; aux niveaux économique, culturel, politique et social aussi, entre les individus de la même société, et entre les différentes communautés.

Parfois on désigne la législation Islamique par le terme même d'Islam, comme cela se voit dans la conversation entre Jibril et le prophète (béni soit-il), l'interrogeant sur l'Islam, et comme le "Hadith" le montre: l'Islam s'élève sur cinq assises: témoigner que Dieu est un et que Mohammad est Son prophète, faire les prières, verser le dû aux pauvres, jeûner Ramadan, et accomplir- si l'on peut- le pèlerinage. Ce "Hadith" désigne quelques aspects de la législation, liés aux

with and understand each other and have a systematic, cooperative and continually moving community. It is said that this language is pronounced through particular ciphers. Think about how the ant sees its way when it goes out from its hole and how the ants store their food and protect it against decay. The ants split a grain into halves because if it is left in unsplit it will grow again. The ants also split the seed of coriander into four pieces because if it is split into halves only, it will still grow. Think also, why it is not easy to reach the mounds of the ants, even if you follow them. It is because they go into the depths of the earth and they have many entrances and exits. so the ants' mounds are highly protected and secured. Contemplate... who teaches the ant all this and implants in its instincts these wonderful skills. It is 'Allâh.

• The Domain of the sea

Now we come to the domain of the sea. There is a small fish called salmon which stays many years in the sea; These go back to the exact river to their particular birthplace? It is 'Allâh, so, "Blessed be Allâh, The Fairest of creators". Through the sea, there are also eels. When these marvelous creatures mature, they migrate from different rivers and poles. If they are in Europe, they swim thousands of miles across the ocean until they reach the remote depths of Bermuda Islands. They lay their leggs then die. When the eggs hatch and the young eels come out they do not stay in their place. They return to the beach from which their mothers came. So, who guides them to this place and implants in their instincts these minute details. It is 'Allâh, so, "Blessed be 'Allâh the best to create."

• Does Faith contradicts science?

Science leads to faith. Albert Ma[c]Cub Dinshtiz, Prof. of biology in the Faculty of Bailor and exdean of the Academy of Science, in Florida, said: "Working in the field of sciences supported my faith in God to such an extent that it became stronger and deeper than it had been. Science, undoubtedly, increases Man's insight to realize 'Allâh's power. The newer issues that Man may discover the more faithful a believer in 'Allâh he becomes." True science leads to more knowledge from 'Allâh.

A scientific theory can never contradict a Qur'ânic verse or an authenticated Prophetic Hadîth. As a result of the scientific facts and space reseach, scientists in the field of medicine, astrology, geography and other sciences have nothing except to believe in 'Allâh who disposes of the universe and what it contains. Science leads man to admit the existence of 'Allâh.

We-all-have nothing except to surrender to the Omnipotence of 'Allâh. Hidden secrets of the universe are endless and will continue to be discovered until the day of Judgement. Hence we must not use 'Allâh's favors to deny His existence and Glory.

• The Basics of the Creed

Belief in the Unseen is the striking feature of the true believer. There are many things which we do not see or realize, but we have the conviction that they exist as if they are things which we could see and feel. So, conviction can be attained through realization and observation, it can be also attained from the report of the ones whom we think are truthful.

• The state of Atheists in Adversity

When a catastrophe befalls people, whether believers, disbelievers, priests, profligates, they resort to Unseen power beyond these creatures. They do not see such a power, but feel it through their senses and hearts. Each nerve of theirs realizes the existence of this Power, Mighty and Glorious. They return to religion and resort to 'Allâh. It happens to all of us when we are overcome by adversities, trails, or catastrophes, we return to our Lord and hasten to His worship. In fact, belief is something rested in every heart. Therefore, there is no wonder to find people converted to religion after being brought up under the umbrella of atheism. Belief is an instinctive desire which is implanted in the depths of the pure human-heart.

• Conflict Between Truth and Falsehood

Once on atheist came to Imâm Shâfi'i (may 'Allâh be satisfied with him) and said, "What is your proof that 'Allâh exists?" Imân Shâfi'i replied, "The leaves of mulberry tree have the same taste, color, smell, and form, but when a silkworm eats from it, it gives silk; when the bee eats from it, it gives honey; when the sheep eats from it, it becomes fat and milk increases in its udder; and when the gazell eats from it, it nourishes itself with it and gives musk. So, who made these things of diverse productions and excretions although the food was one and the same, surely, it is 'Allâh.

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون : آية ١٤.

"So blessed be 'Allâh, The Fairest of creators."

[Al-Muminûn (The Believers), 14]

It is also reported that Imâm Abû Hanîfa once said, "Glory be to 'Allâh, if it is inconceivable to imagine a ship sailing staight across the sea without a motor or a captain, how is it conceivable to imagine this world, with its varying circumstances, changeable activities, vast borders, and diverse sides, to be run without a Maker or a Watcher."

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ الإسراء : آية ٦٧.

"And when adversity touches you into the sea, the ones whom you invoke err away (from you) except Him (only); then as soon as He safely delivers you to land, you veer away. And man has (ever) been ever-disbelieving." ('Al - 'Isrâ' ,67)

• The language of Ants

Ants have a communicative language. The do have a language to communicate

A Message to the One Who Asked, "Where Is 'Allâh?"

Can our senses realize all that this vast world contains? Can we see electricity or gravity? Who teaches the ants to speak or to store food? Who created water and brought it down from the sky? Can science make water or make the rainfall? Who gives the air the oxygen required for life, distributes hydrogen, nitrogen and oxygen around earth and the plant in fixed and accurate ratios, makes the air have pressure so as to have density or weight? Do we use the favors of 'Allâh to deny His existence and Glory? Sheikh Abdel-Rahman Al-Sungiri, the preacher in the Ministry of Endowment in Emirates wrote his book "Where is 'Allâh?" to be an answer to those skepticals, who ask "Where is God?". The writer provides rational and tangible proofs. He tries to block all ways before the atheists who used to imagine fallacious arguments to cast doubt upon simple-minded people.

By: Amira Fathi Swar

Everything in the universe, whether wind, rain, night and day-time or the movement of the sun, moon, stars, or plants makes the mind admit that all things are not created haphazardly, but by the Creator, the Existent. 'Allâh The Almighty said,

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الطور: الآيتان ٣٥، ٣٦.

" Or even they created out of nothing? Or even are they the creators. Or even did they create the heavens and the earth? No indeed, (but) they have no certitude."

(At-tûr (The Mount): 35-36)

These Created things also indicate the capability or the characteristics of the Maker. Therefore, thinking of the creatures of 'Allâh will lead us to know some of His Attributes Exalted and Dignified be He. 'Allâh the Almighty said,

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس: آية ١٠١.

"Say, "Look into whichever is in the heavens and the earth". And the signs and warnings do in no way avail a people who do not believe..."

(Yûnus (Jonah): 101)

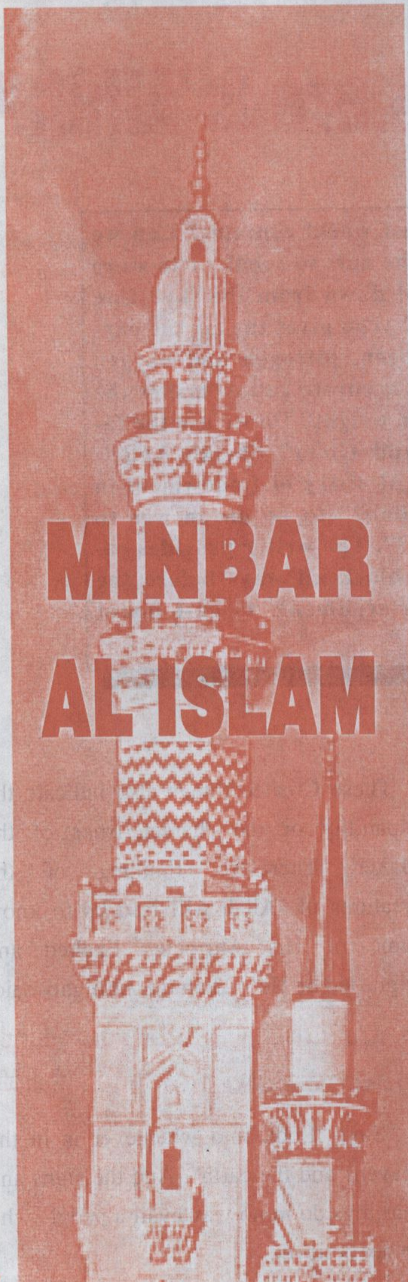

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة

Minbar Al- Islam

Issued by Ministry of Al-Awqaf

The Supreme Council for Islamic Affairs

Board of Directors Head

Prof. Dr. **Mahmoud Hamdy Zaqzouq**

Minister of Al- Awqaf

President of The Supreme Council for Islamic Affairs

Chief Editor

Prof. Dr. **Abdel Sabour Marzouk**

Vice President of the Council

محتويات العدد

☐ **كلمة التحرير** ١

☐ **حديث الشهر** (من يحمى شعب فلسطين من الإبادة؟)........ بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق........ ٢

☐ **القرآن الكريم وعلومه** ٥

● تفسير سورة المنافقون........ أ. د. محمد سيد طنطاوى........ ٦

● خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف (القبض والبسط)........ أ. د. عبدالعظيم المطعنى........ ١٠

● قراءة فى معجزات الخلق والخالق: علماء الحشرات أيضا يفسرون القرآن........ أ. رجب البنا........ ١٦

● دروس من فقه السنن الإلهية: من قصص القرآن الكريم........ أ. د. محمد السيد الجليند........ ٢٣

● من أباطيل الاستشراق: الأذان فى الإسلام........ أ. د. محمد رجب البيومى........ ٢٩

☐ **دراسات فى السنة المطهرة** ٣٣

● مناقشة منكرى السنة والرد على بعض الكتاب المحدثين........ أ. د. أحمد عمر هاشم........ ٣٤

● هكذا وصفوا رسول الله ﷺ........ أ. د. محمد كامل الفقى........ ٣٩

● وإنك لعلى خلق عظيم........ الشيخ فوزى فاضل الزفزاف........ ٤٢

☐ **الحضارة والعلوم** ٤٥

● معالجة الإسلام لسلبيات التقدم العلمى........ أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة........ ٤٦

● الإجهاض بين الإسلام والطب الحديث........ أ. د. عبدالمعبود عمارة........ ٥٢

● المسلمون والصدام الحضارى المفروض........ أ. د. عبدالحليم عويس........ ٥٦

● الأندلس منارة الإسلام فى أوروبا........ أ. د. إبراهيم أحمد العدوى........ ٥٩

● حقيقة الخلق تكشف كذب نظرية التطور........ أ. د. حسنى حمدان الدسوقى........ ٦٣

● هموم الأمة الإسلامية (تأليف أ. د. محمود حمدى زقزوق)........ عرض وتحليل: كمال عبدالوهاب........ ٦٧

● مع المتنبى فى شعر الفخر........ أ. د. طه مصطفى أبو كريشة........ ٧٣

● جنسية الزوجة وأولادها من أجنبى........ المستشار: حسن حسن منصور........ ٧٦

● عقيدة اليهود وتطبيقاتها (شذرات من تاريخ شعب إسرائيل وعقيدته)........ أ. د. آمنة نصير........ ٨٢

● نافذة على الإنترنت........ إعداد: منى القاضى........ ٨٧

● الطريق إلى أول بيت وضع للناس (رؤية حضارية متجددة لطرق جديدة)........ إعداد: مصطفى إبراهيم خيان........ ٩٠

● حوار مع رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية........ محسن عبدالفتاح........ ٩٧

● حوار الحضارات لماذا وكيف؟........ الشيخ: منصور الرفاعى عبيد........ ١٠١

● الغناء والموسيقى حلال.. أم حرام؟........ أ. د. محمد عمارة........ ١٠٥

● مساجد لها تاريخ (المسجد الأموى بدمشق)........ أ. صلاح عبدالرحيم محمد........ ١١١

● وراء الأخبار واللقاءات........ متابعة وإعداد: منير بيومى........ ١١٦

● قطوف........ خضرة رشاد........ ١٢١

☐ **أنت تسأل والفقيه يجيب** .... فضيلة الشيخ عطية صقر........ ١٢٢

☐ **مع القــراء** .... يحرره حسين السكرى........ ١٢٩

☐ **بريد التعارف** ١٣٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يـزود المكتبة الإسلاميـة والقارئ المسلـم فـى جميع أنحـاء العالـم الإسلامـى بأمـهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد ـ مصطفى إسماعيل محمود على البنا ـ محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١: ٥

وتيسيرا على القارئ المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات ـ جاردن سيتى

مكتبة مسجد النور بالعباسية

٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير

٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)

الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر